موسوعة التطوع

تأليف

أحمد بن سليمان أيوب

ونخبة من الباحثين

المشرف العام

أ.د/ سامي تيسير سلمان

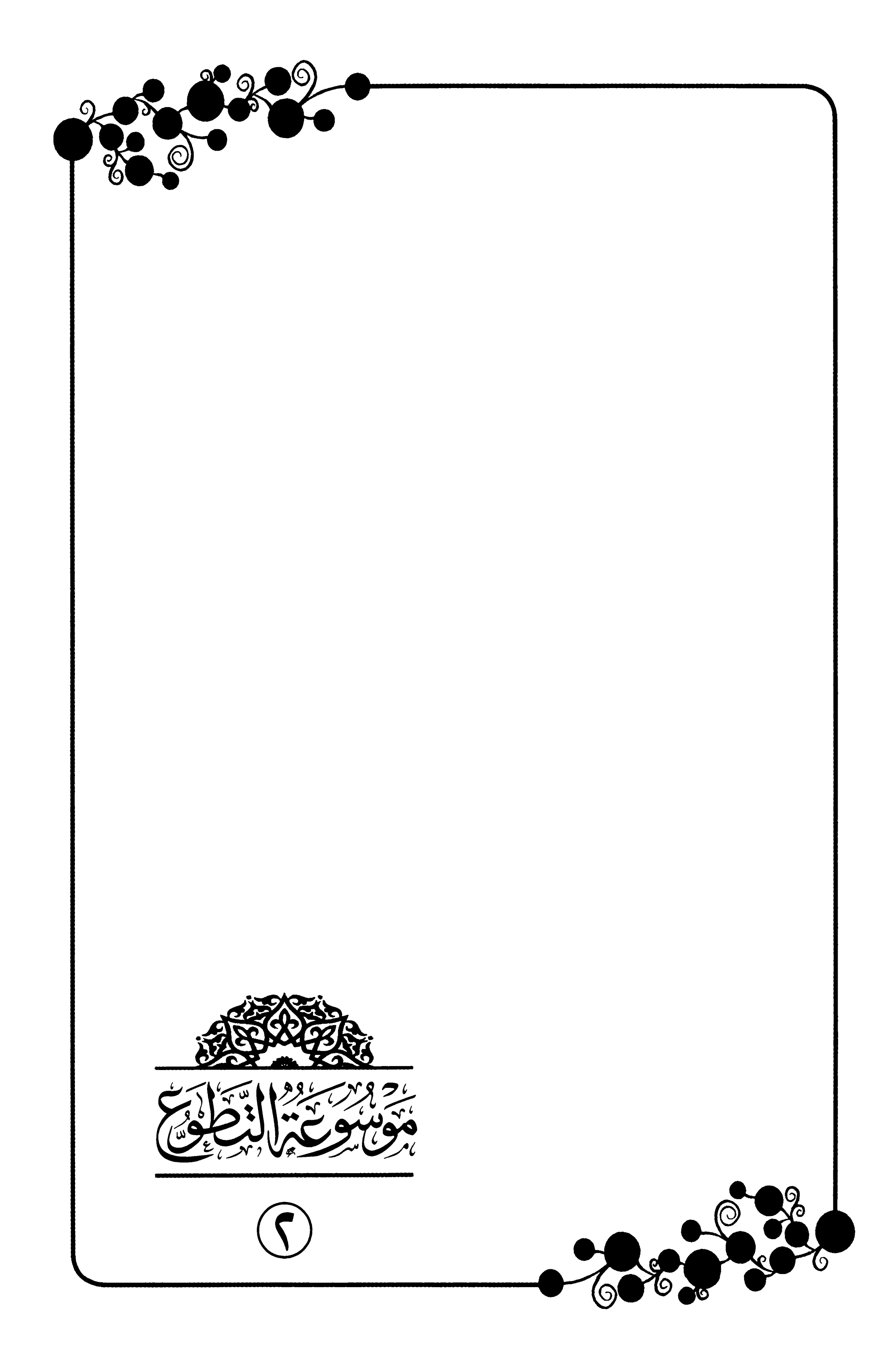
تقديم

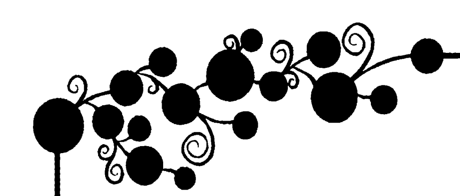
أ.د/ خالد بن علي بن محمد المشيقح   أ.د/ عبدالله بن شاكر الجنيدي

المجلد الثاني



دار العلم


موسوعة التطوع
٢



دار العلم
للبحث العلمي وتحقيق التراث

لصاحبها : أحمد بن سليمان
ah.solaiman1970@gmail.com

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

رقم الإيداع بدار الكتب
٩٣٩٥ / ٢٠١٨

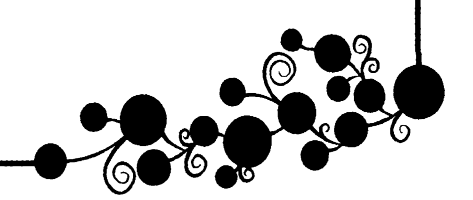
الموزعون

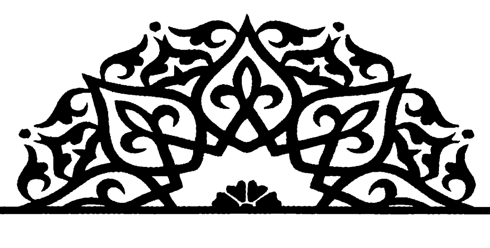
دار إيلاف الدولية هاتف: ٢٤٥٧٠٠٨٢ – ٢٩٦٩٩٩١٨٢ - ٩٦٦٩٩٩١٨٢- الكويت

دار الأفهام الرياض- شارع حمزة بن عبد المطلب ت 0553800455

دار العلم بلبيس - الشرقية ت : ٠١١٥٨٩٨٠٥٨٠

دار الفلاح ١٨ شارع أحمد - حي الجامعة - الفيوم ت ٠١٠٠٠٠٥٩٢٠٠ واتس 002 01123519722 فرع القاهرة: الأزهر- شارع البيطار





موسوعة التطوع

تأليف

أحمد بن سليمان أيوب

ونخبة من الباحثين

المشرف العام

أ.د/ سامي تيسير سلمان

تقديم

أ.د/ خالد بن علي بن محمد المشيقح   أ.د/ عبد الله بن شاكر الجنيدي

المجلد الثاني

دار العلم



أخلاقيات المتطوع

أخلاقيات المتطوع

أهمية الأخلاق في حياة المتطوع:

الخلق الحسن من أجمل ما يتحلىٰ به المتطوع، وهو أقصر طريق لقلوب الناس، وقد وصف الله تعالىٰ به نبيه ﷺ بحسن الخلق فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]. وقد جُمع حسن الخلق في قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ" وهو حق الناس. وجماع الخلق الحسن مع الناس: أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام والدعاء له والاستغفار والثناء عليه والزيارة له وتعطي من حرمك من التعليم والمنفعة والمال وتعفو عمن ظلمك في دم أو مال أو عرض. وبعض هٰذا واجب وبعضه مستحب. وأما الخلق العظيم الذي وصف الله به محمدًا ﷺ؛ فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقًا هكذا قال مجاهد وغيره، وهو تأويل القرآن كما قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها ﴿كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ﴾ وحقيقته المبادرة إلى ٱمتثال ما يحبه الله - تعالىٰ -بطيب نفس وانشراح صدر[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: حسن الخلق يقوم علىٰ أربعة أركان، لا يتصور

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٦٥٨-٦٥٩).

قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل[١].

والمشاركة في الأعمال التطوعية من الدعوة إلىٰ الله، والخلق الحسن من العوامل المهمة في جذب الناس إلى الداعية وتأثرهم به وقبولهم لدعوته - إضافة إلىٰ أجره في الآخرة-، فالناس مفطورون علىٰ محبة الفضائل والانجذاب إليها، والنفور من القبائح والابتعاد عنها، والداعية إلىٰ الله أحوج ما يكون إلى التخلق والاتصاف بالأمور المحببة إلىٰ قلوب الناس، فضلاً عن أنها من واجبات المسلم.

قال أبو حاتم البستي رحمه الله: الواجب على العاقل: أن يتحبب إلى الناس بلزوم حسن الخلق؛ لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل، وقد تكون في الرجل أخلاق كثيرة صالحة كلها وخلق سيء فيفسد الخلق السيء الأخلاق الصالحة كلها[٢].

والناس إذا لاحظوا من الداعية سوءًا في أخلاقه تبرموا منه، ونفروا من دعوته، خوفًا من تضررهم بأخلاقه السيئة، وقد يميلون إلىٰ تفضيل أهل الفسق والضلال ومجالستهم، إذا آنسوا منهم حسنًا في الخلق ورفقًا في المعاملة.

قال الفضيل بن عياض: "إذا خالطت فخالط حسَن الخلق، فإنه لا يدعو إلا إلىٰ خير، وصاحبه منه في راحة، ولا تخالط سيء الخلق فإنه لا يدعو إلا إلىٰ شر وصاحبه منه في عناء، ولأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني قارئ سيء الخلق، إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله، وخفَّ على الناس وأحبوه وإن العابد إذا كان سيء الخلق ثقل على الناس ومقتوه"[٣].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٠٨).

(٢) ، (٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ٦٤.

وحسن الخلق يبذل حتىٰ مع الأعداء، فإنه يقلب البغض حبًا، ويبدل العداوة بالولاية الحميمة، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[فصلت: ٣٤]، فَإِذَا حَسُنَتْ أَخْلَاقُ الإِنْسَانِ كَثُرَ مُصافُوه، وَقَلَّ مُعَادُوهُ، فَتَسَهَّلَتْ عَلَيْهِ الأُمُورُ الصِّعَابُ، وَلَانَتْ لَهُ القُلوبُ الغِضَابُ، والسيئ الخلق الناس منه في بلاء، وهو من نفسه في عناء[1].

هٰذا مما دعانا أن نذكر بشيء من التفصيل: أهم الصفات التي يجب أن يتحلىٰ بها المتطوع لتكون زادًا وعونًا له في طريقه نحو بذل الأفضل.

وقد ٱنتهجنا في ذكر هٰذِه الصفات منهجًا يجمع بين النظرية والتطبيق فأصلنا لكل صفة من حيث التعريف وذكر الأدلة من القرآن والسنة وأقوال السلف وضوابط تطبيقها باختصار شديد، ثم كانت النماذج النبوية والمأثورة عن سلفنا الصالح ذكرنا طرفًا منها والتي تعين على السير بسيرهم واتباع نهجهم، والله المستعان.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٢٤٣ بتصرف.

١- الإخلاص

للإخلاص في حياة المتطوع أثر كبير فالقائم علىٰ أعمال الخير يبذل من جهده وماله الكثير، فإن لم يكن هٰذا العمل مخلَصًا لله كان وبالًا علىٰ صاحبه، لذا لا بد من معرفة معنى الإخلاص وتحقيقه على الوجه المطلوب.

الإخلاص لغة: هو مصدر أخلص يخلص وهو مأخوذ من مادة (خ ل ص) التي تدل علىٰ تنقية الشيء وتهذيبه[(١)].

قال ابن منظور: قال ثعلب: يعني بالمُخْلِصين الذين أَخْلَصوا العبادة لله تعالىٰ. وبالمُخْلَصِين الذين أَخْلَصهم اللّهُ ﷻ. والمُخْلِص الذي وحّد اللّه - تعالىٰ - خالصًا، ولذلك قيل لسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ سورة الإِخلاص[(٢)].

الإخلاص ٱصطلاحًا:

هو: إفراد الله ﷻ بالقَصْدِ، وهو أن يريد العبد بطاعته التقرُّب إلىٰ الله دون شيء آخر.[(٣)].

- الآيات الدالة علىٰ صفة الإخلاص:

١- قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

قال ابن كثير: أي: أمركم بالاستقامة في عبادته في محالها، وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيما أخبروا به عن الله وما جاءوا به من

(١) المفردات الراغب (١٥٤). (٢) لسان العرب لابن منظور (١٢٢٧).

(٣) تطريز رياض الصالحين (ص: ٩)، وانظر: إعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ٤٣٣)، والأذكار للنووي (٥)..

الشرائع، وبالإخلاص له في عبادته، فإنه تعالىٰ لا يتقبل العمل حتىٰ يجمع هذين الركنين: أن يكون صوابًا موافقًا للشريعة، وأن يكون خالصًا من الشرك(١).

٢- قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝﴾ [الزمر: ٢، ٣].

قال ابن كثير: أي: فاعبد الله لا شريك له، وادع الخلق إلىٰ ذلك، وأعلمهم: أنه لا تصلح العبادة إلا له، وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد، ولهٰذا قال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾ أي: لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له(٢).

٣- قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ [النساء: ١٤٥- ١٤٦]. قال ابن كثير: أي: بَدَّلوا الرياء بالإخلاص، فينفعهم العمل الصالح وإن قل(٣).

وقال أبو السعود: أي: جعلوه خالصًا لله لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه(٤).

٤- قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝﴾ [البينة: ٥].

قال أبو السعود: أي: جاعلين دينهم خالصًا له تعالىٰ، أو جاعلين

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٢٨١).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٢/ ١١١).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٣٢٥).

(٤) تفسير أبو السعود (٢/ ٢٤٧).

أنفسهم خالصة له تعالىٰ في الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة إلى الإسلام[١].

- **الأحاديث الدالة على الإخلاص:**

١- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لاَ شَيْءَ لَهُ**"، فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لاَ شَيْءَ لَهُ**"، ثُمَّ قَالَ: "**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**"[٢].

٢- عَنْ أَبِىٰ هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "**إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى المَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ**"[٣].

٣- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: "**نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ. ثَلاَثٌ لاَ يُغِلُّ[٤] عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلاَصُ العَمَلِ للهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ**"[٥].

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هٰذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى**

---

(١) تفسير أبو السعود (٩/ ١٨٥).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (٤٣٣٣)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٥٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٣١٩٩)، وابن ماجه (١٤٩٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٧٤٠).

(٤) (لا يُغل) أي: لا يكون معها في قلبه غَشّ ودَغَل ونِفاق ولكن يكون معها الإخلاص في ذات الله ﷻ.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨)، وابن ماجه (٢٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٦٦).

الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِله إِلاَّ اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ"[١].

- أقوال السلف في الإخلاص:

١- قال مكحول: ما أخلص عبد قط أربعين يومًا إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه علىٰ لسانه.

٢- قال يوسف بن الحسين: أعز شيء في الدنيا: الإخلاص وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت علىٰ لون آخر.

٣- قال أبو سليمان الداراني: إذا أخلص العبد ٱنقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء.

٤- قال الجنيد: الإخلاص سر بين الله وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوىٰ فيميله.

٥- قيل لسهل: أي شيء أشد على النفس فقال: الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب.

٦- قال الفضيل بن عياض: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما[٢].

٧- قال أحمد لما سئل عن الصدق والإخلاص: بهٰذا ٱرتفع القوم[٣].

٨- قال ابن القيم: العمل بغير إخلاص ولا ٱقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملًا يثقله ولا ينفعه[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) كل ماسبق من آثار ٱنظره: مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٧٠).

(٣) طبقات الحنابلة لأبي يعلى الفراء (١/ ١٤٧).

(٤) الفوائد لابن القيم (٦٩).

- **نماذج من إخلاص الأنبياء صلوات الله عليهم:**

الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وصفهم الله تعالىٰ بالإخلاص وأثنىٰ عليهم بهٰذِه الصفة الحميدة وظهر أثرها في دعوتهم إلىٰ الله تعالىٰ فلم يطلبوا من أحدٍ سوىٰ الله أجرًا فنوح وهود وصالح ولوط وشعيب - عليهم الصلاة والسلام - كل واحد منهم يقول لقومه: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾ [الشعراء: ١٠٩].

وهكذا كان يوسف ﷺ صبر عن معصية الله تعالىٰ وكان السبب في ذلك هو الإخلاص قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤].

وأثنىٰ ربنا تبارك وتعالىٰ علىٰ موسىٰ ﷺ بقوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ٥١﴾ [مريم: ٥١].

قال ابن عاشور: وخُص موسىٰ بعنوان (المخلص) على الوجهين؛ لأن ذلك مزيته، فإنه أخلص في الدعوة إلىٰ الله فاستخف بأعظم جبار وهو فرعون، وجادله مجادلة الأكفاء، كما حكىٰ الله عنه في قوله تعالىٰ في سورة الشعراء: ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨، ١٩] إلىٰ قوله: ﴿قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ٣٠﴾ [الشعراء: ٣٠] وكذلك ما حكاه الله عنه بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧] فكان الإخلاص في أداء أمانة الله تعالىٰ ميزته. ولأن الله ٱصطفاه لكلامه مباشرة قبل أن يرسل إليه المَلك بالوحي، فكان مخلَصًا بذلك، أي مصطفىٰ، لأن ذلك مزيته قال تعالىٰ: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١﴾ [طه: ٤١][1].

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦/ ١٢٧).

- **نماذج من إخلاص النبي ﷺ:**

١- إخلاصه لزوجته خديجة رضي الله عنها فقد كان يكرم صديقات زوجته خديجة رضي الله عنها بعد موتها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أتىٰ بالشيء يقول: (اذهبوا به إلىٰ فلانة فإنها كانت صديقة خديجة اذهبوا به إلىٰ بيت فلانة فإنها كانت تحب خديجة)(١).

٢- تفقده ﷺ لأصحابه وتسليته لهم، ومساعدتهم وتفريج همومهم: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: (جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي البَيْتِ فَقَالَ: أَيْنَ ابن عَمِّكِ قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ انْظُرْ أَيْنَ هُو؟ فَجَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ هُوَ فِي المَسْجِدِ رَاقِدٌ فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: قُمْ أَبَا تُرَابٍ قُمْ أَبَا تُرَابٍ)(٢)

٣- نصحه ﷺ لأصحابه فكان يناصحهم في الأمور التعبدية، والقضايا الدعوية، والشؤون الأسرية وغيرها. نصح رسول الله ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما حينما بعثهما إلى اليمن فقال: (**يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا**)(٣).

- **نماذج من إخلاص الصحابة رضي الله عنهم:**

لقد ضرب لنا الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة في الإخلاص لله تعالىٰ وظهر أثر إخلاصهم في حياتهم؛ فمنهم المبشرون بالجنة، ومنهم أهل بدر، ومنهم أهل

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٣٢)، والحاكم (٤/ ١٧٥)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢٨١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١)، ومسلم (٢٤٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).

بيعة العقبة، ومنهم أهل بيعة الرضوان، ومنهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وفتح الله علىٰ أيديهم البلاد وقلوب العباد ولقد قال الله فيهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

١- فهٰذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة العادل الزاهد الخائف من ربه المخلص الصادق الذي كان يقف على المنبر وثوبه مرقع وهو يملك ذهب الأمة وفضتها وكنوزها سأل الله تعالى الشهادة فعن عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: (اللَّهُمَّ ٱرْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ ﷺ)(١).

٢- وهٰذا أنس بن النضر رضي الله عنه يشم رائحة الجنة يا لها من بشرىٰ ويا له من إخلاص رفع بشأن صاحبه إلىٰ هٰذِه المنزلة العالية:

قَالَ أَنَسٌ: عَمِّيَ الذِي سُمِّيتُ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرًا، قَالَ: " فَشَقَّ عَلَيْهِ، قَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ غُيِّبْتُ عَنْهُ، وَإِنْ أَرَانِيَ اللهُ مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيَرَانِي اللهُ مَا أَصْنَعُ، " قَالَ: فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا، قَالَ: فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ: يَا أَبَا عَمْرٍو، أَيْنَ؟ فَقَالَ: وَاهًا لِرِيحِ الجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ، قَالَ: فَقَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ، قَالَ: فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ، قَالَ: " فَقَالَتْ أُخْتُهُ - عَمَّتِي الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ - فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ، وَنَزَلَتْ هٰذِه الآيَةُ: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] "، قَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٠).

فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ[١].

- نماذج من إخلاص السلف رحمهم الله تعالىٰ:

١- كان عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ يصلي فاذا دخل الداخل نام علىٰ فراشه[٢].

٢- قال الأعمش: كنت عند إبراهيم النخعي وهو يقرأ في المصحف، فاستأذن عليه رجل فغطّى المصحف، وقال: لا يراني هٰذا أني أقرأ فيه كل ساعة[٣].

٣- قال سفيان بن عيينة: كان دعاء مطرف بن عبد الله (اللهم إني أستغفرك مما تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك مما جعلته لك علىٰ نفسي ثم لم أوف به، وأستغفرك مما زعمت أني أردت به وجهك فخالط قلبي فيه ما قد علمت)[٤].

٤- لما خرج ابن المبارك والناس لغزو الروم واصطف الجمعان، خرج رومي، فطلب البراز، فخرج إليه رجل، فشد العلج عليه فقتله، حتىٰ قتل ستة من المسلمين، وجعل يتبختر بين الصفين يطلب المبارزة، ولا يخرج إليه أحد، فالتفت إلي ابن المبارك، فقال: يا فلان، إن قتلت فافعل كذا وكذا، ثم حرك دابته، وبرز للعلج، فعالج معه ساعة، فقتل العلج، وطلب المبارزة، فبرز له علج آخر فقتله، حتىٰ قتل ستة علوج، وطلب البراز، فكأنهم كاعوا عنه[٥]، فضرب دابته، وطرد بين الصفين، ثم غاب، فلم نشعر بشئ، وإذا أنا به في الموضع الذي كان، فقال لي: يا عبد الله لئن

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٣).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٤/ ٣٥١).

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم (٤/ ٢٢٠).

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢/ ٣٢٧).

(٥) كاعوا عنه: يعني جبنوا.

حدثت بهٰذا أحدًا، وأنا حي، فذكر كلمة[١].

٥- كان أيوب السختياني رحمه الله يقوم الليل كله، فيُخفي ذلك، فإذا كان الصبح رفع صوته كأنما قام تلك الساعة، وكان يقول: إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل[٢].

٦- التقىٰ سفيان والفضيل، فتذاكرا، فبكيا، فقال سفيان: إني لأرجو أن يكون مجلسنا هٰذا أعظم مجلس جلسناه بركة، فقال له الفضيل: لكني أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه شؤما، أليس نظرت إلىٰ أحسن ما عندك، فتزينت به لي، وتزينت لك، فعبدتني وعبدتك؟ فبكىٰ سفيان حتىٰ علا نحيبه، ثم قال: أحييتني أحياك الله[٣].

٧- كان أيوب السختياني إذا رق ودمعت عيناه حك أنفه قال: ما أشد الزكام[٤].

٨- كان الإمام أحمد يقول: أحب أن أكون بشعبٍ في مكة حتىٰ لا أُعرف، قد بُليتُ بالشهرة، إنني أتمنى الموت صباحًا ومساءً، وكان يقول: الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب، وإذا ذكرت الموت، هان علي كل أمر الدنيا، إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل، وكان يقول: ما أعدل بالفقر شيئا، ولو وجدت السبيل لخرجت حتىٰ لا يكون لي ذكر[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٠٨-٤٠٩).

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١٣٠).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٢٦٧).

(٤) الثقات لابن حبان (٨/ ١٦٤).

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٢١٥-٢١٦).

- **فوائد الإخلاص:**

١- الإخلاص أصل في قبول الأعمال والأقوال.

٢- الإخلاص يحرر العبد من عبودية غير الله تعالىٰ.

٣- الإخلاص يحصل به الأمن والهداية في الدارين.

٤- الإخلاص تتحقق به السعادة في الدارين.

٥- الإخلاص يحمل صاحبه علىٰ إجادة العمل وأن يكون محسنًا فيه.

٦- الإخلاص يحمل صاحبه على الوفاء بالعهد والوعد.

٧- الإخلاص يخلص صاحبه من وساوس الشيطان ونزغاته.

٨- الإخلاص يحمل صاحبه عن الٱبتعاد عن الرشوة والاختلاس.

٩- الإخلاص هو الأساس في قبول الدعاء.

١٠- الإخلاص يجعل صاحبه يحظىٰ بالقبول والاحترام عند الناس.

١١- الإخلاص يقوي عزيمة الإنسان وإرادته في مواجهة الشدائد.

١٢- الإخلاص هو السبيل إلىٰ تحمل أعباء الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

- **الوسائل المعينة على اكتساب الإخلاص:**

١- النية الصالحة: عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مَا نَوىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى ٱمْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**"[1].

٢- معرفة الله وعظمته وقدرته وفضله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

٣- كثرة الدعاء واللجوء إلىٰ الله تعالىٰ فالدعاءَ فيه التضرُّعُ إلىٰ الله، وإظهارُ الضعف والحاجة إليه سبحانه، وفيه الٱستعانة به، والتوكل عليه

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَن لَم يدعُ الله سبحانه غَضِبَ عليه)[١].

٤-دفع الرياء وعدم حب الظهور والشهرة، فلقد كان الكثير من السلف رضوان الله تعالىٰ عليهم يخافون علىٰ نفسهم من النفاق، قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من صحابة رسول الله ﷺ كلهم يخاف علىٰ نفسه من النفاق[٢].

يقول النووي رحمه الله: ولو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس، والاحتراز من تطرق ظنونهم الباطلة، لانسد عليه أكثر أبواب الخير، وضيع علىٰ نفسه شيئًا عظيمًا من مهمات الدين، وليس هٰذا طريق العارفين[٣].

٥- مجاهدة النفس قال الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقيل لسهل: أي شيء أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص؛ لأنه ليس له فيه نصيب[٤].

٦- معرفة ضعف النفس قال الله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨]، فأكثر من الاستعانة بالله، وألح عليه بالدعاء أن يرزقك الإخلاص قبل العمل، وأثناء العمل وبعد العمل، واستعذ بالله من شر نفسك ومن الرياء.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٦٥٤).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢٧٤).

(٣) الأذكار للنووي (٦).

(٤) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٧٠).

- أخطاء شائعة حول صفة الإخلاص:

١- طلب الثواب الأخروي مناف للإخلاص:

وكذلك بعضهم يظن أن طلب الثواب الأخروي منافي للإخلاص، فيقول لك: لا تسأل الله الجنة، لا تعمل للجنة، اعمل لله، لا تعمل خوفًا من النار، لا تترك المعاصي خوفًا من النار، وإنما فقط لله، فهم يقولون لو تركت العمل خوفًا من النار وتركت الزنا خوفًا من النار، ولو صليت للجنة فأنت مشرك، ويقولون أشعارًا في هٰذا ومقولات منها: (ما عبدتك خوفًا من نارك ولا طمعًا في جنتك) وهٰذا ضلال مبين.

٢- الإخلاص هو ترك الأعمال الظاهرة أمام الناس:

كذلك تجد بعض الناس ربما يترك الصلاة في المسجد جماعة يقول هٰذا رياء أصلي في البيت أو يترك الأعمال الصالحة الظاهرة بدعوىٰ أنه يخاف علىٰ نفسه من الرياء، وهٰذا من تلبيس الشيطان عليه، وهٰذا الباب يدخل علىٰ من يريد القيام بعمل الخير فيأتيه الشيطان، ويخوفه من المشاركة في أعمال البر خوفا من الرياء.

٣ - يلبس الشيطان علىٰ بعض القائمين بعمل الخير بأن عملهم مناف للإخلاص وإنما يعملون ليعرفوا، أو يذكروا، أو يثنىٰ عليهم، فيتركون ما هم فيه من الخير، ونفع العامة لهٰذِه الوسوسة الشيطانية، والواجب أن لا يلتفت الإنسان إلىٰ هٰذِه الهواجس، وعليه بإصلاح نيته كل ساعة ويجتهد في العمل الصالح .

٢- الهمة

من الصفات المهمة للمتطوع علو الهمة؛ لأن ما يقوم به من العمل يتعلق بثواب الله فكأن الله ٱستعملك عنده للقيام بهذا الخير، وهذا يكفي أن يستشعره القائم علىٰ أعمال البر والتطوع لتعلو همته ولا يفتر من العمل .

تعريف الهمة:

لغة:

قال الجوهري: الهِمَّةُ: واحدةُ الهِمَمِ، وهَمَمْتُ بالشئ أهم همًا إذا أردته[1].

وقال ابن منظور: هم بالشيء يهم هما: نواه وأراده وعزم عليه، والهمة والهمة: ما هم به من أمر ليفعله. وتقول: إنه لعظيم الهم وإنه لصغير الهمة، وإنه لبعيد الهمة والهمة، بالفتح. والهمام: الملك العظيم الهمة[2].

في الأصطلاح:

قال الجرجاني: الهمة: توجه القلب، وقصده بجميع قواه الروحانية إلىٰ جانب الحق لحصول الكمال له أو لغيره[3].

ثانيا: الأدلة من القرآن والسنة وأقوال السلف:

*** الأدلة من القرآن:**

١- قال الله تعالىٰ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣].

قال ابن كثير: فمن سابق إلىٰ هٰذِه الدنيا وسبق إلى الخير، كان في الآخرة

---

(١) الصحاح للجوهري (٥/ ٢٠٦١). (٢) لسان العرب (١٢/ ٢١).

(٣) التعريفات للجرجاني (ص ٢٥٧).

من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان(١).

٢- وقال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١]. قال السعدي: أمر بالمسابقة إلىٰ مغفرة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومظانها، والمسابقة إلىٰ رضوان الله بالعمل الصالح، والحرص علىٰ ما يرضي الله على الدوام، من الإحسان في عبادة الخالق، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع(٢).

٣- وقال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [البقرة: ١٤٨]

٤- وقال تعالىٰ: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١].

٥- وقال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

قال السعدي: في ميدان التسارع في أفعال الخير، همهم ما يقربهم إلىٰ الله، وإرادتهم مصروفة فيما ينجي من عذابه، فكل خير سمعوا به، أو سنحت لهم الفرصة إليه، أنتهزوه وبادروه، قد نظروا إلىٰ أولياء الله وأصفيائه، أمامهم، ويمنة، ويسرة، يسارعون في كل خير، وينافسون في الزلفىٰ عند ربهم، فنافسوهم. ولما كان السابق لغيره المسارع قد يسبق لجده وتشميره، وقد لا يسبق لتقصيره، أخبر تعالىٰ أن هٰؤلاء من القسم السابقين فقال: ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ أي: للخيرات ﴿سَابِقُونَ﴾ قد بلغوا ذروتها، وتباروا هم والرعيل الأول، ومع هٰذا، قد سبقت لهم من الله سابقة السعادة، أنهم سابقون(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٢). (٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٨٤١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٥٥٤).

الأدلة من السنة:

١- عن الحسين بن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ وأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا**"[١].

قال المناوي: (سفسافها) بفتح أوله أي حقيرها ورديئها فمن اتصف من عبيده بالأخلاق الزكية أحبه ومن تحلىٰ بالأوصاف الرديئة كرهه، وشرف النفس صونها عن الرذائل والدنايا والمطامع القاطعة لأعناق الرجال فيربأ بنفسه أن يلقيها في ذلك وليس المراد به التيه[٢].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بالله وَلاَ تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، ولكن قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**"[٣].

قال النووي: معناه احرص علىٰ طاعة الله تعالىٰ والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالىٰ علىٰ ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة[٤].

أقوال السلف:

١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لَا تُصَغِّرُنَّ هِمَّتَكُمْ فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَقْعَدَ عَنْ الْمَكْرُمَاتِ مِنْ صِغَرِ الْهِمَمِ[٥].

٢- عن جعفر الخلدي أنه قال لرجل: كن شريف الهمة فإن الهمم تبلغ بالرجال لا المجاهدات[٦].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير(٢٨٩٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٢٧).
(٢) فيض القدير للمناوي (١٨٨٩). (٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).
(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ٢١٥).
(٥) أدب الدنيا والدين (ص٣١٩). (٦) تاريخ بغداد (٧/ ٢٢).

٣- وقال ابن الجوزي:

* أعظم البلايا أن: يعطيك همة عالية، ويمنعك من العمل بمقضتاها.

* وقال: همة المؤمن متعلقة بالآخرة، فكل ما في الدنيا يحركه إلىٰ ذكر الآخرة، وكل من شغله شيء، فهمته شغله.

* وقال: من رزق همة عالية، يعذب بمقدار علوها!

كما قال الشاعر:

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسامُ

* وقال: وما تقف همة إلا لخساستها؛ وإلا فمتىٰ علت الهمة فلا تقنع بالدون.

* وقال: كانت همم القدماء من العلماء عالية، تدل عليها تصانيفهم، التي هي زبدة أعمارهم؛ إلا أن أكثر تصانيفهم دثرت؛ لأن همم الطلاب ضعفت، فصاروا يطلبون المختصرات، ولا ينشطون للمطولات، ثم ٱقتصروا علىٰ ما يدرسون به من بعضها، فدثرت الكتب، ولم تنسخ![1].

٤- وقال ابن القيم:

* أعلَى الهمم همة من ٱستعد صَاحبهَا للقاء الحبيب[2].

* وقال: إِذا أصبح العَبْد وَأمسىٰ وَلَيْسَ همه إِلَّا الله وَحده تحمل الله سُبْحَانَهُ حَوَائِجه كلهَا وَحمل عَنهُ كل مَا أهمه وَفرغ قلبه لمحبته وَلسَانه لذكره وجوارحه لطاعته وَإِن أصبح وَأمسىٰ وَالدُّنْيَا همه حمله الله همومها وغمومها، وأنكادها ووكله إِلَىٰ نَفسه فشغل قلبه عَن محبته بمحبة الخلق وَلسَانه عَن ذكره بذكرهم وجوارحه عَن طَاعَته بخدمتهم وأشغالهم[3].

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص ١٩٩ - ٤١١).

(٢) الفوائد لابن القيم (ص ٧٨).

(٣) المصدر السابق (ص٨٤).

* وقال: فعلو همة المرء عنوان فلاحه، وسفول همته عنوان حرمانه[(١)].

نماذج مشرقة من الهمم العالية:

*** علو همة الأنبياء والرسل:**

لقد أثنىٰ الله ﷻ في القرآن علىٰ أصحاب الهمم العالية، وفي مقدمتهم الأنبياء والمرسلين، لا سيما أولوا العزم من الرسل، وعلىٰ رأسهم سيدهم وأشرفهم وخاتمهم محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وقد تجلت همتهم العالية في جميع المجالات منها:-

علو همتهم في الدعوة إلى الإسلام والتوحيد ونبذ الشرك والأوثان:

قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف: ٧٣].

علو همتهم في الحلم والصبر على الأذىٰ:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال تعالىٰ عن نبيه نوح ﷺ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٦٠ - ٦٢].

---

(١) المصدر السابق (ص ١٦٣).

وقال تعالىٰ عن نبيه هود عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأعراف: ٦٦، ٦٧].

علو همتهم في التوكل علىٰ الله تعالىٰ:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم: ١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٩].

علو همتهم في الدعاء والتضرع إلىٰ الله:

قال تعالىٰ: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣ - ٩٠].

علو همتهم في شفقتهم وخوفهم علىٰ أقوامهم من العذاب والهلاك:

قال تعالىٰ عن نبيه نوح: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩] وقال تعالىٰ: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود: ٢٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [هود: ٣، ٤].

وقال تعالىٰ عن نبيه شعيب: ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ [هود: ٨٤].

علو همتهم في الاحتساب:

قال تعالىٰ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورىٰ: ٢٣].

علو همتهم في الكرم والسخاء:

قال تعالىٰ في شأن الخليل إبراهيم عليه السلام الملقب بأبي الضيفان: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٧].

علو همة النبي ﷺ:

١- عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّىٰ تَرِمَ قَدَمَاهُ - أَوْ سَاقَاهُ - فَيُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ: "**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**"[1].

٢- عن أنس بن مالك، قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَىٰ فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: "**لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا**" قَالَ: وَجَدْنَاهُ بَحْرًا، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ. قَالَ: وَكَانَ فَرَسًا يُبَطَّأُ[2].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩). (٢) أخرجه مسلم (٢٣٠٧).

- **علو همة الصحابة ﷺ:**

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟**" قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: "**فَمَنْ تَبعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟**" قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: "**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا**" قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: "**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا**" قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ**"[١].

٢- عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال يوم خيبر: "**لَأُعْطِيَنَّ هٰذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ**" قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَحْبَبْتُ الإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، قَالَ فَتَسَاوَرْتُ لَهَا رَجَاءَ أَنْ أُدْعَىٰ لَهَا، قَالَ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَقَالَ: "**امْشِ، وَلاَ تَلْتَفِتْ، حَتَّىٰ يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْكَ**" قَالَ فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ، فَصَرَخَ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَىٰ مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ: "**قَاتِلْهُمْ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**"[٢].

٣- عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**سَلْنِي أُعْطِكَ**"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْظِرْنِي أَنْظُرْ فِي أَمْرِي، قَالَ: "**فَانْظُرْ فِي أَمْرِكَ**"، قَالَ: فَنَظَرْتُ فَقُلْتُ: إِنَّ أَمْرَ الدُّنْيَا يَنْقَطِعُ فَلَا أَرَىٰ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ شَيْءٍ آخُذُهُ لِنَفْسِي لِآخِرَتِي، فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "**مَا حَاجَتُكَ؟**"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اشْفَعْ لِي إِلَىٰ رَبِّكَ ﷻ، فَلْيُعْتِقْنِي مِنَ النَّارِ، فَقَالَ: "**مَنْ أَمَرَكَ بِهٰذَا؟**"، فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ، وَلَكِنِّي نَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَرَأَيْتُ أَنَّ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ مِنْ أَهْلِهَا، فَأَحْبَبْتُ أَنْ آخُذَ لِآخِرَتِي، قَالَ:

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٢٨).

(٢) أخرجه مسلم(٢٤٠٥).

"فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ"[١].

قال ابن القيم: وإذا أردت أن تعرف مراتب الهمم، فانظر إلىٰ همة ربيعة ابن كعب الأسلمي ﵁ وقد قال له رسول الله ﷺ سلني - فقال: أسألك مرافقتك في الجنة[٢]. وكان غيره يسأله ما يملأ بطنه، أو يواري جلده[٣].

علو همة السلف:

١- ٱجتمع عبد الله بن عمر، وعروة بن الزبير، ومصعب بن الزبير، وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبه، فقال لهم مصعب: "تمنَّوا"، فقالوا: "ابدأ أنت"، فقال: "وِلاية العراق، وتزوُّج سكَينة ابنة الحسين، وعائشة بنت طلحةَ بن عبيد الله"، فنال ذلك، وأصدق كل واحدة خمسمائة ألف درهم، وجهَّزها بمثلها، وتمنىٰ عروة بن الزبير الفقه، وأن يُحمل عنه الحديثُ، فنال ذلك، وتمنىٰ عبد الملك الخلافة، فنالها"، وتمنىٰ عبد الله بن عمر الجنة[٤].

٢- ٱجتمع جماعة من أصحاب ابن المُبَارَك، مثل الفضل بْن مُوسَىٰ، ومخلد بْن حسين، ومُحَمَّد بْن النضر، فقالوا: تعالوا حَتَّىٰ نعد خصال ابن المُبَارَك من أبواب الخير، فقالوا: جمع العلم، والفقة، والأدب، والنحو، واللغة، والشعر، والفصاحة، والزهد والورع، والإنصاف، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والشدة فِي بدنه، وترك الكلام فِي ما لا يعنيه، وقلة الخلاف عَلَىٰ أصحابه[٥].

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٥٧٨) بلفظه، وأخرجه مسلم(٤٨٩) مختصرًا.

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٩).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ص١٤٠).

(٤) الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها لمحمد (ص ١٩).

(٥) تهذيب الكمال للمزي (١٦/ ١٨).

٣- عن أبي القاسم بن عقيل الوراق، أن أبا جعفر الطبري قَالَ لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة.فقالوا: هٰذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة.ثم قَالَ: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلىٰ وقتنا هٰذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحوا مما ذكره في التفسير فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إنا لله ماتت الهمم[١].

فوائد الهمة العالية:

١- دليل علىٰ كمال الرّجولة وكمال المروءة.

٢- تثمر سعادة الدّنيا والآخرة.

٣- خلق يوصل إلىٰ محبّة الله ومحبّة النّاس.

٤- يحقّق الرّفاهية والسّعادة للأفراد والشّعوب.

٥- حياة القلب وقوته.

٦- عدم القناعة بالدون وعدم الرضا إلا بمعالي الأمور.

٧- شرف النفس ومعرفة قدرها[٢].

الوسائل المعينة على تحصيل الهمة العالية[٣]:

١- طبيعة الإنسان فمن الناس من جبل علىٰ علو الهمة فلا يرضىٰ بالدون ولا يقنع بالقليل ولا يلتفت إلى الصغائر ولا تغدوا بلبه الدنايا ومحقرات الأمور.

٢-أثر الوالدين ودورهما في التربية الصحيحة: بالحرص علىٰ تربية

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٥٤٨)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٥).

(٢) نضرة النعيم (٧/ ٣٠٠٩) مع بعض الإضافات

(٣) الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص ١٣٧-٢٧١) باختصار وتصرف.

الأولاد وتنشئتهم علىٰ كريم الخلال مع تجنيبهم مساوئ الأخلاق فإن لذلك أثرا عظيما.

٣- النشأة في مجتمع ملي بالقمم فهٰذا مما يحرك همته ويبعث عزمته كي يحذوا حذوهم ويسير علىٰ نولهم.

٤- قوة الإيمان بالله ﷻ.

٥- الدعاء، فبه تشرف النفس وتعلوا الهمة.

٦- العلم والبصيرة، فالعلم يصعد بالهمة ويرفع طالبه عن حضيض التقليد.

٧- الحياء: فالحيي لا يرضىٰ بالدون ولا أن يكون من سقط المتاع فيبعثه حياؤه إلى التحلي بالفضائل والتخلي من الرذائل.

٨- قراءة القرآن بتدبر، فالقرآن يهدي للتي هي أقوم وعلو الهمة من جملة ذلك.

٩- حسن النية وإخلاص العمل.

١٠- قصر الأمل وتذكر الآخرة.

١١- النظر إلىٰ من هو أعلىٰ في الفضائل وإلىٰ من هو أدنىٰ في أمور الدنيا.

١٢- مصاحبة الأخيار وأهل الهمم العالية.

١٣- الغيرة الصادقة.

١٤- مطالعة سير السلف والمصلحين.

١٥- استشعار المسئولية.

١٦- الحرص على الإفادة من كل أحد ومن كل موقف.

١٧- ٱستثارة الهمة وتحريك الإرادة.

١٨- انتهاز الفرص واغتنام الأوقات.

١٩- الشجاعة والإقدام واطراح المبالغة في تعظيم شأن الخوف.

٢٠- الصبر والمصابرة والجد والمثابرة.

أسباب انحطاط الهمم[(١)]:

١- طبيعة الإنسان، فهناك من الناس من جبل علىٰ دنو الهمة فلا يسعىٰ في تطلاب الكمال.

٢- التربية المنزلية، بأن لا يربى الأولاد علىٰ معالي الأمور.

٣- البيئة والمجتمع، فقد يكونا سببا لترقي الإنسان وقد يكون بالعكس من ذلك تماما.

٤- هَم الزوجة والأولاد، فقد تكون الزوجة والأولاد من المعوقات عن السعي للمعالي.

٥- قلة التشجيع، فإذا برز في ميدان من الميادين لا يجد أحدا يأخذ بيده بل ربما وجد من يخذله.

٦-صحبة الأشرار ومرافقة المخذلين.

٧-ضعف الإيمان.

٨- المبالغة في أحتقار النفس فهو يقتل الطموح ويفقد ثقة الإنسان بنفسه.

٩- الخور والمبالغة في تعظيم شأن الخوف فيثنيه عن تطلب الكمال والسعي في درج العلا.

١٠- قلة الصبر واستطالة الطريق.

١١- كثرة الشواغل والقواطع التي تصرف الإنسان عن تطلاب المعالي.

١٢- اختلاق المعاذير والمبررات التي يعلق عليها الإخفاق والعجز.

١٣- قلة الحياء، فقليل الحياء لا يبالي بدنو همته وسفول قدره.

١٤- التقليد الأعمىٰ فكم وضع من همة وثنىٰ من عزيمة.

---

(١) الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص ٦٧-٩٨) باختصار وتصرف.

العلامات الدالة على علو همة الإنسان[1]:

١ - التحرُّق علىٰ ما مضىٰ من الأيام وكأنه لم يكن قطُّ صاحب الهمّة المتألق المنجز لكثير من الأمور، وأكثر ما يكون ذلك علىٰ فراش الموت.

٢ - كثرة همومه، وتألمه لحال المسلمين وما يجدون من ظلم وعَنَت.

٣ - موالاته النصيحةَ وتقديم الحلول والاقتراحات -التي تقوم بالإسلام والمسلمين وتعزهم- لمن يأمل فيهم التغيير ويرجو منهم الإصلاح.

٤ - طلبه للمعالي دائمًا فيما يفعله أو يتعلمه أو يصلحه.

قال الأستاذ محمد الخضر حسين: طالب العلم الذي لا يدع بابًا من أبوبه إلا ولجه.. يكون أعظم همة ممن لا يطرق منه كل باب، أو لم يعرج منه علىٰ كل مسألة قيمة، وطالب العلم الذي يخوضه بنظر حر ويتناول مباحثه بنقد وبصيرة يكون أعظم همة ممن يجمع مسائله حفظًا ويتلقاها كما يتلقىٰ حاكي الصدىٰ لا يكلفك غير إملائها عليه.

٥ - كثرة شكواه من ضيق الوقت وعدم قدرته علىٰ إنجاز ما يريده في اليوم والليلة، وليست هٰذِه الشكوىٰ من نمط ما نسمع من ترداد كثير من الناس لها، ولكنها شكوىٰ حقيقية نابعة من عمل دؤوب يستغرق أوقات الشخص فيبث تلك الآهات الصادقة.

٦ - قوة عزمه وثبات رأيه وقلة تردُّده، فهو إذا قرّر أمرًا راشدًا لا يسرع بنقضه بل يستمر فيه ويثبت عليه حتىٰ يقضيه ويجني ثمرته، ولا شك أن كثرة التردد ونقض الأمر بعد إبرامه من علامات تدني الهمّة.

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة ... فإن فساد الرأي أن تتردّدا

---

(١) الهمة طريق إلى القمة لمحمد موسى الشريف (ص٦١-٦٢) بتصرف.

بعض مجالات علو الهمة:

* علو الهمة في قضاء الحوائج وكسوة العراة وإطعام الجائعين:

١- قال الزبير بن بكار: كان للعباس بن عبد المطلب ثوب لعاري لبني هاشم وجفنة لجائعهم وكان يمنع الجار ويبذل المال ويعطي في النوائب[١].

٢- قال ابن عيينة: كان سعيد بن العاص إذا قصده سائل وليس عنده شيء، قال: ٱكتب علي سجلاً بمسألتك إلى الميسرة[٢].

٣- ذكر عبد الأعلىٰ بن حماد: أن سعيد بن العاص قيل إنه أطعم الناس في قحط حتىٰ نفد ما في بيت المال وأدان[٣].

٤- قال حسين الجعفي: قدم ابن الحر وعبدة في تجارة مكة وبها فاقة، فتصدقا بعشرة آلاف، ففضل خلق من المساكين، فما تخلصوا منهم إلا بإنفاق أربعين ألفًا، وخرجوا من مكة ليلاً[٤].

٥- قال أشهب بن عبد العزيز: كان الليث له كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها.. ويجلس لحوائج الناس لا يسأله أحد فيرده كبرت حاجته أو صغرت، وكان يطعم الناس في الشتاء الهرائس بعسل النحل وسمن البقر، وفي الصيف سويق اللوز في السكر[٥].

٦- قال عبدان بن عثمان الأزدي: ما سألني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي، فإن تم، وإلا قمت له بمالي، فإن تم، وإلا ٱستعنت بالإخوان، فإن تم، وإلا ٱستعنت بالسلطان[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٨٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٧).
(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٩).
(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٥٠).
(٦) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧١).

*** علو الهمة في سداد الديون عن الغرماء:**

١- لما توفي الزبير لقي حكيم بن حزام عبدالله بن الزبير فقال كم ترك أخي من الدين فقال: ألف ألف، قال علي خمسمائة[(١)].

٢- كاتب ابن عمر غلامًا له بأربعين ألفًا، فخرج إلى الكوفة، فكان يعمل علىٰ حمر له، حتىٰ أدىٰ خمسة عشر ألفًا، فجاءه إنسان، فقال: أمجنون أنت؟ أنت ها هنا تعذب نفسك، وابن عمر يشتري الرقيق يمينًا وشمالاً، ثم يعتقهم؛ ٱرجع إليه، فقل: عجزت. فجاء إليه بصحيفة، فقال: يا أبا عبد الرحمن! قد عجزت، وهٰذِه صحيفتي، فامحها. فقال: لا، ولٰكن ٱمحها أنت إن شئت. فمحاها، ففاضت عينا عبد الله، وقال: ٱذهب فأنت حر. قال: أصلحك الله، أحسن إلى ابني. قال: هما حران. قال: أصلحك الله، أحسن إلىٰ أمي ولدي. قال: هما حرتان[(٢)].

٣- عن عمرو بن دينار، قال: دخل علي بن الحسين علىٰ محمد بن أسامة بن زيد في مرضه، فجعل محمد يبكي، فقال: ما شأنك؟ قال: علي دين. قال: وكم هو؟ قال: بضعة عشر ألف دينار. قال: فهي علي[(٣)].

٤- عن سلمة بن سليمان، قال: جاء رجل إلى ابن المبارك، فسأله أن يقضي دينًا عليه، فكتب له إلىٰ وكيل له. فلما ورد عليه الكتاب، قال له الوكيل: كم الدين الذي سألته قضاءه؟ قال: سبع مائة درهم وإذا عبد الله قد كتب له أن يعطيه سبعة آلاف درهم، فراجعه الوكيل، وقال: إن الغلات قد فنيت. فكتب إليه عبد الله: إن كانت الغلات قد فنيت، فإن العمر أيضا قد فني، فأجز له ما سبق به قلمي[(٤)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢١٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٤).

(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٦).

* علو الهمة في إغاثة المنكوبين:

عَنِ ابن سِيْرِيْنَ: أَنَّ رجلاً جَلَبَ سُكَّراً إِلَى المَدِيْنَةِ، فَكَسَدَ، فَبلغَ عَبْدَ اللهِ بن جعْفرٍ، فَأَمر قهْرمَانهُ أَنْ يَشْتريَهُ، وَأَنْ يُنْهِبَهُ الناسَ[١].

علو الهمة في تجهيز الموتىٰ:

قال ابن الأنماطي: كان عبد الله بن فرج الواسطي قد وقف نفسه علىٰ مصالح المسلمين، والمشي في قضاء حوائجهم، وكان أكثر همه تجهيز الموتىٰ على الطرق[٢].

كيفية استثمار همة الناس[٣]:

يجب علينا أن نحسن ٱستثمار الهمّة عند الناس، ونستخرج منهم دفائن الكنوز وخبايا الصدور والعقول وذلك عن طريق الآتي:

١ - المشاركة في أعمال الخير العامة مثل بناء المساجد، وإغاثة المنكوبين، وإقامة المنشآت النافعة ونحو ذلك، وخير ما يمكن أن يشاركوا فيه هو تلك الهيئات والجمعيات الإسلامية المنتشرة في العالم الإسلاميّ، ولله الحمد، حيث إن الكوارث والنكبات التي تحيط بالعالم الإسلاميّ والتي توضحها وتتبناها تلك الهيئات كفيلة بإثارة نوازع الشفقة والخير فيهم، فينشطون للمساعدة بهمة جيدة.

٢ - توجيههم إلىٰ بذل أوقاتهم في تحصيل العلوم الشرعية والقرب من العلماء وطلبة العلم.

٣ - التوضيح والتبيين لهم بأنهم يضيعون أوقاتهم فيما لا يفيد، فلو قضوا ذلك في مجالات أجدىٰ وأنفع لكان حسنًا.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٣٢).

(٣) الهمة طريق إلى القمة لمحمد بن حسن بن موسى الشريف (ص ٦٣-٦٦) بتصرف.

٤ - توجيههم للقراءة النافعة، إذ معظم الشباب أمّيو الثقافة وإن كانوا يحملون شهادات جامعية، فقد عكف الناس للأسف علىٰ متابعة أخبار بعينها وتركوا ما ينفعهم عاجلًا وآجلًا ويثير فيهم الغرام إلىٰ دار السلام.

٥- الأنتساب إلىٰ جمعية أو هيئة لها برنامج عمل محدد يُنجز من خلالها كثير من الأمور النافعة، وذلك مثل بعض الهيئات الإغاثية المنتشرة في العالم الإسلاميّ، أو جمعيات البر، أو لجان البر، أو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك، وليحذر من التأثر بما تشتمل عليه بعض هٰذِه الهيئات من نوع خطأ أو ميل قليل عن الحق فيترك العمل كلية لأجل هٰذا.

٦ - التوعية بأن يختار لنفسه مجالًا يبدع فيه ويبرز ويكون عطاؤه من خلاله بالغًا غايته، وهمته في إنجازه قوية عالية، فمن وجد من نفسه أنصرافًا للعلم وتحصيله فليقبل عليه، ومن وجد منها ميلًا إلى الأعمال الخيرية والإغاثية فليشارك إخوانه، ولا يتوان وليقدم علىٰ بركة الله تعالىٰ، وهكذا.

٣- الأمانة

المتطوعون أمناء علىٰ أموال المنفقين يحفظونها ويضعونها في موضعها وللمستحقين من المسلمين، فلا يفرطون في حفظها ولا في إهلاكها في غير حقها، فالمتبرعون قد برأت ذمتهم بتسليم المال للمتطوع، وعلىٰ هٰذا فقد تحمل أمانة عظيمة لا بد من القيام بها كما أمر الله تعالىٰ.

تعريف الأمانة

الأمانة في اللغة:

قال ابن فارس: (أَمَنَ) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق. والمعنيان متدانيان.

وقال الراغب: أصل الأَمْن طمأنينة النفس وزوال الخوف، ويجعل الأمان تارة ٱسما للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة ٱسما لما يؤمن عليه الإنسان، نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ﴾، أي: ما ٱئتمنتم عليه[١].

الأمانة في الٱصطلاح:

قال الكفوي: الأمانة: كل ما يؤتمن عليه كأموال وحرم وأسرار فهو أمانة. وقال أيضا: الأمانة: كل ما ٱفترض على العباد فهو أمانة كصلاة وزكاة وصيام وأداء دين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأَسْرَار[٢].

---

(١) ٱنظر: المفردات للراغب الأصفهاني (١/ ٩٠)، ولسان العرب لابن منظور (١/ ١٦٣)، ومقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٣٥).

(٢) الكليات للكفوي (١/ ١٧٦- ١٨٧).

وقال المناوي: الأمانة هي كل حق لزمك أداؤه وحفظه[(١)].

وقال أبو العباس القرطبي: الأَمَانَةُ كلٌّ ما يُوَكَّلُ إلى الإنسانِ حفظُهُ ويُخَلَّىٰ بينه وبينه[(٢)].

الأدلة من القرآن والسنة وأقوال السلف:

الأدلة من القرآن:

١- قال تعالىٰ ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨].

قال ابن جرير: وأريد به كل مؤتمن علىٰ أمانة فدخل فيه ولاة أمور المسلمين وكل مؤتمن علىٰ أمانة في دين أو دنيا.

وقال ابن كثير: وهٰذا من المشهورات أن هٰذِه الآية نزلت في ذلك يعني: مفتاح الكعبة.

وسواء كانت نزلت في ذلك أو لا فحكمها عام ولهٰذا **قال ابن عباس**: هي للبر والفاجر، أي: هي أمر كل أحد بأداء الأمانة[(٣)].

وقال ابن عثيمين: تأمل هٰذِه الصيغة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ صيغة قوة وسلطان لم يقل: أدوا الأمانة، ولم يقل: إني آمركم ولٰكن قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ بأمركم بألوهيته العظيمة، يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلىٰ أهلها، فأقام الخطاب مقام الغائب تعظيمًا لهٰذا المقام ولهٰذا الأمر، وهٰذا كقول السلطان - ولله المثل الأعلىٰ- إن الأمير يأمركم، أن الملك يأمركم، فهٰذا أبلغ وأقوىٰ من قوله: إني آمركم كما قال ذلك علماء البلاغة، (أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) ومن لازم الأمر بأداء الأمانة إلىٰ أهلها الأمر بحفظها لأنه لا يمكن أداؤها إلىٰ أهلها إلا بحفظها. وحفظها إلا يتعدىٰ فيها ولا

---

(١) فيض القدير للمناوي (٣٠٨).   (٢) المفهم للقرطبي (١/ ٣٥٦).

(٣) تفسير الطبري (١/ ١٦٨)، تفسير ابن كثير(٢/ ٣٤١).

يفرط، بل يحفظها حفظًا تامًا ليس فيه تعدّ ولا تفريط، حتىٰ يؤديها إلىٰ أهلها[١].

٢- قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠﴾ [المؤمنون: ٨- ١٠].

قال ابن جرير: يقول تعالىٰ ذكره: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ التي ائتمنوا عليها، ﴿وعهدهم﴾ وهو عقودهم التي عاقدوا الناس ﴿رَاعُونَ﴾ يقول: حافظون لا يضيعون، ولكنهم يوفون بذلك كله[٢].

٣- قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

٤- قال تعالىٰ: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۝٢٦﴾ [القصص: ٢٦].

قال السعدي: فإنه جمع القوة والأمانة، وخير أجير استؤجر، من جمعهما، أي: القوة والقدرة علىٰ ما استؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولىٰ للإنسان عملا بإجارة أو غيرها فإن الخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد إحداهما، وأما باجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل، وإنما قالت ذلك، لأنها شاهدت من قوة موسىٰ عند السقي لهما ونشاطه، ما عرفت به قوته وشاهدت من أمانته وديانته وأنه رحمهما في حالة لا يرجىٰ نفعهما وإنما قصده بذلك وجه الله تعالىٰ[٣].

٥- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢].

---

(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٢/ ٤٦٣).
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ١٣). (٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٦١٤).

قال السعدي: يعظّم تعالىٰ شأن الأَمَانَة، التي ٱئتمن الله عليها المكلّفين، التي هي ٱمتثال الأوامر واجتناب المحارم في حال السِّرِّ والخفية كحال العلانية وأنَّه تعالىٰ عرضها على المخلوقات العظيمة السَّماوات والأرض، والجبال عَرْض تخيير لا تحتيم وأنَّكِ إن قمتِ بها وأدَّيتِهَا علىٰ وجهها، فلكِ الثَّواب وإن لم تقومي بها، ولم تؤدِّيها، فعليك العقاب، فَأَبَيْنَ: أَن يَحْمِلْنَهَا، وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا أي: خوفًا: أن لا يقمن بما حُمِّلْنَ لا عصيانًا لربِّهن، ولا زهدًا في ثوابه وعَرَضَها الله على الإنسان علىٰ ذلك الشَّرط المذكور فقَبِلها وحملها مع ظلمه وجهله وحمل هٰذا الحمل الثقيل[1].

الأدلة من السنة:

١- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (حدَّثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: حدَّثنا **أنَّ الأَمَانَة نزلت في جذر قلوب الرِّجال، ثمَّ علموا مِن القرآن ثمَّ علموا مِن السُّنَّة. وحدَّثنا عن رفعها. قال: ينام الرَّجل النَّومة فتقبض الأَمَانَة مِن قلبه فيظلُّ أثرها مثل أثر الوَكْت. ثمَّ ينام النَّومة فتُقْبض فيبقىٰ فيها أثرها مثل أثر المجْل كجمر دحرجته علىٰ رجلك فنَفِط فتراه منتبرًا وليس فيه شيء ويصبح النَّاس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدِّي الأَمَانَة، فيقال: إنَّ في بني فلان رجلًا أمينًا ويقال للرَّجل: ما أعقله وما أظرفه! وما أجلده! وما في قلبه مثقال حبَّة خردل مِن إيمان)**[2].

قال صاحب التحرير: معنى الحديث: أن الأمانة تزول عن القلوب شيئًا فشيئًا فإذا زال أول جزء منها زال نورها، وخلفته ظلمة كالوكت، وهو ٱعتراض لون مخالف للون الذي قبله، فإذا زال شيء آخر صار كالمجل، وهو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة وهٰذه الظلمة فوق التي قبلها، ثم شبه

---

(١) تيسبر الكريم الرحمن للسعدي (٦٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣).

زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب، وخروجه بعد ٱستقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه بجمر يدحرجه علىٰ رجله حتىٰ يؤثر فيها، ثم يزول الجمر ويبقى التنفط[١].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بينما النَّبيُّ ﷺ في مجلس يحدِّث القوم، جاء أعرابيٌّ فقال: متى السَّاعة؟ فمضىٰ رسول الله ﷺ يحدِّث. فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتىٰ إذا قضىٰ حديثه قال: "**أين أُراه السَّائل عن السَّاعة؟**" قال: ها أنا يا رسول الله. قال: "**فإذا ضُيِّعت الأَمَانَة فانتظر السَّاعة**". قال: كيف إضاعتها؟ قال: "**إذا وُسِّد الأمر إلىٰ غير أهله فانتظر السَّاعة**"[٢].

٣- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: (**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدى الذِي عَلَيْهِ فِيهَا**)[٣].

قال النووي: هٰذا الحديث أصل عظيم في ٱجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلا لها أو كان أهلا ولم يعدل فيها فيخزيه الله - تعالىٰ- يوم القيامة، ويفضحه، ويندم علىٰ ما فرط وأما من كان أهلا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة كحديث سبعة يظلهم الله والحديث المذكور هنا عقب هٰذا أن المقسطين علىٰ منابر من نور وغير ذلك وإجماع المسلمين منعقد عليه ومع هٰذا فلكثرة الخطر فيها حذره ﷺ منها، وكذا حذر العلماء، وامتنع منها خلائق من السلف وصبروا على

---

(١) شرح مسلم للنووي (٢/ ١٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٢٥).

الأذىٰ حين ٱمتنعوا[١].

٦- وعن أبي موسى الأشعري ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: (الخَازِنُ المُسْلِمُ الأَمِينُ، الذِي يُنْفِذُ - وَرُبَّمَا قَالَ: يُعْطِي - مَا أُمِرَ بِهِ كَامِلًا مُوَفَّرًا طَيِّبًا بِهِ نَفْسُهُ، فَيَدْفَعُهُ إِلَى الذِي أُمِرَ لَهُ بِهِ أَحَدُ المُتَصَدِّقَيْنِ)[٢].

قال أبو العباس القرطبي: هٰذِه الأوصاف لابدّ من ٱعتبارها في تحصيل أجر الصدقة للخازن، فإنه إن لم يكن مسلمًا لم تصحَّ منه نية التقرُّب، وإن لم يكن أمينًا كان عليه وزر الخيانة، فكيف يحصل له أجر الصدقة؟! وإن لم يطب بذلك نفسًا لم يكن له نية، فلا يؤجر[٣].

أقوال السلف في الأمانة:

١- عَنْ عُمَرَ ﵁ أَنَّهُ قَالَ: لاَ تَغُرَّنَّكَ صَلاَةُ ٱمْرِئٍ وَلاَ صَوْمُهُ، مَنْ شَاءَ صَامَ، أَلاَ لاَ دِينَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ[٤].

٢- وعنه ﵁ قال: لا تنظروا إلىٰ صيام أحد ولا صلاته ولكن ٱنظروا إلىٰ صدق حديثه إذا حدث وأمانته إذا ٱئتمن وورعه إذا أشفىٰ[٥].

٣- عَنْ وُسَّقَ الرُّومِيِّ، قَالَ: كُنْتُ مَمْلُوكًا لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﵁ وَكَانَ يَقُولُ لِي: أَسْلِمْ فَإِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ ٱسْتَعَنْتُ بِكَ عَلَىٰ أَمَانَةِ المُسْلِمِينَ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَسْتَعِينَ عَلَىٰ أَمَانَتِهِمْ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأَبَيْتُ، فَقَالَ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦] قَالَ: فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ أَعْتَقَنِي، وَقَالَ: ٱذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ[٦].

---

(١) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم(١٢/ ٢١٠).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٣٨)، ومسلم (١٠٢٣).
(٣) المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم لأبي العباس القرطبي (٣/ ٦٨) .
(٤) السنة لأبي بكر الخلال (١٤٩١).
(٥) حلية الأولياء (٣/ ٢٧).
(٦) الأموال للقاسم بن سلام (٨٧).

٤ - قَالَ ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: لَمْ يُرَخِّصِ اللهُ لِمُعْسِرٍ وَلَا لِمُوسِرٍ أَنْ يُمْسِكَ الأَمَانَةَ(١).

نماذج مشرقة للأمانة:

الأمانة من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين:

من الملاحظ في أسس العقيدة أن الأمانة من أبرز أخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لأنها شرط أساسي لاصطفائهم بالرسالة فلولا أنهم أمناء لما ٱستأمنهم الله علىٰ رسالاته لخلقه(٢).

١- قال تعالىٰ عن موسىٰ عليه السلام: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان: ١٧-١٨].

٢- وقال تعالىٰ عن نوح عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٥-١٠٧].

٣- وقال تعالىٰ عن هود عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف: ٦٧- ٦٨].

وقال أيضا: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٢٤-١٢٥].

٤- وقال تعالىٰ عن صالح عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٤٢، ١٤٣].

٥- وقال تعالىٰ عن شعيب عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٧٧، ١٧٨].

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٢٦٥).

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني (١/ ٦٤٨).

أمانة النبي ﷺ:

- اتصافه ﷺ بين قومه بالأمين:

قال ابن هشام: فشب رسول الله ﷺ، والله تعالىٰ يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتىٰ بلغ أن كان رجلا، وأفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأكرمهم حسبا، وأحسنهم جوارا، وأعظمهم حلما، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال، تنزها وتكرما، حتىٰ ما اسمه في قومه إلا الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة[١].

- عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ اليَمَنِ، بِذَهَبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، وَالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، وَزَيْدِ الخَيْلِ، وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَةُ بْنُ عُلاثَةَ، وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهٰذَا مِنْ هٰؤُلاءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: "**أَلا تَأْمَنُونِي؟ وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً!..**"[٢].

- عَنْ عُقْبَةَ بن الحارث، قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ العَصْرَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّىٰ رِقَابَ النَّاسِ إِلَىٰ بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَىٰ أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ: "**ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ**"[٣].

الأمانة في حياة الصحابة:

١- عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: جَاءَ العَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَىٰ رَسُولِ

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٨٥١)

اللهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلاَعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لاَ تَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاَعَنَّا لاَ نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلاَ عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالاَ: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلاَ تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ: "**لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ**"، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "**قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هٰذَا أَمِينُ هٰذِهِ الأُمَّةِ**"[١].

٢- عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ ﷺ: أَنَّ أَبَاهُ ٱسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ سِتَّ بَنَاتٍ وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا، فَلَمَّا حَضَرَ جِدَادُ النَّخْلِ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَالِدِي ٱسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا كَثِيرًا، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الغُرَمَاءُ، قَالَ: "**اذْهَبْ فَبَيْدِرْ كُلَّ تَمْرٍ عَلَىٰ نَاحِيَتِه**"، فَفَعَلْتُ ثُمَّ دَعَوْتُهُ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ أُغْرُوا بِي تِلْكَ السَّاعَةَ، فَلَمَّا رَأَىٰ مَا يَصْنَعُونَ أَطَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدَرًا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "**ادْعُ أَصْحَابَكَ**"، فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّىٰ أَدىٰ اللهُ أَمَانَةَ وَالِدِي، وَأَنَا واللهِ رَاضٍ أَنْ يُؤَدِّيَ اللهُ أَمَانَةَ وَالِدِي، وَلاَ أَرْجِعَ إِلَىٰ أَخَوَاتِي بِتَمْرَةٍ، فَسَلِمَ واللهِ البَيَادِرُ كُلُّهَا حَتَّىٰ أَنِّي أَنْظُرُ إِلَى البَيْدَرِ الذِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ تَمْرَةً وَاحِدَةً)[٢].

٣- عن عائشة ﷺ قالت: لمّا ٱستخلف أبو بكر، قال: لقد علم قومي أنّ حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هٰذا المال، ويحترف للمسلمين فيه[٣].

الأمانة عند السلف:

- لما حبس ابن سيرين في السجن، قَالَ له السجان: إذا كان الليل فاذهب إلىٰ أهلك فإذا أصبحت فتعال، فقال ابن سيرين: لا والله، لا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨٠)، وأخرجه مسلم(٢٤٢٠) مختصرًا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨١). (٣) أخرجه البخاري (٢٠٧٠).

أعينك علىٰ خيانة السلطان[١].

- عن الحَسَن بن عرفة قال: قَالَ لِي ابن المُبَارَكِ: ٱسْتَعَرتُ قَلَماً بِأَرْضِ الشَّام، فَذَهَبتُ عَلَىٰ أَنْ أَرُدَّهُ، فَلَمَّا قَدِمْتُ مَرْوَ، نَظَرْتُ، فَإِذَا هُوَ مَعِي، فَرَجَعتُ إِلَى الشَّامِ حَتَّىٰ رَدَدْتُهُ عَلَىٰ صَاحِبِهِ[٢].

- جاءت ٱمرأة إلىٰ عمرو بن قيس بثوب، فقالت: يا أبا عبد الله ٱشتر هٰذا الثوب، واعلم أن غزله ضعيف، قَالَ: فكان إذا جاءه إنسان فعرضه عليه، قَالَ: إن صاحبته أخبرتني: أنه كان في غزله ضعف، حتىٰ جاءه رجل فاشتراه، قَالَ: قد أبرأناك منه[٣].

- عن مُحَمَّد بن أَبِي عَبْد الرَّحْمَن المسعودي، عن أَبِيهِ، قَالَ: ما رَأَيْت أحسن أمانة من أَبِي حنيفة، مات يوم مات وعنده ودائع بخمسين ألفا، ما ضاع منها ولا درهم واحد[٤].

الأمانة في الأمم السابقة:

١- عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **انطق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتىٰ آواهم المبيت إلي غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار؛ فقالوا: إنه لا ينجيكم من هٰذِه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالي بصالح أعمالكم ... (وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي ٱسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّىٰ كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرىٰ مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ لاَ تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ**

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٢٨٣).

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٤٠٠)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٥).

(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٦٠).

(٤) تاريخ بغداد (١٥/ ٤٨٧).

أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ)[1].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: "اشْتَرَىٰ رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الذِي ٱشْتَرى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الذِي ٱشْتَرى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا ٱشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَىٰ رَجُلٍ، فَقَالَ: الذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحُوا الغُلَامَ الجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا"[2].

فوائد الأمانة[3]:

١ - الأمانة من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٢ - يقوم عليها أمر السموات والأرض.

٣ - هي محور الدين وامتحان رب العالمين.

٤ - بالأمانة يحفظ الدين والأعراض والأموال والأجسام والأرواح والمعارف والعلوم والولاية والوصاية والشهادة والقضاء والكتابة...

٥ - الأمين يحبه الله ويحبه الناس.

٦ - من أعظم الصفات الخلقية التي وصف الله بها عباده المؤمنين بقوله ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون: ٨] و [المعارج: ٣٢].

٧ - مجتمع تفشو فيه الأمانة مجتمع خير وبركة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٢)، ومسلم (١٤٢١).

(٣) نضرة النعيم (٣/ ٥٢٤).

الوسائل المعينة على اكتساب الأمانة:

١- كمال الإيمان بالله تعالىٰ.

٢- ٱستشعار مراقبة الله تعالىٰ واطلاعه على العبد في كل حركة وسكنة.

٣- عزة النفس وإبائها وعلو همتها.

٤- غنى النفس والقناعة والرضا بما قسم الله من أرزاق بين العباد.

٥- قيام الجهات المسئولة عن المراقبة والتفتيش بعملها على الوجه المطلوب.

٦- وجود القدوات الحسنة في المجتمع.

٧- التحفيز علىٰ ذلك بالمرغبات والمكافئات من قبل الدولة والجهات المسئولة.

٨- التربية الجادة الهادفة التي تغرس هٰذا الخلق في النشء منذ الصغر

موانع اكتساب الأمانة:

١- ضعف الإيمان بالله تعالىٰ.

٢- حب الدنيا والحرص والتكالب عليها.

٣- ضعف مراقبة الله تعالىٰ واستشعار قربه ومعيته.

٤- دناءة النفس ومهانتها.

٥- ضعف جهات المراقبة والتفتيش وعدم قيامها بواجبها.

٦- غياب الروادع والعقوبات للأيدي الخائنة .

مجالات الأمانة:

الأمانة باب واسعٌ جدًا وأصلها أمران:

الأمر الأول: أمانة في حقوق الله: وهىٰ أمانة العبد في عبادات الله ﷻ والتكاليف التي كلفهم بها.

والأمر الثاني: أمانة في حقوق البشر: وهي كثيرة جدًا منها:

١- **الأمانة في الأموال**: بالعفة عما ليس للإنسان به حق من المال وتأدية ما عليه من حق لذويه وتأدية ما تحت يده منه لأصحاب الحق فيه وتدخل في البيوع والديون والمواريث والودائع والرهون والعواري والوصايا وأنواع الولايات الكبرىٰ والصغرىٰ وغير ذلك.

قال ابن عثيمين: ومنها الأمانة المالية وهي الودائع التي تعطىٰ للإنسان ليحفظها لأهلها، وكذلك الأموال الأخرى التي تكون بيد الإنسان، لمصلحته أو مصلحة مالكها، وذلك أن الأمانة التي بيد الإنسان؛ إما أن تكون لمصلحة مالكها، أو لمصلحة من هي بيده، أو لمصلحتهما جميعًا.

فأما الأول: فالوديعة؛ الوديعة تجعلها عند شخص، تقول مثلًا: هٰذِه ساعتي عندك ٱحفظها لي، أو هٰذِه دراهم ٱحفظها لي وما أشبه هٰذا، فهٰذِه وديعة بقيت عنده لمصلحة مالكها. وأما التي لمصلحة من هي بيده: فالعارية يعطيك شخص شيئًا يعيرك إياه من إناء، أو فراش، أو ساعة، أو سيارة، فهٰذِه بقيت في يدك لمصلحتك.

أما التي لمصلحة مالكها ومن هي بيده: فالعينُ المستأجرة، فهٰذِه مصلحتها للجميع؛ ٱستأجرت مني سيارة، وأخذتها، فأنت تنتفع بها في قضاء حاجتك، وأنا أنتفع بالأجرة. وكذلك البيت والدكان وما أشبه ذلك. كل هٰذِه من الأمانات.

٢- **الأمانة في الأعراض**: بالعفة عما ليس للإنسان به حق منها وكف النفس واللسان عن نيل شيء منها بسوء كالقذف والغيبة.

٣- **الأمانة في الأجسام والأرواح**: بكف النفس واليد عن التعرض لها بسوء بقتل أو جرح أو ضر أو أذىٰ.

٤- **الأمانة في المعارف والعلوم**: بتأديتها دون تحريف أو تغيير ونسبة الأقوال إلىٰ أصحابها وعدم ٱنتحال الإنسان ما لغيره منها.

٥- **الأمانة في الولاية**: بتأدية الحقوق إلىٰ أهلها وإسناد الأعمال إلىٰ

مستحقيها الأكفياء لها وحفظ ٱموال الناس وأجسامهم وأرواحهم وعقولهم وصيانتها مما يؤذيها أو يضر بها وحفظ الدين الذي ٱرتضاه الله لعباده من أن يناله أحد بسوء وحفظ أسرار الدولة وكل ما ينبغي كتمانه من أن يتسرب إلى الأعداء إلىٰ غير ذلك من أمور.

قال ابن عثيمين: ومن الأمانة أيضًا: أمانة الولاية وهي أعظمها مسؤولية، الولاية العامة والولايات الخاصة، فالسلطان مثلًا الرئيس الأعلىٰ في الدولة، أمين على الأمة كلها، علىٰ مصالحها الدينية ومصالحها الدنيوية، علىٰ أموالها التي تكون في بيت المال، لا يبذرها، ولا ينفقها في غير مصلحة المسلمين وما أشبه ذلك، وهناك أمانات أخرىٰ دونها، كأمانة الوزير مثلًا في وزارته، وأمانة الأمير في منطقته، وأمانة القاضي في عمله، وأمانة الإنسان في أهله

٦- **الأمانة في الشهادة**: بتحملها بحسب ما هي عليه في الواقع وبأدائها دون تحريف أو تغيير أو زيادة أونقصان.

٧- **الأمانة في القضاء**: بإصدار الأحكام وفق أحكام العدل التي ٱستؤمن القاضي عليها وفوض الأمر فيها إليه .

٨- **الأمانة في الكتابة**: بأن تكون علىٰ وفق ما يمليه ممليها وعلىٰ وفق الأصل الذي تنسخ عنه فلا يكون فيها تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقص وتكون مضامينها خالية من الكذب والتلاعب.

٩- **الأمانة في الأسرار**: التي يستأمن الإنسان علىٰ حفظها وعدم إفشائها وتكون الأمانة فيها بكتمانها، قال ابن عثيمين: ومن الأمانات: ما يكون بين الرجل وصاحبه من الأمور الخاصة التي لا يحب أن يطلع عليها أحد، فإنه لا يجوز لصاحبه أن يخبر بها، فلو ٱستأمنك علىٰ حديث حدثك به، وقال لك: هٰذا أمانة، فإنه لا يحلّ لك: أن تخبر به أحدًا من الناس، ولو كان أقرب الناس إليك. سواء أوصاك بأن لا تخبر به أحدًا، أو عُلم من قرائن الأحوال أنه لا يحب أن يطلع عليه أحد. ولهٰذا قال العلماء: إذا حدثك

الرجل بحديث والتفت فهٰذِه أمانة، لماذا؟ لأنه كونه يلتفت، فإنه يخشىٰ بذلك أن يسمع أحدٌ، إذًا فهو لا يحب أن يطلع عليه أحد، فإذا أٱتمنك الإنسان علىٰ حديث، فإنه لا يجوز لك أن تفشيه.

١٠- **الأمانة في الرسالات**: بتبليغها إلىٰ أهلها تامة غير منقوصة ولا مزيد عليها وعلىٰ وفق رغبة محملها سواء كانت الرسالة لفظية أو كتابية أو عملية.

١١- **الأمانة في السمع والبصر وسائر الحواس**: وذلك بكفها عن العدوان علىٰ أصحاب الحقوق وبحفظها عن معصية الله فيها وبتوجيهها للقيام بما يجب فيها من أعمال(١).

---

(١) ٱنظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٢/ ٤٦٢-٤٦٥)، والأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني (١/ ٦٤٩-٦٥٠) بتصرف يسير.

٤- التقوىٰ

المتطوع لا بد أن يتقي الله في عمله وفي المسلمين وفي أموالهم، فيجعل بينه وبين غضب الله وعقابه وقاية، وإذا اتصف بالتقوىٰ حسن خلقه مع الفقراء واليتامىٰ والمحتاجين، وغض بصره عن الحرام وكف لسانه عن الأذىٰ وحفظ بطنه من أكل أموال الناس وهي أمانة عنده، لذا لا بد أن يعرف ما هي التقوىٰ حتىٰ يحققها في نفسه وفي مؤسسته الخيرية التي ينتمي لها.

التقوىٰ لغة:

هي الاسم من قولهم اتقىٰ والمصدر الاتقاء وكلاهما مأخوذ من مادة (و ق ي) التي تدلُّ علىٰ دَفعِ شيءٍ عن شيءٍ بغيره. ووقيْتُه أَقِيه وَقْيًا. والوِقاية: ما يقي الشَّيء. واتَّقِ اللهَ: تَوَقَّهُ، أيِ اجعل بينَك وبينه كالوِقاية. قال النَّبي ﷺ: (**اتَّقُوا النَّارَ ولو بِشقِّ تَمرة**)[1]، وكأنّه أراد: اجعلوها وقايةً بينكم وبينها[2].

التقوى اصطلاحًا:

قال الراغب: التقوىٰ في الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات لما روي: الحلال بين، والحرام بين، ومن رتع حول الحمىٰ فحقيق أن يقع فيه[3].

قال الجرجاني: والتقوىٰ في الطاعة يراد بها الإخلاص وفي المعصية يراد به الترك والحذر، وقيل: أن يتقي العبد ما سوىٰ الله تعالىٰ.

قال الفيروزبادي: التَّقوى البالغة الجامعة: اجتنابُ كلّ ما فيه ضرر لأَمر

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١٣١).

(٣) المفردات للراغب (٥٣٠).

الدين، وهو المعصية، والفضول، فعلىٰ ذلك ينقسم علىٰ فرض، ونفل[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فالتقوىٰ فعل ما أمر الله به وترك ما نهىٰ الله عنه[٢].

قال ابن القيم: وأما التقوىٰ فحقيقتها العمل بطاعة الله إيمانًا واحتسابًا أمرًا ونهيًا فيفعل ما أمر الله به إيمانًا بالأمر وتصديقًا بوعده ويترك ما نهىٰ الله عنه إيمانًا بالنهىٰ وخوفًا من وعيده.

كما قال طلق بن حبيب إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوىٰ قالوا: وما التقوىٰ قال: أن تعمل بطاعة الله علىٰ نور من الله ترجوا ثواب الله وأن تترك معصية الله علىٰ نور من الله تخاف عقاب الله وهٰذا أحسن ما قيل في حد التقوىٰ[٣].

قال ابن رجب: فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه[٤].

- الآيات والأحاديث وأقوال السلف في التقوىٰ:

- الآيات الدالة على التقوىٰ:

لقد بين لنا ربنا سبحانه فضل التقوىٰ في القرآن ودعانا إليها لما فيها من المنافع العظيمة في الدارين ووصانا بها فقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

فما من خير عاجل ولا آجل ظاهر ولا باطن إلا وتقوىٰ الله سبيل موصل إليه، ووسيلة مبلغة له، وما من شر عاجل ولا آجل ظاهر ولا باطن إلا وتقوىٰ الله ﷻ حرز متين وحصن حصين للسلامة منه والنجاة من ضرره وإليك بعض

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروزابادىٰ (٢/ ٣٠٠).

(٢) الفتاوىٰ لابن تيمية (٣/ ١٢٠). (٣) زاد المهاجر لابن القيم (١٠).

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ١٥٨).

الآيات الدالة علىٰ ذلك.

١- التقوىٰ وصية الله ﷻ للأولين والآخرين: قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١].

قال ابن عاشور: جُعل الأمر بالتقوىٰ وصيةً: لأنّ الوصية قول فيه أمرٌ بشيء نافع جامع لخير كثير، فلذلك كان الشأن في الوصية إيجاز القول؛ لأنّها يقصد منها وعي السامع، واستحضاره كلمة الوصية في سائر أحواله. والتقوىٰ تجمع الخيرات، لأنّها امتثال الأوامر واجتناب المناهي، ولذلك قالوا: ما تكرّر لفظ في القرآن ما تكرّر لفظ التقوىٰ(١).

٢- التقوىٰ أجمل لباس يتزين به العبد قال الله تعالىٰ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٦].

٣- معية الله الخاصة لأهل التقوى المقتضية للحفظ والعناية والنصر والتأييد، ومحبته لهم قال تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤] وقال تعالىٰ: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]. قال ابن كثير رحمه الله: أمْرٌ لهم بطاعة الله وتقواه، وإخبارٌ بأنه تعالىٰ مع الذين اتقوا بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة(٢).

٤- التقوىٰ سبيل إلىٰ تكفير السيئات ورفعة الدرجات وتفريج الكربات ويفرق بها بين الحق والباطل قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٥/ ٢٢٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٢٢٠).

٥- ولشرف التقوىٰ أمرنا الله ﷻ بالتعاون عليها ونهانا عن التعاون علىٰ ما يخالفها قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

- الأحاديث الدالة على التقوىٰ:

١- التقوىٰ وصية النبي ﷺ لأمته:

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هٰذِه مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا فَقَالَ: **(أُوصِيكُمْ بِتَقْوىٰ اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُم بَعْدىٰ فَسَيَرى اَخْتِلافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بسنتي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ)**(١).

٢- بين النبي ﷺ أن التقوىٰ أكثر ما يدخل الجنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: **"تَقْوىٰ اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ"**، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: **"الفَمُ وَالفَرْجُ"**(٢).

٣- بين النبي ﷺ أن التقوىٰ تشمل كل شيء حتىٰ في المعاملة مع الحيوان:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ - ﷺ- خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لاَ أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ وَكَانَ أَحَبُّ مَا اَسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٣٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٧٧).

ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ. قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأى النبي ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النبي ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فَقَالَ: "**مَنْ رَبُّ هٰذا الجَمَلِ لِمَنْ هٰذا الجَمَلُ**". فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ: "**أَفَلاَ تَتَّقِىٰ اللهَ في هٰذِهِ البَهِيمَةِ التي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَىٰ إِلَىٰ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**"[١]

٤- التقوىٰ من شيم الكرام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَتْقَاهُمْ فَقَالُوا لَيْسَ عَنْ هٰذا نَسْأَلُكَ قَالَ: فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ ابن نَبِيِّ اللهِ ابن نَبِيِّ اللهِ ابن خَلِيلِ اللهِ قَالُوا لَيْسَ عَنْ هٰذا نَسْأَلُكَ قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِ خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا[٢].

٥- بالتقوىٰ يتفاضل الناس بعضهم عن بعض: عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ - رضي الله عنه - قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ**" قَالُوا ثُمَّ مَنْ قَالَ: "**مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللهَ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**"[٣].

- أقوال السلف في التقوىٰ:

١- قال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه: ما التقوىٰ؟ قال: أخذت طريقًا ذا شوك؟ قال: نعم قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه. قال: ذاك التقوىٰ[٤].

٢- عن وهب بن كيسان قال: كتب إليَّ عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بموعظة أما

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٤٩)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٩٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم(٢٣٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٨٦) واللفظ له، ومسلم(١٨٨٨).

(٤) الزهد الكبير للبيهقي (٩٦٣)

بعد: فإن لأهل التقوىٰ علامات يعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم: من صبر على البلاء، ورضي بالقضاء، وشكر النعماء، وذل لحكم القرآن(١).

٣- قال عمر بن عبد العزيز: التقي ملجم لا يفعل ما يريد(٢).

٤- وكتب إلىٰ عامل له: اتق الله؛ فإن التقوىٰ هي التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ولا يثاب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل(٣).

٥- قال وهب بن منبه: الإيمان عريان، ولباسه التقوىٰ، وزينته الحياء، وماله الفقه(٤).

٦- قال الإمام الشافعي رحمه الله: من لم تعزه التقوىٰ، فلا عز له، وقال أيضًا: أنفع الذخائر التقوىٰ وأضرها العدوان(٥).

- نماذج من تقوى الأنبياء والصحابة والسلف والعلماء:

- نماذج من تقوى الأنبياء:

التقوىٰ هيٰ وصية جميع الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام لقومهم.

* نوح عليه السلام قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٥- ١٠٦].

* هود عليه السلام قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣- ١٢٤].

* صالح عليه السلام قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الشعراء: ١٤١- ١٤٢].

* لوط عليه السلام قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٠، ١٦١].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٣٣٦). (٢) شرح السنة للبغوي (١٤/ ٣٤١).
(٣) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٠٢). (٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٥٠).
(٥) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ٥٤ - ٥٥).

* موسىٰ ﷺ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ [الشعراء: ١٠، ١١].

* شعيب ﷺ لقوله تعالىٰ: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٧٦ - ١٧٩].

* ويحيىٰ ﷺ وصفه ربه بالتقوىٰ قال تعالىٰ: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم: ١٢ - ١٤].

- نماذج من تقوى النبي ﷺ:

لقد ضرب لنا النبي ﷺ أروع الأمثلة في تقواه لربه ﷻ ولم لا وهو سيد المتقين وأعبد العابدين، ظهرت التقوىٰ في كل شئون حياته في طاعته لربه، ومعاملته لأهله، ودعوته لقومه، وجهاده لعدوه، فما من موعظة وعظ بها أصحابه إلا وذكرهم بالتقوىٰ وأوصاهم بها وإليك بعض النماذج الدالة علىٰ ذلك:

١- كان من تقواه ﷺ كثرة عبادته وسجوده لربه سبحانه، فعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: (**إِنَّ أَخًا لَكُمْ لاَ يَقُولُ الرَّفَثَ**) يَعْنِي بِذَلِكَ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ قال:

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الفَجْرِ سَاطِعُ
أَرَانَا الهُدىٰ بَعْدَ العَمَىٰ فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ المَضَاجِعُ[1]

وعن المغيرة بن شعبة ﵁ قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّىٰ تَرِمُ قَدَمَاهُ أَوْ سَاقَاهُ فَيُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا[2].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٥). (٢) أخرجه البخاري (١١٣٠).

٢- كان من تقواه ﷺ كثرة بكائه وخشيته من ربه: عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّىٰ وَفِىٰ صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَىٰ مِنَ الْبُكَاءِ ﷺ[(١)].

٣- كان النبي ﷺ إذا أمَّر أميرًا أو بعث سرية ذكرهم بتقوىٰ الله ﷻ: عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا علىٰ جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوىٰ الله ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال: (**اغزوا باسم الله في سبيل الله...**)[(٢)].

٤- وصيته ﷺ للمسافر بالتقوىٰ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُسَافِرَ فَأَوْصِنِي، قَالَ: "**عَلَيْكَ بِتَقْوىٰ اللهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَىٰ كُلِّ شَرَفٍ**"، فَلَمَّا أَنْ وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ: "**اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ الأَرْضَ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ**"[(٣)].

- نماذج من تقوى الصحابة رضي الله عنهم:

لقد حصَّل الصحابة رضي الله عنهم بالتقوىٰ ما لم يحصله غيرهم من البشر فبتقواهم بشرهم النبي بالجنة وبها أثنىٰ عليهم المولىٰ ﷻ وبها حصلت لهم القيادة للأمم، والذكر الجميل، والفتوحات المتتابعة، وظهرت آثار التقوىٰ في حياتهم في خوفهم من ربهم، وصلاتهم، وزهدهم، وورعهم. ونصرهم الله بالتقوىٰ علىٰ أعدائهم وإليك بعض النماذج الدالة علىٰ ذلك:

١- وصف الله تعالىٰ أبا بكر الصديق رضي الله عنه بالتقوىٰ وبيَّن أنها نجاة له من النار وذلك بسبب عمله الصالح فقال تعالىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى

---

(١) أخرجه أبو داود (٩٠٤)، والنسائي (٣/ ١٣)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٨٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٣١).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٤٥)، وابن ماجه (٢٧٧١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٥).

مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [الليل: ١٧ - ٢١] وكان من تقواه شدة تواضعه وخوفه من ربه وكثرة بكائه فكان يقول: (وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن)(١).

٢- وكان من تقواهم شدة الزهد والورع وحب الخفاء وعدم الظهور والخوف من الرياء: أُتِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمًا بِطَعَامِهِ فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَكَانَ خَيْرًا مِنِّي فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكَفَّنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ أَوْ رَجُلٌ آخَرُ خَيْرٌ مِنِّي فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكَفَّنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عُجِّلَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي(٢).

٣- وصية - أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الأمة بالتقوىٰ: عن عبد الله بن عكيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خطبنا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فحمد الله وأثنىٰ عليه بما هو له أهل قال: (أوصيكم بتقوىٰ الله وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة فإن الله أثنىٰ علىٰ زكريا وأهل بيته فقال: (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين...)(٣).

٤- وصية عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أجناده بتقوىٰ الله: كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلىٰ سعد بن أبي وقاص ومن معه من الأجناد يوصيه بقوله: (أما بعد، فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوىٰ الله علىٰ كل حال فإن تقوىٰ الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد ٱحتراسًا من المعاصي من ٱحتراسكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله...)(٤).

---

(١) الزهد لأحمد بن حنبل (١٣٥). (٢) أخرجه البخاري (١٢٧٤).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٨٤)، وقال: هٰذا حديث صحيح الإسناد.

(٤) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رشيد رضا (١١٩).

- نماذج من تقوى السلف رحمهم الله:

١- كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلىٰ رجل: (أوصيك بتقوىٰ الله ﷻ التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل، جعلنا الله وإياك من المتقين[١].

ولما ولي صعد المنبر فحمد الله، وأثنىٰ عليه، وقال: (أوصيكم بتقوىٰ الله ﷻ فإن تقوىٰ الله ﷻ خلف من كل شيء، وليس لتقوىٰ الله خلف يا أيها الناس ٱتقوا الله أطيعوا من أطاع الله ولا تطيعوا من عصىٰ الله)[٢].

٢- وكان ابن أبىٰ ذئب يصلى الليل أجمع، ويصوم يومًا، ويفطر يومًا، ثم يسرد الصوم، ويجتهد في العبادة، ولو قيل له: إن القيامة غدًا، ما كان فيه مزيد ٱجتهاد[٣].

٣- وهكذا حماد بن سلمة رحمه الله لو قيل له: إنك تموت غدًا ما قدر علىٰ أن يزيد شيئًا علىٰ عمله، يقول الذهبي رحمه الله معلقًا علىٰ ذلك: كانت أوقاته معمورة بالتعبد والأوراد[٤].

٤- وكان منصور بن المعتمر رحمه الله يصلي في سطحه فلما مات قال غلام لأمه: يا أمه الجذع الذي كان في سطح آل فلان ليس أراه قالت: يا بني ليس ذاك جذعا ذاك منصور قد مات[٥].

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٤٠٢).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٥/ ٢٩٧).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ٨٧).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٤٤٧).

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم (٥/ ٤٠).

٥- اللين

يتعرض المتطوعون لنوع من إلحاح السائلين وتكرار مجيئهم لطلب العون، والأصل في معاملة هؤلاء اللين واللطف حتىٰ لو رده بلا حاجة رده بالمعروف، فقد يكون ذا حاجة شديدة وعنده عيال أو وقعت له مصيبة؛ فلا يجوز مطلقًا لمن ٱنبرىٰ لهٰذِه الأعمال العظيمة أن يكون ضيق الصدر سريع الٱنفعال سليط اللسان، بل البشاشة في وجهه واللطف علىٰ لسانه والرحمة قد ملأت قلبه لكل المسلمين.

تعريف اللين لغة:

قال ابن منظور: اللِّينُ: ضِدُّ الخُشونة، يُقَالُ فِي فِعْل الشَّيْءِ اللَّيِّن، وأَلانه هُوَ ولَيَّنه وأَلْيَنه: صَيَّرَه لَيِّنًا. وَاسْتَلَانَهُ: عَدَّه لَيِّنًا[١].

وقال الراغب: اللين: يستعمل في الأجسام، ثم يستعار للخلق وغيره من المعاني، فيقال: فلان لين، وفلان خشن، وكل واحد منهما يمدح به طورًا، ويذم به طورًا بحسب ٱختلاف المواقع[٢].

تعريف اللين ٱصطلاحًا:

اللّين: هو سهولة الٱنقياد للحقّ، والتلطّف في معاملة النّاس وعند التّحدّث إليهم[٣].

أقسام اللين:

ينقسم اللّين بحسب ما يضاف إليه إلىٰ:

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٣٩٤).

(٢) المفردات للراغب (٢/ ٣٥٤).

(٣) نضرة النعيم (٨/ ٣٢٩٦).

١- **لين القول**: ويعني التلطّف في الحديث مع النّاس وأكثر ما يكون ذلك مرغوبا في مجال الدّعوة إلىٰ الله ﷻ.

٢- **لين القلب**: ويعني رقّته وخشيته من الله ﷻ، وأكثر ما يكون ذلك عند سماع القرآن.

٣- **لين المعاملة**: ويعني الرّفق في معاملة المقصّرين والتماس العذر لهم وعدم تعنيفهم كما حدث من النّبيّ ﷺ يوم أحد، حيث لم يعنّف المقصّرين بتوفيق الله وبرحمة منه[(١)].

الأدلة من القرآن والسنة علىٰ صفة اللين:

الأدلة من القرآن:

١- قال الله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال الطبري: فتأويل الكلام: فبرحمة الله يا محمد ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك، لنت لهم لتباعك وأصحابك فسهلت لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقك، حتى ٱحتملت أذىٰ من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمه، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك، ولم يتبعك، ولا ما بعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم، فبرحمة من الله لنت لهم[(٢)].

٢- وقال تعالىٰ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [طه: ٤٣-٤٥].

قال ابن كثير: هٰذِه الآيَةُ فِيهَا عِبْرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهُوَ أَنَّ فِرْعَوْنَ فِي غَايَةِ العُتُوِّ

---

(١) نضرة النعيم (٨/ ٣٢٩٦).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ١٨٦).

وَالِاسْتِكْبَارِ، وَمُوسَىٰ صَفْوَةُ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ إِذْ ذَاكَ، وَمَعَ هٰذا أَمِرَ أَلَّا يُخَاطِبَ فِرْعَوْنَ إِلَّا بِالْمُلَاطَفَةِ وَاللِّينِ، كَمَا قَالَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾: يَا مَنْ يَتَحَبَّبُ إِلَىٰ مَنْ يُعَادِيهِ فَكَيْفَ بِمَنْ يَتَوَلَّاهُ وَيُنَادِيهِ؟[(١)]

الأدلة من السنة:

١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرْفَةً يُرىٰ ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا**"، فَقَالَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "**لِمَنْ أَلاَنَ الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ لله قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ**"[(٢)].

قال الطيبي: فيه تلويح إلي أن لين الكلام من صفات عباد الله الصالحين الذين خضعوا لبارئهم، وعاملوا الخلق بالرفق في الفعل والقول[(٣)].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ هُمْ أَضْعَفُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**"[(٤)].

قال النووي: وَأَمَّا وصفها باللين والرقة وَالضَّعْفِ فَمَعْنَاهُ أَنَّهَا ذَاتُ خَشْيَةٍ وَاسْتِكَانَةٍ سَرِيعَةِ الاستجابة والتأثر بِقَوَارِعِ التَّذْكِيرِ سَالِمَةً مِنَ الغِلَظِ وَالشِّدَّةِ وَالْقَسْوَةِ التِي وَصَفَ بِهَا قُلُوبَ الآخَرِينَ[(٥)].

٣- عَنِ ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ**"[(٦)].

---

(١) تفسير ابن كثير(٥/ ٢٩٤).

(٢) أخرجه أحمد (٦٦١٥)، والطبراني في الكبير (١٣/ ١٠٣)، وصحح إسناده أحمد شاكر.

(٣) الكاشف عن حقائق السنن للطيبي (٤/ ١٢٠٨-١٢٠٩).

(٤) أخرجه مسلم (٥٢)، وأخرجه البخاري (٤٣٨٨)بنحوه.

(٥) شرح مسلم للنووي (٢/ ٣٣-٣٤).

(٦) أخرجه أحمد (٣٩٨٣)، وصحح إسناده أحمد شاكر.

نماذج من لين النبي ﷺ:

١- عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي القَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَىٰ أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ، مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي، قَالَ: "**إِنَّ هٰذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ القُرْآنِ**"(١).

قال النووي: فِيهِ بَيَانُ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عَظِيمِ الخُلُقِ الذِي شَهِدَ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ بِهِ وَرِفْقِهِ بِالْجَاهِلِ وَرَأْفَتِهِ بِأُمَّتِهِ وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ وَفِيهِ التَّخَلُّقُ بِخُلُقِهِ ﷺ فِي الرِّفْقِ بِالْجَاهِلِ وَحُسْنِ تَعْلِيمِهِ وَاللُّطْفِ بِهِ وَتَقْرِيبِ الصَّوَابِ إِلَىٰ فَهْمِهِ(٢).

٢- عن عَائِشَة رضي الله عنها أَنَّ رَجُلًا ٱسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: ٱئْذَنُوا لَهُ، فَلَبِئْسَ ابن العَشِيرَةِ، أَوْ بِئْسَ رَجُلُ العَشِيرَةِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَلَانَ لَهُ القَوْلَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ قُلْتَ لَهُ الذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ القَوْلَ؟ قَالَ: يَا عَائِشَةُ "**إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ وَدَعَهُ، أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ ٱتِّقَاءَ فُحْشِهِ**"(٣).

قال النووي: وفي هٰذا الحديث مداراة من يتقىٰ فحشه وجواز غيبة الفاسق المعلن فسقه ومن يحتاج الناس إلى التحذير منه وقد أوضحناه قريبا

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٧٦٢)، وأبوداود (٩٣١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨٦٢).

(٢) شرح مسلم للنووي (٥/ ٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩١).

في باب الغيبة، ولم يمدحه النبي ﷺ ولا ذكر: أنه أثنىٰ عليه في وجهه، ولا في قفاه إنما تألفه بشىء من الدنيا مع لين الكلام، وأما بئس بن العشيرة، أو رجل العشيرة فالمراد بالعشيرة قبيلته أي بئس هٰذا الرجل منها[١].

٣- عن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي المَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: **"دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَىٰ بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ"**[٢].

قال ابن عثيمين: فيه حسن خلق الرسول ﷺ، وتعليمه، ورفقه، وأن هٰذا هو الذي ينبغي لنا إذا دعونا إلىٰ الله، أو أمرنا بمعروف، أو نهينا عن منكر أن نرفق؛ لأن الرفق يحصل به الخير، والعنف يحصل به الشر، ربما إذا عنفت أن يحصل من قبيلك ما يسمونه برد الفعل ولا يقبل منك شيئًا، يرد الشرع من أجلك، لٰكن إذا رفقت وتأنيت فهٰذا هو الأقرب إلى الإجابة[٣].

لين الصحابة ﷺ:

١- عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى ٱمْرَأَةٍ مِنْ أَحْمَسَ يُقَالُ لَهَا زَيْنَبُ فَرَآهَا لَا تَكَلَّمُ فَقَالَ: مَا لَهَا لَا تَكَلَّمُ؟ قَالُوا: حَجَّتْ مُصْمِتَةً، قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي فَإِنَّ هٰذا لَا يَحِلُّ هٰذا مِنْ عَمَلِ الجَاهِلِيَّةِ. فَتَكَلَّمَتْ فَقَالَتْ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: ٱمْرُؤٌ مِنْ المُهَاجِرِينَ.

قَالَتْ: أَيُّ المُهَاجِرِينَ؟ قَالَ: مِنْ قُرَيْشٍ، قَالَتْ: مِنْ أَيِّ قُرَيْشٍ أَنْتَ؟ قَالَ: إِنَّكِ لَسَئُولٌ.

أَنَا أَبُو بَكْرٍ. قَالَتْ: مَا بَقَاؤُنَا عَلَىٰ هٰذا الأَمْرِ الصَّالِحِ الذِي جَاءَ اللهُ بِهِ بَعْدَ الجَاهِلِيَّةِ؟

---

(١) شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٠).

(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين(٣/ ٥٨٥).

قَالَ: بَقَاؤُكُمْ عَلَيْهِ مَا ٱسْتَقَامَتْ بِكُمْ أَئِمَّتُكُمْ. قَالَتْ وَمَا الأَئِمَّةُ؟ قَالَ: أَمَا كَانَ لِقَوْمِكِ رُءُوسٌ وَأَشْرَافٌ يَأْمُرُونَهُمْ فَيُطِيعُونَهُمْ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ. قَالَ: فَهُمْ أُولَئِكِ عَلَى النَّاسِ[1].

٢- عن عَدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: أَتَيْنَا عُمَرَ فِي وَفْدٍ فَجَعَلَ يَدْعُو رَجُلًا رَجُلًا وَيُسَمِّيهِمْ. فَقُلْتُ: أَمَا تَعْرِفُنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: بَلَىٰ أَسْلَمْتَ إِذْ كَفَرُوا وَأَقْبَلْتَ إِذْ أَدْبَرُوا وَوَفَيْتَ إِذْ غَدَرُوا وَعَرَفْتَ إِذْ أَنْكَرُوا. فَقَالَ عَدِيٌّ: فَلَا أُبَالِي إِذًا[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٩٤).

٦- الرحْمة

لن يستشعر المتطوعون حاجة الناس إلى المساعدة ويجدّوا في رفع الضيم عنهم إلا إذا كانوا رحماء، فالرحمة هي الدافع الأكبر لقيامهم بخدمة المحتاجين، ولذا نرىٰ من يقوم بهٰذِه الأعمال من أهل الكفر؛ لأن الرحمة في قلبه. فرحم الأرملة، والمسكين، وابن السبيل.

والمسلمون أولى الناس بالعمل بهٰذِه الصفة لأن ديننا قام علىٰ أسس ومنها الرحمة.

تعريف الرحمة:

قال ابن منظور: والرَّحْمَةُ في بني آدم عند العرب رِقَّةُ القلب وعطفه[١].

قال الجوهري: الرحمة: الرقة والتعطف. والمرحمة مثله. وقد رحمته وترحمت عليه. وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضا[٢].

معنى الرحمة اصطلاحًا:

قال الجرجاني: الرحمة هي إرادة إيصال الخير[٣].

وقيل: الرحمة هي حالة وجدانية تعرض غالبًا لمن به رقة القلب وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان[٤].

وقيل: الرحمة رقة في النفس تبعث علىٰ سَوق الخير لمن تتعدىٰ إليه[٥].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٦١٢).

(٢) الصحاح للجوهري (٥/ ١٩٢٩).

(٣) التعريفات للجرجاني (١/ ١٦٤).

(٤) الكليات للكفوي (٤٧١).

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦/ ٢٤).

قال الراغب الأصبهاني: الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة[١].

وقيل: هي رقة في النفس تبعث علىٰ سوق الخير لمن تتعدىٰ إليه[٢].

- مرادفات الرحمة: من هٰذِه المرادفات الرأفة لٰكن بينهما فرق يسير فالرأفة خاصة في دفع المكروه عن المرحوم بينما الرحمة تشمل هٰذا وغيره.

قال ابن عاشور: الرأفة: رقة تنشأ عند حدوث ضر بالمرءُوف به. يقال: رؤوف رحيم. والرحمة: رقة تقتضي الإحسان للمرحوم، بينهما عموم وخصوص مطلق[٣].

يقول العلامة السعدي رحمه الله: (والرحمة التي يتصف بها العبد نوعان:

النوع الأول: رحمة غريزية، قد جبل الله بعض العباد عليها، وجعل في قلوبهم الرأفة والرحمة والحنان على الخلق، ففعلوا بمقتضىٰ هٰذِه الرحمة جميع ما يقدرون عليه من نفعهم، بحسب ٱستطاعتهم. فهم محمودون مثابون علىٰ ما قاموا به، معذورون علىٰ ما عجزوا عنه، وربما كتب الله لهم بنياتهم الصادقة ما عجزت عنه قواهم.

والنوع الثاني: رحمة يكتسبها العبد بسلوكه كل طريق ووسيلة، تجعل قلبه علىٰ هٰذا الوصف، فيعلم العبد أن هٰذا الوصف من أجل مكارم الأخلاق وأكملها، فيجاهد نفسه على الٱتصاف به، ويعلم ما رتب الله عليه من الثواب، وما في فواته من حرمان الثواب؛ فيرغب في فضل ربه، ويسعىٰ بالسبب الذي ينال به ذلك. ويعلم أن الجزاء من جنس العمل. ويعلم أن الأخوة الدينية والمحبة الإيمانية، قد عقدها الله وربطها بين المؤمنين،

---

(١) المفردات للراغب (١/ ٣٩١).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٦/ ٢٤).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (١١/ ٧٣).

وأمرهم أن يكونوا إخوانًا متحابين، وأن ينبذوا كل ما ينافي ذلك من البغضاء، والعداوات، والتدابر)[١].

الآيات والأحاديث في الرحمة:

ذكر الله تعالىٰ هٰذا الخلق في القرآن في مواضع عديدة فوصف بها نفسه وذكرها في معرض الأمتنان علىٰ عباده بما يسبغه عليهم من آثارها، أو من باب المدح والثناء للمتصفين بها إلىٰ غير ذالك من السياقات، وإليك بعض الآيات الدالة علىٰ ذالك:

١- تسميته جل وعلا باسم الرحمن الرحيم واتصافه بصفة الرحمة قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢، ٣]. قال ابن عباس رضي الله عنه: الرحمن الرحيم: الرقيق الرفيق بمن أحب أن يرحمه[٢].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أسمان دالان علىٰ أنه تعالىٰ ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله. فهٰؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها[٣].

٢- لقد أرسل الله تعالىٰ نبيه محمدًا ﷺ رحمة للعالمين فقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٣- وفي بيان أن من رحمته مغفرة الذنوب لمن تاب ورجع إليه قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار للسعدي (٢٧٠).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢٠٠).
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣٩).

٤- ومن ٱمتنانه علىٰ خلقه أن رحمته وسعت كل شيء لكن مع سعتها لا يستحقها إلا أهل الإيمان قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

قال ابن كثير رحمه الله: آية عظيمة الشمول والعموم(١).

٥- ولقد ٱمتن الله علىٰ خلقه بما شرع لهم من أحكام وبين أن ذلك من كمال رحمته ورأفته بهم قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء: ٢٩].

قال ابن كثير رحمه الله: (إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) أي: فيما أمركم به، ونهاكم عنه(٢).

٦- ولقد ٱمتن الله تعالىٰ علىٰ نبيه محمد ﷺ بهٰذا الخلق العظيمة فقال الله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: أي: برحمة الله لك ولأصحابك، منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك(٣).

٧- وامتن الله تعالىٰ على الصحابة ﷺ فوصفهم بهٰذا الخلق العظيم، فقال الله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤٠٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٥٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (١٥٤).

فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

قال ابن كثير رحمه الله: وهٰذِه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدا عنيفًا على الكفار، رحيما برًا بالأخيار، غضوبًا عبوسًا في وجه الكافر، ضحوكا بشوشًا في وجه أخيه المؤمن[١].

- **الأحاديث الدالة على الرحمة:**

لقد جاء في السنة النصوص الكثيرة الدالة علىٰ هذ الخلق والحث عليه والرغبة فيه إما منطوقًا أو مفهومًا ومن هٰذِه النصوص:

١- وصف النبي ﷺ نفسه بأنه رحمة مهداة: عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ: "**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ**"[٢].

٢- عن النُّعْمَانَ بْن بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**ترى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ عُضْوًا تداعَىٰ لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ**)[٣].

قال النووي رحمه الله: الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم علىٰ بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه[٤].

٣- عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (**جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا**

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٣/ ١٣٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١٣٩).

وَاحِدًا فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ حَتَّىٰ تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ)[١].

٤- عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا فَقَالَ الأَقْرَعُ إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنْ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: (مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ)[٢].

قال ابن بطال رحمه الله: في هٰذِه الأحاديث الحض على ٱستعمال الرحمة للخلق كلهم كافرهم، ومؤمنهم ولجميع البهائم والرفق بها. وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها في أبناء جنسه وفىٰ كل حيوان، فلم يخلقه الله عبثًا، وكل أحد مسئول عما ٱسترعيه وملكه من إنسان أو بهيمة لا تقدر على النطق وتبيين ما بها من الضر، وكذلك ينبغي أن يرحم كل بهيمة وإن كانت في غير ملكه، ألا ترىٰ أن الذي سقى الكلب الذي وجده بالفلاة لم يكن له ملكًا فغفر الله له[٣].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ينبغي لنا: أن نعود أنفسنا علىٰ رحمة الصبيان وعلىٰ رحمة كل من يحتاج الرحمة من اليتامىٰ والفقراء والعاجزين وغيرهم وأن نجعل في قلوبنا رحمة ليكون ذلك سببا لرحمة الله إيانا؛ لأننا أيضا محتاجون إلى الرحمة ورحمتنا لعباد الله سبب لرحمة الله لنا نسأل الله أن يعمنا وإياكم برحمته[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٢١٩).

(٤) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣/ ١٣٢). بتصرف

- أقوال السلف في الرحمة:

١- قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: اللهم إن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغني؛ رحمتك وسعت كل شيء، وأنا شيء فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين اللهم إنك خلقت قوما فأطاعوك فيما أمرتهم وعملوا في الذي خلقتهم له فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك يا أرحم الراحمين[١].

٢- قال ابن القيم رحمه الله: الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد وإن كرهتها نفسه وشقت عليها، فهٰذِه هي الرحمة الحقيقية فأرحم الناس بك من شق عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك[٢].

٣- عن النضر بن شميل رحمه الله قال: ما رأيت أرحم لمسكين من شعبة إذا رأى المسكين لا يزال ينظر إليه حتىٰ يتغيب عن وجهه[٣].

٤- قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: (إنما الغضب علىٰ أهل المعاصي عندما حل نظرك إليهم عليها فإذا تفكرت فيما يصيرون إليه من عقوبة الآخرة دخلت الرحمة لهم القلب)[٤].

٥- قال البخاري رحمه الله: سمعت بعض أصحابنا يقول: عاد حماد بن سلمة سفيان الثوري، فقال سفيان: يا أبا سلمة أترىٰ الله يغفر لمثلي؟ فقال حماد: والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي، وبين محاسبة أبوي، لاخترت محاسبة الله، وذلك لأن الله أرحم بي من أبوي[٥].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٥/ ٢٩٩).
(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ١٧٤).
(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ١٤٦). (٤) السابق (٩/ ٢٧٣).
(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٤٤٩).

- **نماذج من رحمة الأنبياء والصحابة والسلف والعلماء:**

- **نماذج من رحمة الأنبياء:**

١- رحمة إبراهيم عليه السلام بأبيه وهو يدعوه إلى التوحيد برفق ولين وود، قال الله تعالىٰ عن إبراهيم وهو يدعوا أباه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم: ٤٣ - ٤٥].

٢- رحمة نوح عليه السلام بابنه قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢].

- **نماذج من رحمة النبي ﷺ:**

١- رحمته ﷺ بالكفار. عن عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: (**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابن عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**)[١].

قال ابن حجر رحمه الله: وفي هٰذا الحديث بيان شفقة النبي ﷺ علىٰ قومه ومزيد صبره وحلمه وهو موافق لقوله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧][1].

٢- رحمته ﷺ بالأمهات. عن أَبِي قَتَادَةَ - رضي الله عنه - عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمِّهِ)**[2].

٣- رحمته ﷺ بالحيوان. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ - رضي الله عنه - قَالَ: أَرْدَفَنِى رَسُولُ اللهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسَرَّ إِلَىٰ حَدِيثًا لاَ أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ وَكَانَ أَحَبُّ مَا ٱسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ. قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأى النَّبِىُ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِىُ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فَقَالَ: **(مَنْ رَبُّ هٰذَا الجَمَلِ لِمَنْ هٰذَا الجَمَلُ)**. فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: لِىٰ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: **(أَفَلاَ تَتَّقِىٰ اللهَ في هٰذِهِ البَهِيمَةِ التِىٰ مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَىٰ إِلَىٰ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ)**[3].

٤- رحمته وشفقته ﷺ بأصحاب الحاجات والقيام بشئونهم ومصالحهم: عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ ٱمْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: يَا أُمَّ فُلاَنٍ ٱنْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّىٰ أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ، فَخَلاَ مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، حَتَّىٰ فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا[4].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٣٦٤). (٢) أخرجه البخاري (٧٠٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٥٤٩)، وأحمد (١٧٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٦٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٢٦).

- **نماذج من رحمة الصحابة ﷺ:**

١- عَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابنتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلاَثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَىٰ فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابنتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: "**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**"[1].

٢- كان أبو بكر الصديق ﵁ رحيمًا بالعجائز والجواري وهو أمير المؤمنين يحلب لهن ويقوم علىٰ حوائجهن. قالت عائشة ﵂: (كان يحلب للحي أغنامهم فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحي: الآن لا تحلب لنا منائح دارنا ،فسمعها أبو بكر فقال: بلىٰ لعمري لأحلبنها لكم وإني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يحلب لهم فربما قال للجارية من الحي: يا جارية أتحبين أن أرغىٰ لك أو أصرح فربما قالت أرغ وربما قالت صرح[2] فأي ذلك قالته فعل)[3].

٣- ولقد بلغت الرحمة مبلغًا عظيمًا في الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ﵁ الذي بلغ من القسوة والغلظة في جاهليته أعظمها، فلما ذاق طعم الإيمانأصبح إماما يقتدىٰ به في اللين، لما ولي الخلافة خطب الناس مطمئنًا لهم فكان مما قال: (اعلَموا أنّ تلك الشدّة قد أُضعِفت، ولكنّها إنما تكون علىٰ أهل الظلم والتعدِّي على المسلمين، فأمّا أهلُ السلامة والدين والقَصد فأنا ألين لهم من بعضِهم لبعض، وإنّني بعد شدَّتي تلك

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٣٠).

(٢) الصَّريحُ: اللبن إذا ذهبت رَغْوَتُه ولبن صَريح ساكن الرَّغْوَةِ خالص. لسان العرب (٢٤٢٦).

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٤٣٢).

أضع خدِّي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف)[١].

وكان رحمه الله رحيمًا بالصغير والكبير ويقوم علىٰ حوائج الناس قال طلحة بن عبد الله: خرج عمر ليلة في سواد الليل فدخل بيتا فلما أصبحت ذهبت إلىٰ ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مقعدة فقلت لها: ما بال هٰذا الرجل يأتيكي؟ فقالت: إنه يتعاهدني مدة كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذي[٢].

وقال أسلم: خرجت ليلة مع عمر إلىٰ ظاهر المدينة فلاح لنا بيت شعر فقصدناه فإذا فيه ٱمرأة تمخض وتبكي، فسألها عمر عن حالها فقالت: أنا ٱمرأة عربية وليس عندي شئ. فبكىٰ عمر وعاد يهرول إلىٰ بيته فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ وأخبرها الخبر، فقالت: نعم، فحمل علىٰ ظهره دقيقًا وشحمًا، وحملت أم كلثوم ما يصلح للولادة وجاء، فدخلت أم كلثوم على المرأة، وجلس عمر مع زوجها -وهو لا يعرفه- يتحدث، فوضعت المرأة غلامًا فقالت أم كلثوم: يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام فلما سمع الرجل قولها ٱستعظم ذلك وأخذ يعتذر إلىٰ عمر فقال عمر: لا بأس عليك، ثم أوصلهم بنفقة وما يصلحهم وانصرف[٣].

٤- كان جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رحيمًا بالمساكين يعطف عليهم ويطعمهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا نسمي جعفرًا (أبا المساكين)، كان يذهب بنا إلىٰ بيته، فإذا لم يجد لنا شيئا، أخرج إلينا عُكَّة[٤] أثرها عسل، فنشقها ونلعقها[٥].

---

(١) الأعتقاد للبيهقي (٥٠٧).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير(١٠/ ١٨٥).

(٣) السابق (١٠/ ١٨٦).

(٤) العُكَّة: ظرف السمن .

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٢١٧).

- نماذج من رحمة السلف رحمهم الله وأقوالهم:

- كان السري يقول: هٰذا الذي أنا فيه من بركات معروف الكرخي ٱنصرفت من صلاة العيد، فرأيت مع معروف صبيًا شعثًا، فقلت: من هٰذا؟ قال: رأيت الصبيان يلعبون، وهٰذا واقف منكسر، فسألته: لم لا تلعب؟ فقال: أنا يتيم فقلت: ما ترىٰ أنك تعمل به؟ فقال: لعلي أخلو فأجمع له نوىٰ يشتري به جوزًا يفرح به. فقلت له: أعطينيه أغير من حاله. فقال لي: أو تفعل؟ فقلت: نعم. فقال لي: خذه أغنىٰ الله قلبك، فساوت الدنيا عندي أقل من كذا(١).

رحمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

قال الحافظ عمر بن علي البزار: (وحدثني من أثق به أن الشيخ ﷺ كان مارًا يومًا في بعض الأزقة فدعا له بعض الفقراء وعرف الشيخ حاجته ولم يكن مع الشيخ ما يعطيه فنزع ثوبًا علىٰ جلده ودفعه إليه وقال بعه بما تيسر وأنفقه واعتذر إليه من كونه لم يحضر عنده شيء من النفقة)(٢).

قال مصطفىٰ لطفي المنفلوطي:

إن الرحمة كلمة صغيرة ولكن بين لفظها ومعناها من الفرق مثل ما بين الشمس في منظرها، والشمس في حقيقتها.

لو تراحم الناس لما كان بينهم جائع ولا مغبون ولا مهضوم ولأقفرت الجفون من المدامع ولاطمأنت الجنوب في المضاجع. ولمحت الرحمة الشقاء من المجتمع كما يمحو لسان الصبح مداد الظلام.

أيها الإنسان ٱرحم الأرملة التي مات عنها زوجها ولم يترك لها غير صبية صغار ودموع غزار ٱرحمها قبل أن ينال اليأس منها ويعبث الهم بقلبها فتؤثر

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (١٠/ ١٢٣).

(٢) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية لسراج الدين (٦٥).

الموت على الحياة.

ارحم الزوجة أم ولدك وقعيدة بيتك ومرآة نفسك وخادمة فراشك لأنها ضعيفة ولأن الله قد وكل أمرها إليك وما كان لك أن تكذب ثقته بك.

ارحم ولدك وأحسن القيام علىٰ جسمه ونفسه فإنك إلا تفعل قتلته أو أشقيته فكنت أظلم الظالمين.

ارحم الجاهل لا تتحين فرصة عجزه عن الانتصاف لنفسه فتجمع عليه بين الجهل والظلم ولا تتخذ عقله متجرًا تربح فيه ليكون من الخاسرين. ارحم الحيوان لأنه يحس كما تحس ويتألم كما تتألم ويبكي بغير دموع ويتوجع. أيها السعداء أحسنوا إلى البائسين والفقراء، وامسحوا دموع الأشقياء وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء[1].

---

(١) مؤلفات مصطفىٰ لطفي المنفلوطي الكاملة (٨٨).

٧- بشاشة الوجه

إن بشاشة وجه المتطوع لهي أعظم إعلان ودعاية لنجاح مهمته، وتقطيب الجبين في وجه المنفقين سيؤدي ولا بد إلىٰ تغيير مسارهم إلىٰ جهة أخرىٰ بل ربما تجتمع عند مؤسسة خيرية خيرات كثيرة لكن الناس يأنفون الذهاب إليها لما يرون من فظاظة وغلظة من القائمين علىٰ توزيعها، فالبشاشة وطلاقة الوجه ٱنطلاق للعمل والغلظة إفساد وإفشال له.

تعريف بشاشة الوجه:

معنى البَشَاشَة لغة:

مصدر بش، وهو مأخوذ من مادة (ب ش ش) التي تدل في اللغة علىٰ معنىٰ واحد هو اللّقاء الجميل. والضّحك إلى الإنسان سرورًا به[١].

قال ابن منظور: والبَشاشة طلاقة الوجه[٢].

معنى البَشَاشَة ٱصطلاحًا:

البَشَاشَة هي: طلاقة الوجه، مع الفرح، والتَّبسُّم، وحسن الإقبال، واللُّطف في المسألة[٣].

الآيات الدالة على التبسم وبشاشة الوجه:

١- قال تعالىٰ: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

٢- قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ١٨٢). (٢) لسان العرب (٢٨٨ - ٢٨٩).

٣- قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩].

الأحاديث الدالة علىٰ بشاشة الوجه:

١- عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: **"لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ"**[١].

قال النووي رحمه الله: قوله ﷺ (ولو أن تلقىٰ أخاك بوجه طَلْق) روي (طَلْق) علىٰ ثلاثة أوجه: إسكان اللام وكسرها، وطليق، بزيادة ياء، ومعناه: سهل منبسط. فيه الحثُّ علىٰ فضل المعروف، وما تيسَّر منه وإن قلَّ، حتىٰ طلاقة الوجه عند اللِّقاء[٢].

٢- عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلاَلِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ"**[٣].

قال المُناوي: قال ابن عيينة: والبَشَاشَة مصيدة المودَّة، والبِرُّ شيء هيِّن، وجه طليق، وكلام ليِّن. وفيه رَدٌّ على العالم الذي يصَعِّر خدَّه للناس، كأنَّه معرض عنهم، وعلى العابد الذي يعبِّس وجهه ويقطِّب جبينه، كأنَّه منزَّهٌ عن النَّاس، مستقذر لهم، أو غضبان عليهم. قال الغزالي: ولا يعلم المسكين أنَّ الورع ليس في الجبهة حتىٰ يُقَطَّب، ولا في الوجه حتىٰ يُعَفَّر، ولا في الخدِّ حتىٰ يُصَعَّر، ولا في الظَّهر حتىٰ ينحني، ولا في الذَّيل حتىٰ يُضَمَّ، إنَّما الورع في القلب[٤].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٢٨٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٦). (٣) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١٧٧).

(٤) أخرجه الترمذي (١٩٥٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٧٢).

أقوال السلف في بشاشة الوجه:

* عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: مكتوب في الحكمة: ليكن وجهك بسطًا، وكلمتك طيبة، تكن أحبَّ إلى النَّاس من الذي يعطيهم العطاء(١).

* قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: إنَّ المسلمَيْنِ إذا التقيا، فضحك كلُّ واحد منهما في وجه صاحبه، ثم أخذ بيده، تَحَاتَّتْ ذنوبهما كتحات ورق الشجر(٢).

* قال ابن القيِّم: طلاقة الوجه والبِشْر المحمود وسط بين التَّعبيس والتَّقطيب، وتصعير الخدِّ، وطيِّ البِشْر عن البَشَر، وبين الاسترسال مع كلِّ أحد بحيث يذهب الهيبة، ويزيل الوقار، ويطمع في الجانب، كما أنَّ الانحراف الأوَّل يوقع الوحشة، والبغضة، والنُّفرة في قلوب الخَلْق، وصاحب الخُلُق الوسط: مهيب محبوب، عزيز جانبه، حبيب لقاؤه. وفي صفة نبيِّنا: من رآه بديهة هابه، ومن خالطه عشرة أحبَّه(٣).

* قال ابن حبان: البَشَاشَة إدام العلماء، وسجيَّة الحكماء؛ لأنَّ البِشْر يطفئ نار المعاندة، ويحرق هيجان المباغضة، وفيه تحصين من الباغي، ومنجاة من الساعي(٤).

* قال ميمون بن مهران: المروءة طلاقة الوجه والتودد إلى الناس وقضاء الحوائج(٥).

- **نماذج من بشاشة النبي ﷺ:**

١- -بَشَاشَته ﷺ عند مقابلته للناس: عَنْ جَرِير بن عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: (مَا

---

(١) فيض القدير للمناوي (٣/ ٢٢٦).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ١٧٨).

(٣) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (١/ ٢٠٤).

(٤) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٣٧).

(٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان (١/ ٧٥).

حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي)[١].

٣- كان رسول الله ﷺ أكثر الناس تبسمًا: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٢].

٣- كان ﷺ إذا أعجبه شيء بدا البشر علىٰ وجهه ويسر لذلك: عن بُرَيْدَةَ الأسلمي رضي الله عنه أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ كَانَ لاَ يَتَطَيَّرُ مِنْ شَىءٍ وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلًا سَأَلَ عَنِ ٱسْمِهِ فَإِذَا أَعْجَبَهُ ٱسْمُهُ فَرِحَ بِهِ وَرُئِىَ بِشْرُ ذَلِكَ في وَجْهِهِ وَإِنْ كَرِهَ ٱسْمَهُ رُئِىَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ في وَجْهِهِ وَإِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنِ ٱسْمِهَا فَإِنْ أَعْجَبَهُ ٱسْمُهَا فَرِحَ بِهَا وَرُئِىَ بِشْرُ ذَلِكَ في وَجْهِهِ وَإِنْ كَرِهَ ٱسْمَهَا رُئِىَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ في وَجْهِهِ)[٣].

- **فوائد بشاشة الوجه:**

١- طلاقة الوجه تبشر بالخير، ويقبل علىٰ صاحبها النَّاس، والوجه العبوس سبب لنفرة النَّاس.

٢- طلاقة الوجه للضيف من إكرامه، مع طيب الحديث عند الدُّخول، والخروج، وعلى المائدة.

وقد قيل: من آداب المضيف: أن يخدم أضيافه، ويظهر لهم الغنىٰ، والبسط بوجهه، فقد قيل: البَشَاشَة خير من القِرىٰ.

٣- تكلُّفُ البِشْر والطَّلاقة، وتجنُّب العبوس والتَّقطيب من الوسائل المعينة على ٱكتساب الأخلاق الحميدة.

٤- البشاشة وطلاقة الوجه تثمر المحبَّة بين المسلمين، والتآلف بينهم.

٥- تبعث الاْطمئنان بين المسلمين عند اللقاء.

٦- تعين علىٰ قبول الناس للنصيحة والأمر المعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٦١/ ٣٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٢٢)، ومسلم (٢٤٧٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٤١)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٨٢٩) .

٨- الحلم

يحتاج المتطوع إلى التحلي بالحلم والأناة فإنه غالبًا يعامل شرائح من الناس أصابتهم الجوائح والمصائب،وربما جهل أحدهم عليه لشدة حاجته وإلحاحه في الطلب؛فمهما يكن لا بد أن يحلم عليهم ويرفق بهم ويحتمل الأذىٰ منهم طمعًا في ثواب الله.

تعريف الحلم:

الحلم في اللغة:

قال ابن فارس: الحلم: تَرْكُ العَجَلَةَ، والْحِلْمُ خِلَافُ الطَّيْشِ، يُقَالُ حَلُمْتُ عَنْهُ أَحْلُمُ فَأَنَا حَلِيمٌ[(١)].

وقال الجوهري: الحِلْمُ بالكسر: الأناةُ. تقول منه: حَلُمَ الرجل بالضم. وتَحَلَّمَ: تكلّفَ الحلم[(٢)].

وقال ابن منظور: والحِلْم: نقيضُ السَّفَه[(٣)].

الحلم في الاًصطلاح:

قال الراغب: هو ضبط النّفس والطبع عن هيجان الغضب[(٤)].

وقال العسكري: هُوَ الإِمْهَال بِتَأْخِير العقَاب المستحق[(٥)].

وقال الجرجاني: هو الطمأنينة عند سَوْرةِ الغضب وقيل تأخير مكافأة الظالم[(٦)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٢٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٧٦٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٩٣) بتصرف.

(٣) الصحاح للجوهري (٥/ ١٩٠٣).

(٤) لسان العرب (١٢/ ١٤٦).

(٥) المفردات للراغب الأصفهاني (٢٥٣).

(٦) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (٢٠٠).

وقال ابن حبان: الحلم أسم يقع علىٰ ذم النفس عَن الخروج عند الورود عليها ضد مَا تحب إلىٰ مَا نهي عنه فالحلم يشتمل على المعرفة والصبر والأناة[١].

الأدلة من القرآن والسنة وأقوال السلف:

الأدلة من القرآن:

١- قال الله تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣- ١٣٤].

قال ابن كثير: وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ: أي: لا يعملون غضبهم في الناس، بل يكفون عنهم شرهم، ويحتسبون ذلك عند الله ﷻ، ثم قال تعالىٰ: وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ: أي: مع كف الشر يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم، فلا يبقىٰ في أنفسهم مَوجدة علىٰ أحد، وهٰذا أكمل الأحوال، ولهٰذا قال: والله يُحِبُّ المُحْسِنِينَ فهٰذا من مقامات الإحسان[٢].

٢- قال تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٣- وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾ [فصلت: ٣٤].

قال ابن كثير: (وَلا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ) أَيْ: فَرْقٌ عَظِيمٌ بَيْنَ هٰذِه وهٰذِه، (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أَيْ: مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ فَادْفَعْهُ عَنْكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه مَا عَاقَبْتَ مَنْ عَصَىٰ اللهَ فِيكَ بِمِثْلِ أَنْ تُطِيعَ اللهَ فِيهِ. وَقَوْلُهُ: (فَإِذَا الذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) وَهُوَ الصَّدِيقُ أي إذا

---

(١) التعريفات للجرجاني (ص ٩٢).

(٢) روضة العقلاء لابن حبان (٢٠٨).

أحسنت إلىٰ من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلىٰ مصافاتك ومحبتك، والحنو عليك، حتىٰ يصير كأنه ولي لك حميم أي: قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك. ثم قال: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ أي: وما يقبل هٰذِه الوصية ويعمل بها إلا من صبر علىٰ ذلك، فإنه يشق على النفوس، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة.

قال ابن عباس في تفسير هٰذِه الآية: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم[1].

٤- قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورىٰ: ٣٧].

وقال السعدي: أي: قد تخلقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتىٰ إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح، فترتب علىٰ هٰذا العفو والصفح من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير، كما قال تعالىٰ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[2].

الأدلة من السنة:

١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ القَيْسِ: "**إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ وَالْأَنَاةُ**"[3].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٨١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص ٧٥٩).

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**"[(١)].

قال ابن عبد البر: في هذا الحديث من الفقه فضل الحلم، وفيه دليل على أن الحلم كتمان الغيظ وأن العاقل من ملك نفسه عند الغضب لأن العقل في اللغة ضبط الشيء وحبسه منه[(٢)].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَىٰ بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**"[(٣)].

قال العراقي: فِيهِ الرِّفْقُ فِي إِنْكَارِ المُنْكَرِ وَتَعْلِيمِ الجَاهِلِ بِاسْتِعْمَالِ التَّيْسِيرِ وَتَرْكِ التَّعْسِيرِ[(٤)].

أقوال السلف في الحلم:

١- قال عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: أَوَّلُ عِوَضِ الحَلِيمِ عن حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنصاره[(٥)].

٢- وعَنِ ابن عَبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: الحِلْمُ مِنَ الخِلَالِ التِي تُرْضِي اللهَ وَهُوَ يَجْمَعُ لِصَاحِبِهِ شَرَفَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ أَلَمْ تَسْمَعُوا اللهَ تَعَالَىٰ وَصَفَ خَلِيلَهُ بِالْحِلْمِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥][(٦)].

٣- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: إِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَإِنَّمَا الحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَوَخَّ الخَيْرَ يُعْطَهُ وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ.

٤- وقَالَ أيضا: لَيْسَ الخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ ولكن الخَيْرُ أَنْ يَعْظُمَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٣) التمهيد (٦/ ٣٢٢). (٤) أخرجه البخاري (٦١٢٨).

(٥) طرح التثريب للعراقي (٢/ ١٣٨).

(٦) أدب الدنيا والدين (ص ٢٥٢).

حِلْمُكَ وَيَكْثُرَ عِلْمُكَ وَأَنْ تُنَادِي النَّاسَ فِي عِبَادَةِ اللهِ فَإِذَا أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللهَ وَإِذَا أَسَأْتَ ٱسْتَغْفَرْتَ اللهَ[١].

٥- وقَالَ مُعَاوِيَةُ ﷺ: لَا يَبْلُغُ الرَّجُلُ مَبْلَغَ الرَّأْيِ حَتَّىٰ يَغْلِبَ حِلْمُهُ جَهلَهُ وَصَبْرُهُ شَهْوَتَهُ، وَلَا يَبْلُغُ ذَلِكَ إِلَّا بِقُوَّةِ الحِلْمِ[٢].

٦- وقَالَ أيضًا: يَا بَنِي أُمَيَّةَ، قَارِعُوا قُرَيْشًا بِالْحِلْمِ، فَوَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَلْقَى الرَّجُلَ مِنَ الجَاهِلِيَّةِ يُوسِعُنِي شَتْمًا وَأُوسِعُهُ حِلْمًا فَأَرْجِعُ وَهُوَ لِي صَدِيقٌ أَسْتَنْجِدُهُ فَيُنْجِدُنِي وَأُثِيرُهُ فَيَثُورُ مَعِي وَمَا دَفَعَ الحِلْمُ عَنْ شَرِيفٍ شَرَفَهُ وَلَا زَادَهُ إِلَّا كَرَمًا[٣].

٧- وقَال أيضًا: لاَ حِلْمَ إلاَّ التَجَارِب[٤].

٨- وقَالَ لِعِرَابَةَ بْنِ أَوْسٍ: بِمَ سُدْتَ قَوْمَكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَحْلُمُ عَنْ جَاهِلِهِمْ وَأُعْطِي سَائِلَهُمْ وَأَسْعَىٰ فِي حَوَائِجِهِمْ[٥].

٩- وقَالَ يَا مَعْشَرَ طَيِّءٍ، مَنْ سَيِّدُكُمْ؟ قَالُوا: خُرَيْمُ بْنُ أَوْسٍ: مَنِ ٱحْتَمَلَ شَتْمَنَا وَأَعْطَىٰ سَائِلَنَا وَحَلُمَ عَنْ جَاهِلِنَا وَاغْتَفَرَ فَضْلَ ضَرْبِنَا إِيَّاهُ بِعِصِيِّنَا[٦].

١٠- وعَنِ الحَسَنِ، قَالَ: المُؤْمِنُ حَلِيمٌ لَا يَجْهَلُ وَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ حَلِيمٌ لَا يَظْلِمُ وَإِنْ ظُلِمَ غَفَرَ لَا يَقْطَعُ وَإِنْ قُطِعَ وَصَلَ لَا يَبْخَلُ وَإِنْ بُخِلَ عَلَيْهِ صَبَرَ[٧].

١٠- عَنْ رَجَاءِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: الحِلْمُ أَرْفَعُ مِنَ العَقْلِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ تَسَمَّىٰ بِهِ[٨].

١١- وقَالَ شُرَيْحٌ: الحِلْمُ كَنْزٌ مُوفَّرٌ[٩].

---

(١) الحلم لابن أبي الدنيا (٥٧).

(٢) السابق (٦٠). (٣) السابق (١٣). (٤) السابق (٣٣).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٢٦١٣٦).

(٦) الحلم لابن أبي الدنيا (٣٩).

(٧) السابق (٤٠). (٨) السابق (٦١). (٩) السابق (١٥).

نماذج مشرقة في الحلم:

الحلم من أعظم صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

١- حلم خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام:

* قال الله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٣- ١١٤].

قال القرطبي: والْحَلِيمُ: الكَثِيرُ الحِلْمِ وَهُوَ الذِي يَصْفَحُ عَنِ الذُّنُوبِ وَيَصْبِرُ عَلَى الأذىٰ. وَقِيلَ: الذِي لَمْ يُعَاقِبْ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا فِي اللهِ وَلَمْ يَنْتَصِرْ لِأَحَدٍ إِلَّا لله. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام كَذَلِكَ وَكَانَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي سُمِعَ وَجِيبُ قلبه علىٰ ميلين[١].

* وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].

٢- حلم نبي الله إسماعيل عليه السلام:

* قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَٰٓؤُا الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الصافات ٩٩- ١٠٩].

قال ابن تيمية: وقد ٱنطوت البشارة علىٰ ثلاث: علىٰ أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ الحلم، وأنه يكون حليمًا، وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢٦١٣٤). (٢) تفسير القرطبي (٨/ ٢٧٦).

عليه أبوه الذبح فقال: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ [الصافات: ١٠٢] وقيل: لم ينعت الله الأنبياء بأقل من الحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت إبراهيم به في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥] لأن الحادثة شهدت بحلمهما: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: ١٠٢])[١].

٣- حلم نبي الله يوسف عليه السلام:

* قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠].

قال الشوكاني: أمره بأن يسأل الملك عن ذلك وتوقف عن الخروج من السجن، ولم يسارع إلىٰ إجابة الملك، ليظهر للناس براءة ساحته ونزاهة جانبه، وأنه ظلم بكيد امرأة العزيز ظلما بينا، ولقد أعطي عليه السلام من الحلم والصبر والأناة ما تضيق الأذهان عن تصوره، ولهٰذا ثبت في الصحيح من قوله ﷺ: «**ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي**» يعني الرسول الذي جاء يدعوه إلى الملك. قال ابن عطية: كان هٰذا الفعل من يوسف أناة وصبرا، وطلبا لبراءة ساحته، وذلك أنه خشي أن يخرج وينال من الملك مرتبة، ويسكت عن أمر ذنبه، فيراه الناس بتلك العين يقولون هٰذا الذي راود امرأة العزيز..[٢]..

الحلم عند النبي ﷺ:

١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كأنّي أنظر إلى النّبيّ ﷺ يحكي: نبيّا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، فهو يمسح الدّم عن وجهه ويقول: ربّ اغفر

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣٣٢).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١).

لقومي فإنّهم لا يعلمون[١].

قال ابن عثيمين: وهٰذا من حلم الأنبياء وصبرهم علىٰ أذىٰ قومهم، وكم نال الأنبياء من أذىٰ قومهم؟! قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤] فهٰذا النبي ﷺ ضربه قومه حتىٰ أدموا وجهه يقول: "**اللهم اْغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**" وكأن هٰؤلاء القوم كانوا مسلمين، لٰكن حصل منهم مغاضبة مع نبيهم ففعلوا هٰذا معه، فدعا لهم بالمغفرة، إذ لو كانوا غير مسلمين لكان يدعوا لهم بالهداية، فيقول اللهم اْهد قومي، لٰكن هٰذا الظاهر أنهم كانوا مسلمين[٢].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: إنّ رجلا أتى النّبيّ ﷺ يتقاضاه فأغلظ، فهمّ به أصحابه فقال رسول الله ﷺ: "**دعوه فإنّ لصاحب الحقّ مقالاً**". ثمّ قال: "**أعطوه سنّا مثل سنّه**"، قالوا: يا رسول الله، إلّا أمثل من سنّه، فقال: "**أعطوه، فإنّ من خيركم أحسنكم قضاء**"[٣].

الحلم عند الصحابة رضي الله عنهم:

١- قال رجل لأبي بكر رضي الله عنه: والله لأسبّنّك سبّا يدخل القبر معك. قال: معك يدخل لا معي.

٢- وقال معاوية لخالد بن المعمّر: كيف حبّك لعلي بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: أحبه لثلاث خصال: علىٰ حلمه إذا غضب، وعلىٰ صدقه إذا قال، وعلىٰ وفائه إذا وعد.

٣- قال رجل لعمرو بن العاص: والله لأتفرّغنّ لك. قال: هنالك وقعت في الشّغل. قال: كأنك تهدّدني، والله لئن قلت لي كلمة لأقولنّ لك عشرا. قال: وأنت والله لئن قلت لي عشرا لم أقل لك واحدة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢).

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/ ٦٠٨). (٣) أخرجه البخاري (٢٣٠٦).

٤- وشتم رجل أبا ذرّ، فقال: يا هٰذا، لا تغرق في شتمنا ودع للصّلح موضعًا، فإنا لا نكافيء من عصىٰ الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.

الحلم عند السلف:

١- أسمع رجل عمر بن عبد العزيز ما يكره، فقال: لا عليك، إنما أردت أن يستفزّني الشيطان بعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا. ٱنصرف إذا شئت.

٢- شتم رجل الشّعبي، فقال له: إن كنت صادقا فغفر الله لي، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك.

٣- وقال الأصمعي: سمعت أعرابيًا يقول: كان سنان بن أبي حارثة أحلم من فرخ الطائر. قلت: وما حلم فرخ الطائر؟ قال: إنه يخرج من بيضة في رأس نيق، ولا يتحوّل حتىٰ يتوفر ريشه ويقوىٰ على الطيران.

٤- قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري؛ رأيته قاعدا بفناء داره، محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه، حتىٰ أتي برجل مكتوف ورجل مقتول؛ فقيل له: هٰذا ابن أخيك قتل ابنك. فو الله ما حلّ حبوته ولا قطع كلامه. ثم التفت إلى ابن أخيه وقال له: يا بن أخي، أثمت بربّك، ورميت نفسك بسهمك، وقتلت ابن عمّك. ثم قال لابن له آخر: قم يا بنيّ فوار أخاك، وحلّ كتاف ابن عمك، وسق إلىٰ أمّه مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة[1].

٥- ومما يحكىٰ أن معن بن زائدة كان أميرًا على العراق، وكان حليمًا كريمًا يضرب به المثل فسمع به أعرابي فأراد أن يمتحن حلمه. فقال الأعرابي:

أتذكر إذ لحافك جلد شاة ... وإذ نعلاك من جلد البعير

فقال معن: أذكر ولا أنساه. فقال الأعرابي:

---

(١) العقد الفريد (٢/ ١٣٤- ١٤٠).

فسبحان الذي أعطاك ملكًا ... وعلمك الجلوس على السرير

فقال معن: ﷺ. فقال الأعرابي:

فلست مسلِّمًا إن عشت دهرًا ... علىٰ معنٍ بتسليم الأمير

فقال معن: يا أخا العرب! السلام سنة. فقال الأعرابي:

سأرحل من بلاد أنت فيها ... ولو جار الزمان على الفقير

فقال معن: يا أخا العرب إن جاورتنا فمرحبًا بك، وإن رحلت فمصحوبًا بالسلامة. فقال الأعرابي:

فجد لي يا ابن ناقصة بشيء ... فإني قد عزمت على المسير

فقال معن: أعطوه ألف دينار ليستعين بها علىٰ سفره. فأخذها وقال:

قليل ما أتيت به وإني ... لأطمع منك بالمال الكثير

فقال معن: أعطوه ألفًا آخرًا. فأخذها وقال:

سألت الله أن يبقيك ذُخرًا ... فمالك في البرية من نظير

فقال معن: أعطوه ألفًا آخرًا.

فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين ما جئت إلا مختبرًا حلمك، فقد جمع الله فيك من الحلم ما لو قُسّم علىٰ أهل الأرض لكفاهم.

فقال معن: يا غلام، كم أعطيته علىٰ نظمه؟ قال: ثلاثة آلاف دينار. فقال: أعطه علىٰ نثره مثلها[١].

٦- وقيل في منثور الحكم: من أوكد أسباب الحلم رحمة الجهّال[٢].

٧- وقال بعضهم: الحليم مطية الجهول[٣].

---

(١) الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية للأهدل (ص ١٠٦).

(٢) المصدر السابق (ص٢٥٢).

(٣) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال (ص٥٤٥).

٩- العلم

العلم سابق للعمل في كل مجال، والمتطوع عليه قبل أن يسلك سبيل نفع الآخرين لا بد أن يكون عمله موقوفًا على العلم النافع وإلا أضاع جهدًا كبيرًا فيما لا يحسن، وكثيرًا ما نرىٰ متطوعين قاموا بأعمال علىٰ غير الوجه الذي شرعه الله، فحاجة المتطوع للعلم فيما يعمله لازم. وذلك يتضمن العلم بمعرفة وجوه مصادر التمويل المشروع وما يباح من إنفاقه ومالا يباح، وأقسام المستحقين للنفقة والمقادير الشرعية في كل ذلك، بالإضافة إلى الجانب التربوي والأخلاقي في التعامل مع الناس جميعًا منفقين ومستفيدين، وهذا لن يكون إلا بالعلم النافع.

تعريف العلم:

- العلم لغة:

مصدر قولهم عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْمًا وهو مأخوذ من مادة (ع ل م) التي تدل علىٰ أثَرٍ بالشيء يتميَّزُ به عن غيره[1]. قال ابن منظور: العلم نقيض الجهل، وعَلِمْتُ الشيءَ أَعْلَمُه عِلْمًا: عَرَفْتُه، قال ابن بري: وتقول: عَلِمَ وفَقِهَ: أي تَعَلَّم وتَفَقَّه، وعَلُم وفَقُه أي سادَ العلماءَ والفُقَهاءَ[2].

- العلم اصطلاحًا:

قال الجرجاني: العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع[3].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ١٠٩).

(٢) لسان العرب (٣٠٨٣).

(٣) التعريفات للجرجاني (١/ ١٩٩).

قال الكفوي: والمعنى الحقيقي للفظ العلم هو الإدراك ولهذا المعنىٰ متعلق وهو المعلوم وله تابع في الحصول يكون وسيلة إليه في البقاء وهو الملكة، فأطلق لفظ العلم علىٰ كل منها إما حقيقة عرفية أو اصطلاحية أو مجازًا مشهورًا[١].

قال الغزالي: العلم هو معرفة الشيء علىٰ ما هو عليه[٢].

فضل العلم:

قال ابن القيم: العلم هاد والحال الصحيح مهتد به وهو تركة الأنبياء وتراثهم وأهله عصبتهم ووراثهم وهو حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض العقول ولذة الأرواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين وهو الميزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال، وهو الحاكم المفرق بين الشك واليقين والغي والرشاد والهدىٰ والضلال به يعرف الله ويعبد ويذكر ويوحد ويحمد ويمجد وبه اهتدىٰ إليه السالكون ومن طريقه وصل إليه الواصلون ومن بابه دخل عليه القاصدون به تعرف الشرائع والأحكام ويتميز الحلال من الحرام وبه توصل الأرحام وبه تعرف مراضي الحبيب وبمعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب وهو إمام والعمل مأموم وهو قائد والعمل تابع وهو الصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والأنيس في الوحشة والكاشف عن الشبهة والغني الذي لا فقر علىٰ من ظفر بكنزه والكنف الذي لا ضيعة علىٰ من آوىٰ إلىٰ حرزه. مذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه قربة وبذله صدقة ومدارسته تعدل بالصيام والقيام والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام[٣].

---

(١) الكليات للكفوي (٦١١).
(٢) الإحياء (٢٩٨).
(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٣٥١).

- **الآيات والأحاديث وأقوال السلف في العلم:**

- **الآيات الدالة على فضل العلم:**

١- وصف الله تعالىٰ نفسه بالعلم المطلق، وأخبر بأنه يعلم ما يظن أنه يخفىٰ عليه، وبين أنه سبحانه عنده علم الساعة والغيب فقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- قال الله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

قال ابن كثير رحمه الله: وهٰذِه خصوصية عظيمة للعلماء في هٰذا المقام[(١)].

٣- نفىٰ سبحانه التسوية بين أهل العلم وبين غيرهم من البشر كما نفى التسوية بين أهل الجنة وأهل النار، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

قال ابن عاشور رحمه الله: فإنك ما تأملت مقامًا اقتحم فيه عالم وجاهل إلا وجدتَ للعالم فيه من السعادة ما لا تجده للجاهل[(٢)].

٤- أمر الله بسؤال أهل العلم والرجوع إليهم، وجعل ذلك كالشهادة منهم، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣] وأهل الذكر هم أهل العلم.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: فاسألوا أهل العلم بذلك الذين نزلت عليهم الزبر والبينات فعلموها وفهموها، فإنهم كلهم قد تقرر عندهم أن الله

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٤).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣/ ٣٤٩).

ما بعث إلا رجالاً يوحي إليهم من أهل القرىٰ، وعموم هٰذِه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلىٰ أنواعه العلم بكتاب الله المنزل. فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل علىٰ أن الله ٱئتمنهم علىٰ وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال، وأفضل أهل الذكر أهل هٰذا القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة، وأولىٰ من غيرهم بهٰذا الٱسم[(١)].

- **الأحاديث الدالة على فضل العلم:**

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **"إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ ٱنْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"**[(٢)].

٢- بين النبي ﷺ أن قبض العلماء سبب في ذهاب العلم، فينبغي الحرص علىٰ تحصيله وأخذه من العلماء قبل موتهم، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ - ﷺ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **(إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ ٱنْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ ولكن يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا ٱتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)**[(٣)].

قال الإمام النووي: وفي هٰذا الحديث الحث علىٰ حفظ العلم وأخذه عن أهله واعتراف العالم للعالم بالفضيلة[(٤)].

٣- طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها وتضعها له رضاء بما يطلب

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٤٤١).
(٢) أخرجه مسلم (١٦٣١).
(٣) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).
(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ٢٢٥).

وهٰذه الفضيلة لأجل العلم ولطلبة العلم، عَنْ قَيْسِ بْنِ كَثِيرٍ، قَالَ: قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ المَدِينَةِ عَلَىٰ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَهُوَ بِدِمَشْقَ فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ يَا أَخِي؟ فَقَالَ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: أَمَا جِئْتَ لِحَاجَةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَمَا قَدِمْتَ لِتِجَارَةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا فِي طَلَبِ هٰذا الحَدِيثِ؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**"[1].

٤- عَنْ عُثْمَانَ بن عفان رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: (**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**)[2].

قال ابن حجر رحمه الله: ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي ولهٰذا كان أفضل وهو من جملة من عني ﷻ بقوله ومن أحسن قولا ممن دعا إلىٰ الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين والدعاء إلىٰ الله يقع بأمور شتىٰ من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع[3].

- **أقوال السلف في العلم:**

١- قال عمر بن الخطاب: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وتواضعوا لمن تعلمون منه ولا تكونوا جبابرة العلماء

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٢)، وأبو داود (٣٦٤١)، وابن ماجه (٢٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٩٤).

فلا يقوم علمكم بجهلكم[١].

٢- قال الإمام أحمد رحمه الله: الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه[٢].

٣- قال أبو الدرداء ﷺ قال: مثل العلماء في الناس كمثل النجوم في السماء يهتدىٰ بها[٣].

٤- قال الشافعي رحمه الله: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة[٤].

٥- قال أبو بكر الآجري - رحمه الله -: فالعلماء في كل حال، لهم فضل عظيم في خروجهم لطلب العلم، وفي مجالستهم لهم فيه فضل، وفي مذاكرة بعضهم لبعض لهم فيه فضل، وفيمن تعلموا منه العلم لهم فيه فضل، وفيمن علموه العلم لهم فيه فضل، فقد جمع الله للعلماء الخير من جهات كثيرة نفعنا الله وإياهم بالعلم[٥].

- نماذج من حرص الأنبياء صلوات الله عليهم على العلم:

لقد من الله تعالىٰ علىٰ أنبيائه ورسله بأعظم علم وهو علم التوحيد والرسالة فجاء الأنبياء ليعلموا الناس حقيقة كلمة لا إلٰه إلا الله وكان من الطبيعي أنهم سيلقون من ألوان الأذىٰ والمواجهة الشيء الكثير الذي يحتاج إلىٰ صبر، وقد كانوا رجاله، وذلك الأذى الذي لاقاه الأنبياء لاقاه من بعدهم الدعاة الصالحون الذين ٱقتفوا أثرهم في دعوة الناس للتوحيد ونبذ

---

(١) جامع بيان العلم وفضله للخطيب البغدادي (٤١).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٤٧٠).

(٣) أخلاق العلماء للآجري (٢٩).

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ١١٩).

(٥) أخلاق العلماء للآجري (٤١).

الشرك وإليك بعض النماذج الدالة علىٰ ذلك:

١- إبراهيم ﷺ يدعوا قومه إلى التوحيد ويصبر علىٰ دعوتهم ويبين لهم أنه عنده من العلم الذي ليس عند أحد منهم، قال الله تعالىٰ حاكيًا عن إبراهيم ﷺ: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣﴾ [مريم: ٤٣] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١].

٢- يوسف ﷺ امتن الله عليه بالعلم مما كان سببًا في تمكينه فقال تعالىٰ حاكيًا عن يوسف ﷺ: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٥، ٥٦] وقال تعالىٰ مبينًا اعترافه بمنة الله عليه وتعليمه إيـاه: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف: ١٠١].

٣- داود وسليمان عليهما السلام امتن الله تعالىٰ عليهما بالعلم فحمدا الله تعالىٰ أن فضلهما علىٰ كثير من عباده فقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النمل: ١٥، ١٦].

٤- رحلة كليم الله موسىٰ ﷺ وفتاه لطلب العلم علىٰ يد الخضر.

قال ابن القيم رحمه الله: إن الله سبحانه أخبرنا عن صفيه وكليمه الذي كتب له التوراة بيده وكلّمه منه إليه، أنه رحل إلىٰ رجل عالم يتعلم منه ويزداد علمًا إلىٰ علمه فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠﴾ [الكهف: ٦٠] حرصًا منه علىٰ لقاء هٰذا العالم وعلى التعلم منه فلما لقيه سلك معه مسلك المتعلم مع معلمه وقال له: هل اتبعك علىٰ أن تعلمن مما علمت رشدًا فبدأه بعد السلام بالاستئذان علىٰ متابعته وأنه لا يتبعه إلا بإذنه، وقال: علىٰ أن تعلمن مما علمت رشدًا فلم يجيء ممتحنًا ولا متعنتًا وإنما جاء متعلمًا مستزيدًا علمًا

إلىٰ علمه وكفىٰ بهٰذا فضلًا وشرفًا للعلم فإن نبي الله وكليمه سافر ورحل حتىٰ لقي النصب من سفره في تعلم ثلاث مسائل من رجل عالم ولما سمع به لم يقر له قرار حتىٰ لقيه وطلب منه متابعته وتعليمه وفي قصتهما عبر وآيات وحكم ليس هٰذا موضع ذكرها(١).

- نماذج من حرص النبي ﷺ على العلم:

١- سؤال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ وتعليمه: عن عمرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: "**بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْم، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ، قَالَ: ثُمَّ ٱنْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**"(٢).

قال النووي رحمه الله: ينبغي للعالم والمفتىٰ وغيرهما إذا سئل عما لا يعلم

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ٥٥ - ٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (١).

أن يقول لا أعلم وأن ذلك لا ينقصه بل يستدل به علىٰ ورعه وتقواه ووفور علمه.
وقال أيضًا: ينبغي لمن حضر مجلس العالم إذا علم بأهل المجلس حاجة إلىٰ مسألة لا يسألون عنها أن يسأل هو عنها ليحصل الجواب للجميع، وفيه: أنه ينبغي للعالم أن يرفق بالسائل ويدنيه منه ليتمكن من سؤاله غير هائب ولا منقبض وأنه ينبغي للسائل أن يرفق في سؤاله[١].

٢- مدارسة جبريل ﷺ للنبي ﷺ القرآن: عَنْ عبد الله بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ[٢].

- نماذج من حرص الصحابة والسلف على العلم:

١- رحلة جابر بن عبد الله رضي الله عنه مسيرة شهر لما بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه اشْتَرَيْتُ بَعِيرًا ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا حَتَّىٰ قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ جَابِرٌ عَلَى البَابِ، فَقَالَ ابن عَبْدِ اللهِ؟! قُلْتُ: نَعَمْ، فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ فَاعْتَنَقَنِي وَاعْتَنَقْتُهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثًا بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي القِصَاصِ فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَوْ قَالَ العِبَادُ عُرَاةً غُرْلاً بُهْمًا - قَالَ قُلْنَا وَمَا بُهْمًا - قَالَ: لَيسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ أَنَا المَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ وَلاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّىٰ أَقُصَّهُ مِنْهُ وَلاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّىٰ أَقُصَّهُ مِنْهُ**

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (١/ ١٥٨ - ١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

حَتَّى اللَّطْمَةُ قَالَ قُلْنَا كَيفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ ﷻ عُرَاةً غُرْلاً بُهْمًا قَالَ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ "(١).

٢- حرص عمر بن الخطاب ﷺ على طلب العلم حتى إنه كان يتناوب هو ورجل من الأنصار على حضور مجالس العلم يقول عمر بن الخطاب ﷺ: كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنْ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنْ الوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ(٢).

٣- جلوس عبد الله بن عباس ﷺ لطلب العلم وقت الظهيرة في الريح الشديدة .عَنِ ابن عَبَّاسٍ قَالَ: "لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ لِرَجُلٍ: هَلُمَّ فَلْنَتَعَلَّمَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَسْأَلُهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَثِيرٌ، فَقَالَ: العَجَبُ والله لَكَ يَا ابن عَبَّاسٍ، أَترى النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ، وَفِي النَّاسِ مَنْ ترى مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَتَرَكْتُ ذَلِكَ وَأَقْبَلْتُ عَلَى المَسْأَلَةِ وَتَتَبُّع أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنْ كُنْتُ لَآتِي الرَّجُلَ فِي الحَدِيثِ يَبْلُغُنِي أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَجِدُهُ قَائِلًا ، فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَىٰ بَابِ دَارِهِ تَسْفِي الرِّيَاحُ عَلَىٰ وَجْهِي، حَتَّىٰ يَخْرُجَ إِلَيَّ، فَإِذَا رَآنِي قَالَ: يَا ابن عَمِّ رَسُولِ اللهِ مَا لَكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ، فَيَقُولُ: هَلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتِيَكَ، فَأَقُولُ: أَنَا كُنْتُ أَحَقَّ أَنْ آتِيَكَ، وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَرَانِي قَدْ ذَهَبَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدِ ٱحْتَاجَ النَّاسُ إِلَيَّ فَيَقُولُ: أَنْتَ كُنْتَ أَحَقَّ مِنِّي"(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٧٠)، وأحمد (١٦٠٤٢)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٧٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٨٩)، ومسلم (١٤٧٩).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٥٩٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥٢١): ورجاله رجال الصحيح.

٤- تعلم زيد بن ثابت رضي الله عنه كتب أهل الكتاب في خمس عشرة ليلة، قَالَ زَيْدٌ: ذُهِبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأُعْجِبَ بِي فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ هٰذا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ وَقَالَ: "**يَا زَيْدُ تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ فَإِنِّي واللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَىٰ كِتَابِي**"، قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ كِتَابَهُمْ مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّىٰ حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ[١].

٥- يقول الإمام الشافعي رحمه الله: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر. وقال أيضًا: كنت أكتب في الأكتاف والعظام، وكنت أذهب إلى الديوان، فأستوهب الظهور، فأكتب فيها[٢].

٦- حرصهم علىٰ طلب العلم مع قلة النفقة: لما خرج الإمام أحمد إلىٰ عبد الرزاق، ٱنقطعت به النفقة، فأكرىٰ نفسه من بعض الجمالين إلىٰ أن وافىٰ صنعاء، وعرض عليه أصحابه المواساة فلم يأخذ[٣].

٧- قالت أم سفيان الثوري لسفيان: ٱذهب، فاطلب العلم حتىٰ أعولك بمغزلي، فإذا كتبت عدة عشرة أحاديث، فانظر هل تجد في نفسك زيادة، فاتبعه، وإلا، فلا تتعن[٤].

٨- قال عمر بن حفص الأشقر: كنا مع البخاري بالبصرة نكتب، ففقدناه أياما، ثم وجدناه في بيت وهو عريان، وقد نفد ما عنده، فجمعنا له الدراهم، وكسوناه[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤٥)، والترمذي (٢٧١٥)، وأحمد (٢١٦١٨)، واللفظ له، وقال الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٧٠): حسن صحيح.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ١١).
(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٤).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٦٩).
(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٢/ ٥٨).

٩- حرصهم علىٰ بذل العلم وتدريسه للطلاب: كان ابن الجوزي يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون لا يضيع من زمانه شيئًا يكتب في اليوم أربعة كراريس، وله في كل علم مشاركة، ولكنه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين، ولديه فقه كافٍ، وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية[١].

- قال الشافعي رحمه الله:

تعلم فليسَ المرءُ يولدُ عالـمًا ... وَلَيْسَ أخو عِلْم كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ

وإنَّ كَبِيـر القَـوْمِ لاَ عـلْـمَ عِـنْدَهُ ... صَغيرٌ إذا التَفَّتْ عَلَيهِ الجَحَافِلُ

وإنَّ صَغيرَ القَومِ إنْ كانَ عَالِمًا ... كَبيرٌ إذَا رُدَّتْ إليهِ المحَافِلُ[٢]

---

(١) تاريخ دمشق (٤/ ١٣٤٢).

(٢) ديوان الشافعي (١/ ٨٨).

١٠- حب الخير للناس

كلما كان المتطوع حريصًا علىٰ حيازة الخير للناس كان نفعه أعظم، فلا يرىٰ سبيلاً لنفع الناس إلا ولجه ولا بابًا من الخير إلا سابق إليه ولا دعمًا للمحتاجين إلا تنافس فيه؛ وما ذاك إلا لما جعل الله له في قلبه من حب الخير للناس.

قال ابن منظور: الحب: نقيض البغض، والحب: الوداد والمحبة[١].

قال الراغب: الخير: ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلا، والعدل، والفضل، والشيء النافع، وضده: الشر[٢].

الأدلة من القرآن والسنة وأقوال السلف:

الأدلة من القرآن:

١- قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤- ١٠٥].

قال السعدي: أي: وليكن منكم أيها المؤمنون الذين مَنَّ الله عليهم بالإيمان والاعتصام بحبله ﴿أُمَّةٌ﴾ أي: جماعة ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ وهو اسم جامع لكل ما يقرب إلىٰ الله ويبعد من سخطه ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهو ما عرف بالعقل والشرع حسنه ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ﴾ وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه، وهٰذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلىٰ سبيله وإرشاد الخلق إلىٰ دينه، ويدخل في ذلك العلماء

(١) لسان العرب (١/ ١٨٦). (٢) المفردات للراغب الأصفهاني (١/ ٣٢٧).

المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس وإلزامهم بالشرع كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من شرائع الإسلام، وكتفقد المكاييل والموازين وتفقد أهل الأسواق ومنعهم من الغش والمعاملات الباطلة، وكل هٰذِه الأمور من فروض الكفايات كما تدل عليه الآية الكريمة في قوله ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ إلخ أي: لتكن منكم جماعة يحصل المقصود بهم في هٰذِه الأشياء المذكورة، ومن المعلوم المتقرر أن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به فكل ما تتوقف هٰذِه الأشياء عليه فهو مأمور به، كالاستعداد للجهاد بأنواع العدد التي يحصل بها نكاية الأعداء وعز الإسلام، وتعلم العلم الذي يحصل به الدعوة إلى الخير وسائلها ومقاصدها، وبناء المدارس للإرشاد والعلم، ومساعدة النواب ومعاونتهم علىٰ تنفيذ الشرع في الناس بالقول والفعل والمال، وغير ذلك مما تتوقف هٰذِه الأمور عليه، وهٰذِه الطائفة المستعدة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم خواص المؤمنين، ولهٰذا قال تعالىٰ عنهم: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالمطلوب، الناجون من المرهوب(١).

٢- قال تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

قال القرطبي: **قال ابن عباس ومجاهد**: علىٰ قلته وحبهم إياه وشهوتهم له.

وقال الداراني: علىٰ حب الله.

وقال الفضيل بن عياض: علىٰ حب إطعام الطعام. وكان الربيع بن خيثم إذا جاءه السائل قال: أَطْعِمُوهُ سُكَّرًا فَإِنَّ الرَّبِيعَ يُحِبُّ السُّكَّرَ(٢).

٣- وقال تعالىٰ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ

---

(١) تفسير السعدي (ص١٤٢).
(٢) تفسير القرطبي (١٩/ ١٢٨).

مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾ [سورة النساء: ١١٤].

قال السعدي: أي: لا خير في كثير مما يتناجىٰ به الناس ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير، فإما لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح، وإما شر ومضرة محضة كالكلام المحرم بجميع أنواعه. ثم ٱستثنىٰ تعالىٰ فقال: ﴿إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ من مال أو علم أو أي نفع كان، بل لعله يدخل فيه العبادات القاصرة كالتسبيح والتحميد ونحوه، كما قال النبي ﷺ: "إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة" الحديث.

﴿أَوۡ مَعۡرُوفٍ﴾ وهو الإحسان والطاعة وكل ما عرف في الشرع والعقل حسنه، وإذا أطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر دخل فيه النهي عن المنكر، وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف، وأيضا لا يتم فعل الخير إلا بترك الشر. وأما عند الأقتران فيفسر المعروف بفعل المأمور، والمنكر بترك المنهي، ﴿أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام والتغاضب يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره، فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض[1].

٤- وقال تعالىٰ: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [سورة الحشر ٩].

قال السعدي: وقوله: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾ أي: ومن أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها علىٰ من سواهم، الإيثار، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس من الأموال وغيرها،

(١) تفسير السعدي (ص٢٠٢).

وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهٰذا لا يكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله تعالىٰ مقدمة علىٰ محبة شهوات النفس ولذاتها[(١)].

الأدلة من السنة:

١- عَنِ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا ٱشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّىٰ"**[(٢)].

٢- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"**[(٣)].

وفي رواية: **"والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الخَيْرِ"**[(٤)].

٣- عن أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ"**[(٥)].

قال ابن بطال: تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا في أمور الدنيا والآخرة مندوب إليه بهٰذا الحديث، وذلك من مكارم الأخلاق، وقد جاء في حديث آخر عن النبي ﷺ: **(الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه)** فينبغي للمؤمنين ٱستعمال آدب نبيهم والاقتداء بما وصف المؤمنين بعضهم لبعض من الشفقة والنصيحة، وتشبيكه بيه ٱصابعه تأكيدًا لقوله وتمثيلا لهم كيف يكونون فيما خولهم من ذلك[(٦)].

---

(١) تفسير السعدي (ص٨٥٠).
(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له.
(٣) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)
(٤) أخرجه النسائي (٥٠١٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٣).
(٥) أخرجه البخاري (٦٠٢٦)، ومسلم (٢٥٨٥).
(٦) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٢٢٧).

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَنْ يَأْخُذُ مِنْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ، فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟**" قَالَ: قُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهُنَّ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: "**اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَىٰ جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**"(١).

أقوال السلف:

* قَالَ الْفُضَيْلُ: إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ مِثْلَكَ، فَمَا أَدَّيْتَ النَّصِيحَةَ لِرَبِّكَ، كَيْفَ وَأَنْتَ تُحِبُّ أَنْ يَكُونُوا دُونَكَ؟

قال ابن رجب: يشير إلىٰ أن النصيحة لهم أن يحب أن يكونوا فوقه، وهٰذه منزلة عالية، ودرجة رفيعة في النصح(٢).

* قَالَ ابن عَبَّاسٍ: إِنِّي لَأَمُرُّ عَلَى الآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَأَوَدُّ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ يَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا أَعْلَمُ(٣).

* قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ تَعَلَّمُوا هٰذا العِلْمَ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ(٤).

* قَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ: اْجْعَلْ كَبِيرَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَكَ أَبًا، وَصَغِيرَهُمُ ابنا، وَأَوْسَطُهُمْ أَخًا، فَأَيُّ أُولَئِكَ تُحِبُّ أَنْ تُسِيءَ إِلَيْهِ؟(٥).

* وَمِنْ كَلَامِ يَحْيَىٰ بْنِ مُعَاذٍ الرَّازِيِّ: لِيَكُنْ حَظُّ الْمُؤْمِنِ مِنْكَ ثَلَاثَةً: إِنْ لَمْ تَنْفَعْهُ فَلَا تَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ تُفْرِحْهُ فَلَا تَغُمَّهُ، وَإِنْ لَمْ تَمْدَحْهُ فَلَا تَذُمَّهُ(٦).

---

(١) أخرجه أحمد (٨٠٩٥)، والترمذي (٢٣٠٥)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٣٠).
(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٠٩).
(٣) السابق (١/ ٣١٠).
(٤) السابق (١/ ٣١٠).
(٥) السابق (٢/ ٢٨٣).
(٦) السابق (٢/ ٢٨٣).

نماذج من حب الخير للناس:

الأنبياء والمرسلين وحبهم الخير للناس:

إبراهيم خليل الرحمن ﵇:

سؤال إبراهيم ربه أن يظل التوحيد في ذريته بعد وفاته:

قال الله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: ١٢٨].

تكررت مسألة الخليل للذرية ٱستشعارا بالمسئولية واهتماما منه بشأنهم وصلاحهم، وهٰذا تعبير صادق عن التضامن الذي يدعو إليه الإسلام وهو حب الخير لكل الناس، ٱمتثالاً لقول النبي ﷺ: (**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه**). وكما أخبرنا الله عن عباده المتقين في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. وهٰذا القدر مرغوب فيه شرعًا، فإن من تمام محبة عبادة الله تعالىٰ أن يحب أن يكون من صلبه من يعبد الله وحده لا شريك له[١].

حب النبي ﷺ الخير للناس:

* قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال ابن كثير: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أَيْ: عَلَىٰ هِدَايَتِكُمْ وَوُصُولِ النَّفْعِ الدُّنْيَوِيِّ والأُخْرَوِيِّ إِلَيْكُمْ[٢].

* قال تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء: ٣].

قال السعدي: فكان رسول الله ﷺ ينذر به (أي: القرآن) الناس، ويهدي به الصراط المستقيم، فيهتدي بذلك عباد الله المتقون، ويعرض عنه من كتب عليه الشقاء، فكان يحزن حزنا شديدا، علىٰ عدم إيمانهم، حرصا منه على

---

(١) تفسير ابن كثير(١/ ٤٤٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤١).

الخير، ونصحا لهم[١].

دعوته لأقاربه وجيرانه حتىٰ عند ٱحتضارهم:

* عن سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ فَقَالَ: **"أَيْ عَمِّ قُلْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ"** فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ حَتَّىٰ قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"والله لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ"** فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[٢].

* عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: **"أَسْلِمْ"**، فَنَظَرَ إِلَىٰ أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: **"الحَمْدُ لله الذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ"**[٣].

نماذج من حب الخير للناس عند الصحابة رضي الله عنهم:

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

عَنِ ابن بُرَيْدَةَ، قَالَ: شَتَمَ رَجُلٌ ابن عَبَّاسٍ، فَقَالَ ابن عَبَّاسٍ: إِنَّكَ لَتَشْتُمُنِي وَفِيَّ ثَلَاثُ خِصَالٍ: إِنِّي لَآتِي عَلَى الآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ فَلَوَدِدْتُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا أَعْلَمُ، وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالحَاكِمِ مِنْ حُكَّامِ المُسْلِمِينَ يَعْدِلُ فِي حُكْمِهِ فَأَفْرَحُ بِهِ، وَلَعَلِّي لَا أُقَاضِي إِلَيْهِ أَبَدًا،

---

(١) تفسير السعدي (ص ٥٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠). (٣) أخرجه البخاري (١٣٥٦).

وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالغَيْثِ قَدْ أَصَابَ البَلَدَ مِنْ بِلَادِ المُسْلِمِينَ فَأَفْرَحُ بِهِ، وَمَا لِي بِهِ مِنْ سَائِمَةٍ[(١)].

حب الخير للناس عند السلف والعلماء:

* قِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ المُنْكَدِرِ: أَيُّ الدُّنْيَا أَعْجَبُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى المُؤْمِنِ[(٢)].

* قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ واسِعٍ: مَا رَدَدْتُ أَحَدًا عَنْ حَاجَةٍ أَقْدِرُ عَلَىٰ قَضَائِهَا، وَلَوْ كَانَ فِيهَا ذَهَابُ مَالِي[(٣)].

* عَنِ الحَسَنِ قَالَ: لَأَنْ أَقْضِيَ لِمُسْلِمٍ حَاجَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ[(٤)].

* قِيلَ لِمُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ: مَا بَلَغَ مِنْ كَرَمِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ؟ قَالَ: كَانَ لَيْسَ لَهُ مَالٌ دُونَ النَّاسِ هُوَ والنَّاسُ فِي مَالِهِ شُرَكَاءُ، مَنْ سَأَلَهُ شَيْئًا أَعْطَاهُ، وَمَنِ ٱسْتَمْنَحَهُ شَيْئًا مَنْحَهُ إِيَّاهُ، لَا يَرىٰ أَنَّهُ يَفْتَقِرُ فَيَقْتَصِرُ، وَلَا يَرىٰ أَنَّهُ يَحْتَاجُ فَيَدَّخِرُ[(٥)].

* وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ واسِعٍ يَبِيعُ حِمَارًا لَهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَتَرْضَاهُ لِي؟ قَالَ: لَوْ رَضِيتُهُ لَمْ أَبِعْهُ، وهٰذِه إِشَارَةٌ مِنْهُ إِلَىٰ أَنَّهُ لَا يَرْضَىٰ لِأَخِيهِ إِلَّا مَا يَرْضَىٰ لِنَفْسِهِ[(٦)].

* كَانَ عُتْبَةُ الغُلَامُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُفْطِرَ يَقُولُ لِبَعْضِ إِخْوانِهِ المُطَّلِعِينَ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَأَعْمَالِهِ: أَخْرِجْ إِلَيَّ مَاءً أَوْ تَمَرَاتٍ أُفْطِرُ عَلَيْهَا؛ لِيَكُونَ لَكَ أَجْرٌ مِثْلُ أَجْرِي[(٧)].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٣٢٢).

(٢) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا (٣٣).

(٣) السابق (٦٧). (٤) السابق (٣٧). (٥) السابق (٥٩).

(٦) السابق (١/ ٣٠٥). (٧) جامع العلوم والحكم (١/ ٣١٠).

١١- الورع

المتطوعون ورعون في أموال الناس ولا بد أن ينأوا عن كل شبهة؛ لأن وقوعهم في الشبهات يسيء لسمعة الهدف النبيل الذي من أجله قاموا بالعمل، فلا يحق له أن يستأثر بمزايا عن غيره من الناس بحجة أنه تفرغ للعمل أو بذل من الوقت والجهد مالم يبذله غيره، ومن هنا فهو بحاجة إلى التحلي بالورع في عمله؛ فالفساد في إدارة الموارد المالية للمتطوعين هي أكبر عقبة تحول بين العمل الخدمي وبين رفعته.

تعريف الورع لغة:

الواوُ والرَّاءُ والعَيْنُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى الكَفِّ والِانْقِبَاضِ. مِنْهُ الوَرَعُ: العِفَّةُ، وَهِيَ الكَفُّ عَمَّا لَا يَنْبَغِي[١].

اصطلاحًا:

قال يَحْيَىٰ بْنُ مُعَاذٍ: الوَرَعُ ٱجْتِنَابُ كُلِّ رِيبَةٍ، وَتَرْكُ كُلِّ شُبْهَةٍ، والوُقُوفُ مَعَ اللهِ عَلَىٰ حَدِّ العِلْمِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ[٢].

وقال مُحَمَّد بْن عَلِيٍّ الكَتَّانِيَّ: الوَرَعُ هُوَ مُلَازَمَةُ الأَدَبِ، وَصِيَانَةُ النَّفْسِ[٣].

الآيات الواردة في معنى الورع:

(١) قوله تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤]

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١٠٠).

(٢) الزهد الكبير للبيهقي (١/ ٣١٦). (٣) الزهد الكبير للبيهقي (١/ ٣١٨).

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه: ١٢٨].

والنُّهىٰ جمع نُهْية سمّي بها العقلُ لنهيه عن اتباع الباطلِ وارتكاب القبائح كما سمّي بالعقل والحِجْر لعقله وحَجْره عن ذلك أي لذوي العقول الناهية عن الأباطيل التي من جملتها ما يدّعيه الطاغية ويقبله منه فئتُه الباغية، وعن قتادة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ أهل الورع. وفي تسميتهم بذلك وجهان: أحدهما: لأنهم ينهون النفس عن القبيح. الثاني: لأنه ينتهي إلىٰ آرائهم.

أي: لأهل العقول والأقرب أن للنهية مزية على العقل، والنهىٰ لا يقال إلا فيمن له عقل ينتهي به عن القبائح، كما أن لقولنا: أولو العزم مزية علىٰ أولي الحزم، فلذلك قال بعضهم: أهل الورع وأهل التقوىٰ[(١)].

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

هٰذِه الجملة اعتراض وتذييل لما تضمنته آيات الإنفاق من المواعظ والآداب وتلقين الأخلاق الكريمة، مما يكسب العاملين به رجاحة العقل واستقامة العمل.

قَالَ الحَسَنُ: الحِكْمَةُ الوَرَعُ. قال الفخر: ينبه ﷻ علىٰ أن الأمر الذي لأجله وجب ترجيح وعد الرحمان علىٰ وعد الشيطان هو أن وعد الرحمان ترجحه الحكمة والعقل، ووعد الشيطان ترجحه الشهوة والحس من حيث إنهما يأمران بتحصيل اللذة الحاضرة، ولا شك أن حكم الحكمة هو الحكم الصادق المبرأ عن الزيغ، وحكم الحس والشهوة يوقع في البلاء والمحنة. فتعقيب قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً﴾ [البقرة: ٢٦٨]، بقوله: يؤتي

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٣٩٨)، تفسير أبي السعود (٦/ ٢٢)، تفسير الماوردي (٣/ ٤٠٨)، تفسير الرازي (٢٢/ ١١٢).

الحكمة إشارة إلىٰ أن ما وعد به تعالىٰ من المغفرة والفضل من الحكمة، وأن الحكمة كلها من عطاء الله تعالىٰ، وأن الله تعالىٰ يعطيها من يشاء.

والحكمة إتقان العلم وإجراء الفعل علىٰ وفق ذلك العلم. فمن أوتي الحكمة فقد أوتي القصد والاعتدال فلا يفحش ولا يتعدى الحدود وأوتي إدراك العلل والغايات فلا يضل في تقدير الأمور وأوتي البصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات والأعمال. . وذلك خير كثير متنوع الألون[١].

الأحاديث الواردة في الورع:

(١) عن النّعمان بن بشير ﵄ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "**الحَلاَلُ بَيِّنٌ، والحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ ٱتَّقَى المُشَبَّهَاتِ ٱسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَىٰ حَوْلَ الحِمَىٰ، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَىٰ اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ**"[٢].

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "**أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ فَخَرَجَ فِي البَحْرِ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً، فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ، فَرَمَىٰ بِهَا فِي البَحْرِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَذَكَرَ الحَدِيثَ فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ**"[٣].

(٣) عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، عَنِ

---

(١) تفسير القرطبي (٣/ ٣٣٠)، التحرير والتنوير (٣/ ٦١)، تفسير الرازي (٢/ ١٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢) واللفظ له، ومسلم (١٥٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٩٨)

البِرِّ والإِثْمِ فَقَالَ: "**البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**"(١).

نماذج من الورع:

*** ورع النبي ﷺ:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**إِنِّي لأَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَىٰ فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَىٰ أَنْ تكُونَ صَدَقَةً، فَأُلْقِيهَا**"(٢).

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِتَمْرَةٍ فِي الطَّرِيقِ، قَالَ: "**لَوْلاَ أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لأَكَلْتُهَا**"(٣).

*** ورع أبي بكر رضي الله عنه:**

عن عَائِشَة قَالَتْ: كَانَ لأَبِي بَكْرٍ غُلامٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ ويأكل منه، وَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ ووافق من أبي بكر جوعًا فَأَكَلَ مِنْهُ لقمةً فَقَالَ الغُلامُ: تَدْرِي مَا هٰذا؟ كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لأَنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الكِهَانَةَ إِلاَّ أَنِّي خَدَعْتُهُ فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ فهٰذا الذِي أَكَلْتَ مِنْهُ فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ إصبعه في فيه فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ(٤).

*** ورع عمر بن الخطاب رضي الله عنه:**

عن نافع: أن عمر فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلافٍ، وفرض لابن عمر ثلاثة آلافٍ وخمسمائة، فقيل له: هو من المهاجرين، فلم نقصته من أربعة آلافٍ؟ قال: إنما هاجر به أبوه يقول: ليس هو ممن هاجر بنفسه(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٣٢)، ومسلم (١٠٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٣١)، ومسلم (١٧١).

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٤٢).

(٥) أخرجه البخاري (٣٩١٢).

* **ورع عَائِشَة ﵂:**

وكانت عائشة ﵂، شديدة الورع، فعن شريح بن هانئ قال: سألت عائشة، عن المسح على الخفين، فقالت: ٱئت عليا فإنه أعلم بذلك مني، فأتيت عليا فذكر عن النبي ﷺ بمثله[١].

وعنها ﵂ قالت: كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله ﷺ وأبي فأضع ثوبي، وأقول إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهم، فوالله ما دخلته إلا وأنا مشدودة علي ثيابي، حياء من عمر[٢].

* **ورع عمر بن عبد العزيز:**

أنه رحمه الله تعالىٰ ما كان يقبل أي هدية من عماله أو من أهل الذمة خوفًا من أن يكون ذلك من باب الرشوة، فروى ابن الجوزي عن عمرو بن مهاجر قال: ٱشتهىٰ عمر بن عبد العزيز تفاحًا فقال: لو كانت لنا - أو عندنا - شيء من التفاح، فإنه طيب الريح طيب الطعم. فقام رجل من أهل بيته فأهدىٰ إليه تفاحًا.

فلما جاء به الرسول، قال عمر: ما أطيب ريحه وأحسنه، ٱرفعه يا غلام، فأقرئ فلانًا السلام وقل له: إن هديتك قد وقعت منا بموقع بحيث تحب. فقلت يا أمير المؤمنين، ابن عمك ورجل من أهل بيتك وقد بلغك أن النبي ﷺ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة. قال: ويحك؟ إن الهدية كانت للنبي ﷺ هدية وهي لنا اليوم رشوة.

وعن ميمون بن مهران قال: أهدي إلىٰ عمر بن عبد العزيز تفاحا وفاكهة فردها وقال: لا أعلم أنكم بعثتم إلىٰ أحد من أهل عملىٰ شيئا " قيل له: ألم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٦٦٠)، والحاكم (٦٧٢١)، وقال: هٰذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٦: ورجاله رجال الصحيح.

يكن رسول الله ﷺ يقبل الهدية؟ قال: بلىٰ، ولكنها لنا ولمن بعدنا رشوة[١].

- وكان مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير يقول: فضل العلم أحبّ إليّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع[٢].

- وعن العباس بن سهم أن امرأة من الصالحات أتاها نعي زوجها وهي تعجن، فرفعت يدها من العجين وقالت: هٰذا طعام قد صار لنا فيه شركاء.

- وعن ابن روح عن بعض أهل العلم أن امرأة أتاها نعي زوجها والسراج يقد فأطفأت السراج وقالت: هٰذا زيت قد صار لنا فيه شريك[٣].

أقوال عن الورع:

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الدين ليس بالطنطنة من آخر الليل ولكن الدين الورع[٤].

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن الناس قد ضيعوا أعظم دينهم الورع[٥].

* عن الحسن: أفضل العلم الورع والتوكل[٦].

* قال يحيىٰ بن أبي كثير العالم من خشي الله، وخشية الله الورع[٧].

* عن الضحاك بن مزاحم قال: لقد رأيتنا، وما نتعلم إلا الورع[٨].

* وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالىٰ عنه، أنه قال: لكل شيء حد وحدود الإسلام الورع[٩].

---

(١) ابن الجوزي سيرة عمر ص١٩٧.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤٧)، الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة (١/ ١٥٩).

(٣) صفة الصفوة (٢/ ٥٣٢).

(٤) الزهد لابن حنبل (١/ ١٠٤).

(٥) السابق (١/ ١٦٦).

(٦) السابق (١/ ٢١٥).

(٧) أخلاق العلماء للآجري (١/ ٧٠)، الورع لابن أبي الدنيا (١ / ٧٤).

(٨) الزهد لوكيع (١/ ٤٧٤).

(٩) تنبيه الغافلين للسمرقندي (١/ ٤٧٣).

عَلَامَاتُ الوَرَعِ:

عَلَامَةُ الوَرَعِ أَنْ يَرى تسعة أَشْيَاءَ فَرِيضَةً عَلَى نَفْسِهِ:

* أَوَّلُهَا: حِفْظُ اللِّسَانِ عَنِ الغِيبَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

* والثَّانِي: الاْجْتِنَابُ عَنْ سُوءِ الظَّنِّ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

* والثَّالِثُ: الاْجْتِنَابُ عَنِ السُّخْرِيَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

* والرَّابِعُ: غَضُّ البَصَرِ عَنِ المَحَارِمِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

* والخَامِسُ: صِدْقُ اللِّسَانِ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

* والسَّادِسُ: أَنْ يَعْرِفَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ، لِكَيْلَا يُعْجَبَ بِنَفْسِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

* والسَّابِعُ: أَنْ يُنْفِقَ مَالَهُ فِي الحَقِّ، وَلَا يُنْفِقُهُ فِي البَاطِلِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: ٦٧]، يَعْنِي لَمْ يُنْفِقُوا فِي المَعْصِيَةِ، وَلَمْ يَمْنَعُوا مِنَ الطَّاعَةِ: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، أَيْ عَدْلًا.

* والثَّامِنُ: أَنْ لَا يَطْلُبَ لِنَفْسِهِ العُلُوَّ والكِبْرَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

* والتَّاسِعُ: المُحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ فِي أَوْقَاتِهَا، بِرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨][١].

---

(١) تنبيه الغافلين للسمرقندي (ص: ٤٧٣- ٤٧٤) بتصرف يسير.

أقسام الورع:

١ - ورع في الأرباح والأموال، وورع في الأعطيات التي تأتي من السلاطين وهبات الناس. قال الأوزاعي: لو قبلنا من الناس كل ما يعطونا لهنا عليهم. يعني: قبول الجوائز والهدايا، خاصة من الأمراء.

وعن أحمد بن أبي الحواري، قال: بلغني أن نصرانيًا أهدىٰ إلى الأوزاعي جرة عسل. فقال: يا أبا عمرو! تكتب لي إلىٰ والي بعلبك، قال: إن شئت رددت الجرة وكتبت لك، وإلا قبلت الجرة ولم أكتب لك. قال: فرد الجرة وكتب له فوضع عنه ثلاثين دينارًا[١].

٢ - الورع عن الفتيا: فهنالك أناس تجد الفتيا علىٰ طرف لسانه، فلا يكاد يسأل إلا ويجيب، سواء يعلم أو لا يعلم؛ عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: أيها الناس من سئل عن علم يعلمه فليقل به، ومن لم يكن عنده علم فليقل: الله أعلم. فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم". إن الله تبارك وتعالىٰ قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

وفي رواية لمسلم: من فقه الرجل أن يقول لما لا علم له به: الله أعلم[٢].

وعن ابن عباس ﷺ أنه قال: "من أفتىٰ بفتيا يعمىٰ عنها، فإثمها عليه"[٣].

وكان ابن عيينة رحمه الله تعالىٰ يقول: "أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما"[٤].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٥/ ١٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٠٩)، مسلم (٧٢٤٤).

(٣) الدارمي (١٨٠).

(٤) أخرجه ابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٣١٨).

وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ: "أدركت الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتىٰ لا يجدوا بدًا من أنِ يفتوا".

وقال: "أعلم الناس بالفتيا أسكتهم عنها، وأجهلهم بها أنطقهم فيها"[(١)].

٣ - الورع في المشتبهات:

قال حسان بن أبي سنان: ما وجدت شيئا هو أهون من الورع.

فالورع الإمساك عما قد يضر فتدخل فيه المحرمات والشبهات لأنها قد تضر. فإنه من اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمىٰ يوشك أن يواقعه[(٢)].

٤ - الورع المشروع المستحب: الذي بعث الله به محمدًا ﷺ فهو: اتقاء من يخاف أن يكون سببًا للذم والعذاب عند عدم المعارض الراجح. ويدخل في ذلك أداء الواجبات والمشتبهات التي تشبه الواجب وترك المحرمات والمشتبهات التي تشبه الحرام وإن أدخلت فيها المكروهات قلت: نخاف أن يكون سببا للنقص والعذاب.

٥ - وأما الورع الواجب: فهو اتقاء ما يكون سببًا للذم والعذاب وهو فعل الواجب وترك المحرم والفرق بينهما فيما اشتبه أمن الواجب هو أم ليس منه؟ وما اشتبه تحريمه أمن المحرم أم ليس منه؛ فأما ما لا ريب في حله فليس تركه من الورع وما لا ريب في سقوطه فليس فعله من الورع[(٣)].

---

(١) أخلاق العلماء للآجري ص ١٠٢ الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ٦٦ - ٦٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٦١٦).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ١٤٢).

١٢- العفة

تعريف العفة لغة:

العِفَّةُ: الكَفُّ عمَّا لا يحِلُّ. ورجل عَفيف، يَعِفُّ عِفَّة، وقَومٌ عَفُّون(١).

اصطلاحًا:

العفافِ، وَهُوَ الكَفُّ عَن الحَرامِ والسُّوالِ من النّاسِ، والتَّعَفُّفُ: الصَّبْرُ والنَّزاهَةُ من الشَّيْءِ(٢). والعِفّة: الأمتناع عما لا يحل ولا يجب فعله(٣).

قال الراغب الأصبهاني: العِفَّةُ: حصول حالة للنّفس تمتنع بها عن غلبة الشّهوة، والمُتَعَفِّفُ: المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر، وأصله: الاقتصار علىٰ تناول الشيء القليل الجاري مجرى العُفَافَة، والعُفَّة، أي: البقيّة من الشيء، أو مجرى العفعف، وهو ثمر الأراك، والاستعفاف: طلب العفّة. قال تعالىٰ: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ [النساء: ٦]، وقال: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ [النور: ٣٣](٤).

الآيات الواردة في العفة:

(١) قال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

ذكر مصرف النفقات الذين هم أولى الناس بها فوصفهم بست صفات

---

(١) كتاب العين لابن تميم البصري (١/ ٩٢)، الكليات (٦٥٦)، مجمع الأمثال (٢/ ٥٥).

(٢) تاج العروس للزبيدي (٢٤/ ١٧٢)، أدب الدنيا والدين (ص: ١٤١).

(٣) ميزان العمل لأبي حامد الغزالي (١/ ٢٦٩)، جامع لطائف التفسير (٢٠/ ٩٩).

(٤) مفردات القرآن ١ - ٤٧٥.

أحدها الفقر، والثاني قوله: ﴿أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: قصروها على طاعة الله من جهاد وغيره، فهم مستعدون لذلك محبوسون له، الثالث عجزهم عن الأسفار لطلب الرزق فقال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سفرا للتكسب، الرابع قوله: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ وهذا بيان لصدق صبرهم وحسن تعففهم. الخامس: أنه قال: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: بالعلامة التي ذكرها الله في وصفهم، وهذا لا ينافي قوله: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ﴾ فإن الجاهل بحالهم ليس له فطنة يتفرس بها ما هم عليه، وأما الفطن المتفرس فمجرد ما يراهم يعرفهم بعلامتهم، السادس قوله: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ أي: لا يسألونهم سؤال إلحاف، أي: إلحاح، بل إن صدر منهم سؤال إذا احتاجوا لذلك لم يلحوا على من سألوا، فهؤلاء أولى الناس وأحقهم بالصدقات لما وصفهم به من جميل الصفات، وأما النفقة من حيث هي على أي شخص كان، فهي خير وإحسان وبر يثاب عليها صاحبها ويؤجر، فلهذا قال: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[1].

(٢) وقال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النساء: ٦].

والتَّعَفُّفُ تَكَلُّفُ العَفَافِ وَهُوَ النَّزَاهَةُ عَمَّا يَلِيقُ.

الأحاديث الواردة في العفة:

١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدىٰ، والتُّقَىٰ، والعَفَافَ، والغِنَىٰ**"[2].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١١٦) تفسير ابن عطية (١/ ٣٦٩) التحرير والتنوير (٣/ ٧٥).

(٢) مسلم (٢٧٢١).

قال النووي: العَفَافُ والعِفَّةُ هُوَ التنزه عما لا يباح والكَفُّ عَنْهُ، وقيل العفاف: هو التنزه عما لا يباح والكف عنه، والغنىٰ: هو غنى النفس والاستغناء عما في أيدى الناس. فجمع الخير كله في هٰذا الدعاء. فالهدىٰ: هو العلم النافع. والتقى: العمل الصالح، وترك المحرمات كلها. وهٰذا صلاح الدين[(١)].

٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ: إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّىٰ نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: **"مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ"**[(٢)].

قال التيمي: أي من يطلب العفاف، وهو ترك المسألة يعطيه الله العفاف، ومن يطلب الغنىٰ من الله يعطه، وقال بعضهم معناه من طلب من نفسه العفة عن السؤال، ولم يظهر الاستغناء يعفه الله أي يصيره عفيفا ومن ترقىٰ من هٰذِه المرتبة إلىٰ ما هو أعلىٰ وهو إظهار الاستغناء عن الخلق يملأ الله قلبه غنىٰ[(٣)].

٣- عن أَبي عبد الله الزبير بن العَوَّام ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **"لأَنْ يَأخُذَ أَحَدُكُمْ أحبُلَهُ ثُمَّ يَأتِيَ الجَبَلَ، فَيَأْتِيَ بحُزمَةٍ مِنْ حَطَب عَلَىٰ ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ"**[(٤)].

لا شك أن هٰذا هو الخلق النبيل؛ ألا يخضع الإنسان لأحد، ولا يذل له، بل يأكل من كسب يده، من تجارته أو صناعته أو حرثه. قال تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] ولا يسأل الناس شيئًا[(٥)].

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (١٧/ ٤١)، إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٢٢٤).
(٢) البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).
(٣) حاشية السيوطي علىٰ سنن النسائي (٥/ ٩٥).
(٤) أخرجه البخارىٰ (١٤٠٢).
(٥) شرح رياض الصالحين (٣/ ٣٩٨).

٤- عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: « **اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَىٰ، وابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ** »[(١)].

وفيه الحض على الاستغناء عن الناس بالصبر والتوكل، وانتظار رزق الله فينبغي على الإنسان أن يبذل، وأن يسعىٰ؛ لكي يرفع عن نفسه الحاجة إلى الخلق، لكن إذا صار مفتقرًا فعليه بالعفة، فإن العفة نوعان: عفة الفرج عن ما حرم الله، وعفة النفس عن سؤال الخلق. وعليه أن يجتهد في هٰذا الأمر فإن هٰذا من أعظم مقامات العبودية. الترفع عن سؤال الناس من كمال العبودية لله، والواجب أن يكون الإنسان متعلق القلب بالله ﷻ، وأن يعلم: أن هٰذِه أرزاق تحصل للإنسان، وقد تمتنع عنه، وكم من التجار الذين بلغوا الغاية في الغنىٰ، وفي لحظة خسر كل ما يملك، وأصبح مدينًا، ويطالبه الناس بحقوقهم. فمثل هٰذا الإنسان إذا كان متعلق القلب بالمال سينهار تمامًا، وسيكون في غاية الافتقار إلى الناس، بل سيتحطم غاية التحطم، لكن عندما يكون قلبه متعلقًا بالله ﷻ، فإنه لن يحصل له مثل ذلك[(٢)].

٥- عن عُمَرَ ﷺ قال: كَانَ رسول اللهِ ﷺ يُعْطِينِي العَطَاءَ فَأَقُولُ: أَعْطِهِ من هو أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ: «**خُذْهُ فإذا جَاءَكَ مِنْ هٰذا المَالِ شيء وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلا سَائِلٍ، فَخُذْهُ فتموله، فإن شئت كله، وإن شِئتَ تصدَّق به، وَمَالا فَلا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**»[(٣)].

أي: لا تجعلها تابعة له، أي: لا توصل المشقة إلىٰ نفسك في طلبه بل اتركه ولو لم يكن محتاجا وجاءته صدقة من غير سؤال.

---

(١) البخاري (٥٣٥٥).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١٨٣)، شرح أبي داود للعيني (٦/ ٣٩٥)، شرح رسالة العبودية لابن تيمية (٥/ ٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٦٤)، ومسلم (١٠٤٥).

نماذج في العفة:

عفة يوسف عليه السلام:

وهو نموذج رائع يتحدث فيه الله عن ذلك النبي الشَّاب الذي ٱمتلأ شبابًا وفتوة، هٰذا الشاب غلقت الأبواب دونه وجاءت ٱمرأة جميلة ذات منصب تغريه وتطلب منه أن يقع في الفاحشة، هٰذا النموذج مُسطّر في سورة يوسف، يقول الله ﷻ: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ . وعلىٰ قراءة ﴿قالت هئت لك﴾، أي تهيأت لك . ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ * وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٣-٢٤] هٰذا النموذج الرائع يضربه الله تعالىٰ لنا حتىٰ نتعظ ونعتبر وحتىٰ يعلم الناس أجمعين أن العفة لا تكون هكذا بمجرد الخاطرة وإنما لابد لها من همة وإرادة[١].

عفة المصطفىٰ ﷺ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصار، سَأَلُوا رَسُولَ الله ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّىٰ نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقال: **"مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ"**[٢].

عفة السلف:

* عن عروة بن الزبير: أن حَكِيم بْن حِزَام قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: « **يَا حَكِيمُ إِنَّ هٰذَا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ**

(١) وباء التبرج (ص: ١٩٣).
(٢) البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وكان كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلا يَشْبَعُ، واليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَىٰ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، والَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لا أَرْزَأُ أحدًا بعدك شَيْئًا حَتَّىٰ أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَدْعُو حَكِيمًا ليعطيه عَطَاءه فَيَأْبَىٰ قبوله ثُمَّ عُمَرُ كذلك، فَقَالَ عُمَرُ: أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ أَنِّي أَعْرِضُ علىٰ حكيم حَقَّهُ الذي له مِنْ هٰذا الفَيْءِ فَيَأْبَىٰ أَنْ يَأْخُذَهُ فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ شيئًا أَحَدًا حَتَّىٰ تُوُفِّيَ(١).

* قال سفيان بن عيينة: دخل هشام بن عبد الملك الكعبة فإذا هو بسالم ابن عبد الله، فقال له: يا سالم سلني حاجة، فقال له: إني لأستحي من الله أن أسأل في بيت الله غيره. فلما خرج خرج في أثره، فقال له: الآن قد خرجت فسلني حاجة، فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: من حوائج الدنيا، فقال له: ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها.

وكان سالم خشن العيش، يلبس الصوف الخشن، وكان يعالج بيده أرضًا له وغيرها من الأعمال، ولا يقبل من الخلفاء، وكان متواضعًا وكان شديد الأدمة وله من الزهد والورع شئ كثيرٌ(٢).

* وذكر الإمام النووي أن أبا إسحاق الشيرازي دخل يومًا مسجدًا ليأكل طعامًا علىٰ عادته، فنسي فيه دينارًا فذكره في الطريق، فرجع فوجده، ففكر ساعة وقال: ربما وقع هٰذا الدينار من غيري، فتركه ولم يمسه.

* عن وهب بن منبه قال: الإيمان عريان، ولباسه التقوىٰ، وزينته الحياء، وماله العفة(٣).

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: المروءة مروءتان: مروءة ظاهرة، ومروءة باطنة، فالمروءة الظاهرة الرياش، والمروءة الباطنة العفاف.

---

(١) البخاري (١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٥).

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٧/ ١١٥)، البداية والنهاية (٩/ ٢٦٢)

(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص ٤١)، أدب الدنيا والدين (ص ١٨٧)

* وقال أيوب السختياني: لا ينبل الرجل حتىٰ يكون فيه خصلتان: العفة عن أموال الناس، والتجاوز عنهم.

* وقال الشافعي: الفضائل أربع: إحداها: الحكمة، وقوامها الفكرة. والثانية: العفَّة، وقوامها الشهوة. والثالثة: القوة، وقوامها الغضب. والرابعة: العدل، وقوامه في ٱعتدال قوى النفس.

* وقال ابن مفلح: زينة الغنى: الشكر، وزينة الفقر العفاف، أي: كما أن الغني الشاكر له زينة في شكر نعمته، فكذلك الفقير العفيف.

* وقال ابن حجر: العالم إذا كان عالما ولم يكن عفيفا كان ضره أشد من نفعه.

* قال محمد بن الحنفية: الكمال في ثلاثة: العفة في الدين، والصبر على النوائب، وحسن التدبير في المعيشة(١).

أنواع وصور العفة:

العفة معنىٰ يقوم بالنفس، فيمنع من غلبة الشهوة فيما حرم الله ﷻ، قال: والمتعفف هو المتعاطي للعفة بضرب من الممارسة والقهر، وأصله -أي: أصل معنى العفة-: الٱقتصار علىٰ تناول الشيء القليل الجاري مجرى العفافة(٢).

وهٰذا هو الربط بين المعنيين.

العفة فنوعان:

(١) العفة عن المحارم. (٢) العفة عن المآثم.

فأما العفة عن المحارم فنوعان:

(أ) ضبط الفرج عن الحرام. (ب) كف اللسان عن الأعراض.

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء للدارمي (١/ ١٦٧)، المروءة للمرزبان (١/ ٣٩)/ أدب الدنيا والدين (١/ ٢٣٣).

(٢) أدب الدنيا والدين (١/ ٣٢١)، الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني (١/ ٨٥).

(أ) ضبط الفرج عن الحرام:

فلأنه مع وعيد الشرع وزاجر العقل معرة فاضحة، وهتكة واضحة. وأحب العفاف إلىٰ الله تعالىٰ عفاف الفرج والبطن.

والداعي إلىٰ ذلك شيئان: أحدهما: إرسال الطرف. والثاني: اتباع الشهوة.

وقهرها عن هٰذِه الأحوال يكون بثلاثة أمور:

(١) غض الطرف عن إثارتها، وكفه عن مساعدتها. فإنه الرائد المحرك، والقائد المهلك.

(٢) ترغيبها في الحلال عوضا، وإقناعها بالمباح بدلًا، فإن الله ما حرم شيئًا إلا وأغنىٰ عنه بمباح من جنسه لما علمه من نوازع الشهوة، وتركيب الفطرة، ليكون ذلك عونا علىٰ طاعته، وحاجزًا عن مخالفته. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أمر الله تعالىٰ بشيء إلا وأعان عليه، ولا نهىٰ عن شيء إلا وأغنىٰ عنه.

(٣) إشعار النفس تقوىٰ الله تعالىٰ في أوامره، واتقاءه في زواجره، وإلزامها ما ألزم من طاعته، وتحذيرها ما حذر من معصيته، وإعلامها أنه لا يخفىٰ عليه ضمير، ولا يعزب عنه قطمير. وأنه يجازي المحسن ويكافئ المسيء، وبذلك نزلت كتبه وبلغت رسله.

(ب) كف اللسان عن الأعراض:

فلأنه ملاذ السفهاء، وانتقام أهل الغوغاء، وهو مستسهل الكلف إذا لم يقهر نفسه عنه برادع كاف وزاجر صاد تلبط بمعاره، وتخبط بمضاره، وظن: أنه لتجافي الناس عنه حمىٰ يتقىٰ، ورتبة ترتقىٰ، فهلك وأهلك. فلذلك قال النبي ﷺ: **"إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ"**[1].

---

(١) البخاري (٤٤٠٦)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) العفة عن المآثم فنوعان:

* الكف عن المجاهرة بالظلم.

** زجر النفس عن الإسرار بخيانة.

* المجاهرة بالظلم فعتو مهلك وطغيان متلف، وهو يئول إن ٱستمر إلىٰ فتنة أو جلاء فأما الفتنة في الأغلب؛ فتحيط بصاحبها، وتنعكس عن البادئ بها، فلا تنكشف إلا وهو بها مصروع كما قال الله تعالىٰ: ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ [فاطر: ٤٣].

وأما الجلاء؛ فقد يكون من قوة الظالم، وتطاول مدته فيصير ظلمه مع المكنة جلاء وفناء، كالنار إذا وقعت في يابس الشجر فلا تبقي معها مع تمكنها شيئا حتىٰ إذا أفنت ما وجدت ٱضمحلت وخمدت[١].

عوامل وأسباب العفة:

أولًا: الإيمان.

فأعظم واق من المعاصي وأعظم رادع عن المحرمات وأعظم مذكر دائم للإنسان يرافقه في سره وعلنه في حله وترحاله وفي شهوده وغيبته هو الإيمان بالله ﷻ.

الإيمان الذي ينشئ مملكة الضمير التي لا تجعل العبد المؤمن يستحضر أمورًا مهمة من أعظمها وأجلها الخوف من الله، والحياء من الله، وتذكر الآخرة، واستشعار لعظمة الله يبعث على الخوف من الله، واستشعار لنعمة الله يبعث على الحياء من الله، واستحضار لهول الآخرة يبعث علىٰ قمع الشهوة في النفس وردعها عن تجاوز الحد، ولذلك كانت التربية الإيمانية والزاد الإيماني بأركان الإيمان الستة أعظم ما يقوي العبد على التزام أمر الله، ويعينه على المصابرة والامتناع عما حرم الله ﷻ.

---

(١) أدب الدنيا والدين (١/ ٣٢١) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة للراغب (١/ ٨٥).

سئل بعض السلف من أهل الإيمان والصلاح والتقىٰ: كيف السبيل إلىٰ غض البصر؟ فقال: علمك بأن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلىٰ ما حرم عليك.

العامل الثاني: التشريع:

أي: الأحكام التشريعية التي جاء بها الإسلام، يقول الحق ﷻ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]، والأحكام التي جاءت في الإسلام تتفق مع فطرة الإنسان، وتحقق المصالح، وتمنع المفاسد، وهي تحقق أعلى المصالح، وتدرأ أقل المفاسد فضلًا عما هو أكثر منها، وهٰذِه التشريعات في جوانب ثلاثة:

الجانب الأول: الجانب الوقائي، وهو مهم، أي: التشريعات الوقائية، فإن الإسلام حطم كل الدواعي والطرق والوسائل والمرغبات والمقربات من الحرام ومما يجرح العفة ويضيعها.

الجانب الثاني: جانب التشريعات الٱجتماعية. فإن الإسلام -أيضًا- جاء بتشريعات ٱجتماعية تحفظ للمجتمع وعيه وأمنه وسلامته وصيانته بإذن الله ﷻ.

الجانب الثالث: التشريعات العقابية، فمن وقع في هٰذِه الحوادث وتلك الأدواء ولم يستمع للنصيحة ثم تجاوز الحد ووقع في المحرم فتردعه التشريعات العقابية والحدود على ٱختلاف أنواعها، فالرجم للزاني المحصن، والجلد للزاني غير المحصن، وهكذا كل الأحكام المتعلقة بهٰذِه النواحي لتكون رادعًا، ولتكون عبرة لكل من تسول له نفسه أو يدعوه شيطانه إلى ٱرتكاب المعصية أو خرق حاجز العفة في المجتمع.

العامل الثالث: التربية والتوعية:

والتربية أمرها عظيم؛ فإن الإيمان النظري الذي نحفظه نصوصًا أو نقرأه علمًا، وإن التشريعات التي نعرفها فقهًا ونتقنها تفريعًا لا تغني عنا شيئًا إذا لم

تحصل التربية عليها والالتزام بها، وهناك -أيضًا- جوانب متعددة متعلقة بالتربية، منها: الجانب الأول: المجاهدة والتعبد.

العامل الرابع: الاستعانة:

وأعظم الاستعانة هي بالله ﷻ، فإن هٰذا الزمان زمان فتن، وإن هٰذا الزمان زمان شهوات ومغريات، ....فلابد للإنسان من أن يستعين بالله ﷻ، وأن يكثر الدعاء، وأن يكثر الالتجاء إلىٰ الله ﷻ حتىٰ يعف نفسه عما حرم الله، وحتىٰ يقوي عزمه في مواجهة هٰذِه المغريات والمثيرات، وحتىٰ يسهل له ما يعف به نفسه[1].

---

(١) العفة علي بن عمر بادحدح (١٢٧).

١٣- التواضع

كلما تواضع المتطوع كلما ٱتسعت دائرة التطوع عند الناس، فالناس لا يحبون من يتعالىٰ عليهم ويميلون للمتواضعين في معاملاتهم وأخلاقهم الخافضين للجناح والمعرضين عن رذائل الأخلاق الباذلين أنفسهم للخيرات، فحري بكل متطوع أن يكون قدوة في نشر الأخلاق فإنه وإن لم يساعد بالمال لعجز فكفاه أن قابل الناس بالإحسان .

تعريف التواضع لغة:

تواضعَ الرجل: إذا تذلل، وقيل: ذل وتخاشع، وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ: هُوَ المُتَخاشِعُ مِنْ بُعدِه، تراهُ من بَعِيدٍ لاصِقًا بالأَرْضِ[١].

التواضع ٱصطلاحًا:

التَّواضُعُ: ٱستعظام ذَوي الفَضَائِل من دونه فِي المَال والجاه، وَقيل: الرِّضَا بِمَنْزِلَة دون مَا يسْتَحقّهُ فَضله ومنزلته[٢].

وأيضًا: التَّواضُعُ: الٱستسلام للحق، وَترك الٱعْتِرَاض على الحكم، وَقيل: بذلك القُلُوب لعلام الغيوب، وَقيل: قبُول الحق من الحق للحق، وَقيل: ٱفتخار بالقلة، واعتناق المذلة، وَتحمل أثقال أهل الملَّة[٣].

الفرق بين التواضع والتذلل:

أن التذلل: إظهار العجز عن مقاومة من يتذلل له: والتواضع: إظهار قدرة

---

(١) تاج العروس للزبيدي (٢٢/ ٣٩٣).

(٢) معجم مقاليد العلوم للسيوطي (١/ ٢٠٣). (٣) السابق (١/ ٢١٧).

من يتواضع له سواء كان ذا قدرة على التواضع أو لا ألا ترىٰ أنه يقال: الملك متواضع لخدمه أي يعاملهم معاملة من له عليهم قدرة ولا يقال يتذلل لهم لأن التذلل إظهار العجز عن مقاومة المتذلل له وأنه قاهر وليست هٰذِه صفة الملك مع خدمة[(١)].

والتواضع المحمود علىٰ نوعين:

النوع الأول: تواضع العبد عند أمر الله ٱمتثالاً وعند نهيه ٱجتنابًا فإن النفس لطلب الراحة تتلكأ في أمره فيبدو منها نوع إباء وشراد هربًا من العبودية وتثبت عند نهيه طلبًا للظفر بما منع منه فإذا وضع العبد نفسه لأمر الله ونهيه فقد تواضع للعبودية.

والنوع الثاني: تواضعه لعظمة الرب وجلاله وخضوعه لعزته وكبريائه فكلما شمخت نفسه ذكر عظمة الرب تعالىٰ وتفرده بذلك وغضبه الشديد علىٰ من نازعه ذلك فتواضعت إليه نفسه وانكسر لعظمة الله قلبه واطمأن لهيبته وأخبت لسلطانه فهٰذا غاية التواضع وهو يستلزم الأول من غير عكس والمتواضع حقيقة من رزق الأمرين والله المستعان[(٢)].

التواضع في القرآن الكريم:

١- قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والمراد وصفه بالتواضع ولين الجانب وذلك من صفات المؤمنين، واعلم أن لينه ﷺ مع القوم عبارة عن حسن خلقه مع القوم قال تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥] وقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ

(١) الفروق اللغوية للعسكري (١/ ٢٤٩).

(٢) الروح (صـ ٢٣٣).

بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، وقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: ٤] وَقَالَ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التَّوْبَة: ١٢٨].

فلما كان عليه الصلاة والسلام إمام العالمين، وجب أن يكون أكثرهم حلما وأحسنهم خلقا(١).

٢- وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤].

فالمراد هنا: الذل بمعنىٰ لين الجانب وتوطئة الكنف، وهو شدة الرحمة والسعي للنفع، ولذلك علق به قوله: على المؤمنين. ولتضمين أذلة معنىٰ مشفقين حانين عدي بعلىٰ دون اللام، أو لمشاكلة (علىٰ) الثانية في قوله: على الكافرين.والأعزة جمع العزيز فهو المتصف بالعز، وهو القوة والاستقلال(٢).

٣- وقال تعالىٰ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر: ٨٨].

يقول تعالىٰ ذكره لنبيه محمد ﷺ: وألِن لمن آمن بك، واتبعك واتبع كلامك، وقرِّبهم منك، ولا تجف بهم، ولا تغلظ عليهم، يأمره تعالىٰ ذكره بالرفق بالمؤمنين، والجناحان من بني آدم: جنباه وخفض الجناح تمثيل للرفق والتواضع بحال الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع خفض جناحه يريد الدنو، وكذلك يصنع إذا لاعب أنثاه فهو راكن إلى المسالمة والرفق، أو الذي يتهيأ لحضن فراخه(٣).

---

(١) تفسير الرازي (٩/ ٤٠٥) (٢١/ ٥١٨)، تفسير المراغي (١٦/ ٣٩).

(٢) التحرير والتنوير (٦/ ٢٣٧)، تفسير السعدي (صـ ٢٣٦).

(٣) التحرير والتنوير (١٤/ ٨٣)، تفسير الطبري (١٧/ ١٤٢).

٤- قوله تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٤].

أَيْ: تَواضَعَ لَهُمَا بِفِعْلِكَ عبارةٌ عن إلانة الجانبِ والتواضعِ والتذلل لهما فإن إعزازَهما لا يكون إلا بذلك فكأنه قيل: واخفض لهما جناحك الذليل أو جُعل لذله جَناحٌ[١].

٥- وقال تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣].

هٰذِه صِفَاتُ عِبَادِ اللهِ المُؤْمِنِينَ والمعنىٰ: أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع، لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرًا وبطرًا[٢].

الأحاديث الواردة في التواضع:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: **"مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَواضَعَ أَحَدٌ لله إِلاَّ رَفَعَهُ الله"**[٣].

قال النووي: قوله ﷺ: **"وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"**: فيه وجهان:

أحدهما: يرفعه في الدنيا، ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس، ويجل مكانه.

والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة، ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا.

قال العلماء: وقد يكون المراد الوجهين معا في جميعها في الدنيا والآخرة، والله أعلم[٤].

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ**

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٦٤)، تفسير أبي السعود (٥/ ١٦٦).

(٢) تفسير الزمخشري (٣/ ٢٩١)، تفسير ابن كثير (٦/ ١٢١).

(٣) مسلم (٢٠٠١).

(٤) شرح مسلم (١٦ / ١٤٢).

عَلَيْكُمْ"[١].

هٰذا حديث جامع لأنواع من الخير لأن الإنسان إذا رأىٰ من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالىٰ وحرص على الآزدياد وإذا نظر إلىٰ من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله فشكرها وتواضع وفعل فيه الخير[٢].

٣- عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا، فَقَالَ: "**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّىٰ لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**"[٣].

والأمر بالتواضع نهي عن الكبر فإنه ضده وهو أعم من الكفر، قال الحسن: التواضع: أن تخرج من بيتك فلا تلقىٰ مسلما إلا رأيت له عليك فضلا. وقال أبو زيد: ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شرّ منه؛ فهو متكبر، وقيل التواضع الآنكسار والتذلل، ونقيضه التكبر والترفع[٤].

٤- عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعًا للهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَىٰ رُءُوسِ الخَلاَئِقِ حَتَّىٰ يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا**"[٥].

نماذج من تواضع النبي ﷺ:

* عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال في خطبة له: "إِنَّا واللهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ

(١) مسلم (٢٢٧٥).
(٢) شرح السيوطي علىٰ مسلم (٢٨٦٥).
(٣) صحيح مسلم (٤٨٩٥)
(٤) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٩١)، دليل الفالحين الصالحين (٥/ ٥٣) .
(٥) أخرجه الترمذي (٢٤٨١)، وقال: حسن، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠١٧).

اللهِ ﷺ فِي السَّفَرِ والحَضَرِ، فكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُواسِينَا بِالقَلِيلِ والكَثِيرِ، وَإِنَّ نَاسًا يُعْلِّمُونِي بِهِ، عَسَىٰ أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَآهُ قَطُّ "(١).

* عَنِ ابن عَبَّاسٍ، سَمِعَ عُمَرَ رضي الله عنه، يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **"لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَت النَّصَارى ابن مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ"**(٢).

تواضع الصحابة:

تواضع عمربن الخطاب:

عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ إِذَا أَتَىٰ عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ اليَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّىٰ أَتَىٰ عَلَىٰ أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: **"يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ اليَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ"**. فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَىٰ عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوافَقَ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ البَيْتِ، قَلِيلَ المَتَاعِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: **"يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ**

---

(١) أخرجه أحمد (٥٠٤)، والبزار (٤٠١)، قال الهيثميٰ (٧/ ٢٢٨): أخرجه أحمد وأبو يعلىٰ، ورجالهما رجال الصحيح غير عباد بن زاهر وهو ثقة .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ، إلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَم لَهُ والِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لأَبَرَّهُ، فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ". فَأَتَىٰ أُوَيْسًا فَقَالَ: ٱسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: ٱسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، قَالَ أُسَيْرٌ: وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً، فَكَانَ كُلَّمَا رَآهُ إِنْسَانٌ قَالَ: مِنْ أَيْنَ لِأُوَيْسٍ هٰذِه البُرْدَةُ[١].

تواضع عمر بن عبد العزيز:

وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ متخلقا بخلق التواضع، ولين الجانب، حسب الروايات التي نقلت هٰذِه الخصلة الحميدة عنه فمنها:

١- ما رواه ابن سعد بسنده: أن عمر بن عبد العزيز كان إذا سمر في أمر العامة أسرج من بيت مال المسلمين وإذا سمر في أمر نفسه أسرج من مال نفسه. قال فبينما هو ذات ليلة إذ نعس السراج فقام إليه ليصلحه فقيل له: يا أمير المؤمنين إنا نكفيك. فقال: "أنا عمر حين قمت وأنا عمر حين جلست[٢].

٢- وعن أبي النضر قال: دسست إلىٰ عمر بن عبد العزيز بعض أهله، أن قل له، إن فيك كبرًا، وأنه يتكبر. فقيل ذلك، فقال عمر: قل له: لبئس ما ظننت؛ إن كنت تراني أتوقى الدينار والدرهم مراقبة الله فأنطلق إلىٰ أعظم الذنوب فأركبه، الكبرياء إنما هو رداء الرحمن، فأنازعه إياه[٣].

٣- ومن تواضعه أنه يخدم نفسه، بل يخدم جميع المسلمين عبيدهم وإماءهم، بل يصل تواضعه إلىٰ أن يخدم جاريته، روى ابن الجوزي قال:

---

(١) صحيح مسلم (٧/ ١٨٩).

(٢) أخرجه ابن سعد الطبقات ٥/ ٣٩٩، والفسوىٰ في المعرفة والتاريخ ١/ ٥٧٧-٥٧٨، وابن عبد الحكم في سيرة عمر ص٤٤.

(٣) المعرفة والتاريخ للفسوىٰ ١/ ٥٨١-٥٨٢.

حدثنا النضر بن سهيل، عن أبيه، قال: قال عمر بن عبد العزيز لجارية له: ياجارية روِّحيني، فأقبلت تروِّحه، فغلبتها عيناها فنامت، فأخذ المروحة وأقبل يروِّحها، فانتبهت فصاحت، فقال لها عمر: إنما أنت بشر مثلي أصابك من الحرِّ ما أصابني، وأحببت أن أروحك مثل الذي روَّحتني[١].

صور التواضع المحمود:

(١) تواضع العبد عند أمر الله ٱمتثالاً وعند نهيه ٱجتنابًا.

قال ابن القيم: فإن النفس لطلب الراحة تتلكأ في أمره، فيبدو منها نوع إباء هربًا من العبودية، وتتوقف عند نهيه طلبًا للظفر بما منع منه، فإذا وضع العبد نفسه لأمر الله ونهيه: فقد تواضع للعبودية[٢].

(٢) تواضعه لعظمة الرب وجلاله وخضوعه لعزته وكبريائه.

قال ابن القيم: فكلما شمخت نفسُه: ذَكَر عظمة الرب تعالىٰ، وتفرده بذلك، وغضبه الشديد علىٰ من نازعه ذلك، فتواضعت إليه نفسه، وانكسر لعظمة الله قلبه، واطمأن لهيبته، وأخْبت لسلطانه، فهٰذا غاية التواضع، وهو يستلزم الأول من غير عكس. أي: يستلزم التواضع لأمر الله ونهيه، وقد يتواضع لأمر الله ونهيه من لم يتواضع لعظمته، والمتواضع حقيقة: من رزق الأمرين، والله المستعان[٣].

(٣) التواضع للدين والاستسلام لشرع الله بحيث لا يعارضه المرء بمعقولٍ ولا رأيٍ ولا هوىٰ، ولا يتهم للدين دليلًا صحيحًا، وأن ينقاد لما جاء به خاتم الرسل ﷺ، وأن يعبد الله وفق ما أمر به، وألا يكون الباعث علىٰ ذلك داعي العادة، وألا ترىٰ لنفسك علىٰ الله حقًّا لأجل عملٍ عملته، وإنما تعلم: أنك

---

(١) سيرة عمر لابن الجوزي ص٢١٣.

(٢) ، (٣) الروح (ص ٢٣٣).

ترجو رحمته وتخشىٰ عذابه، وأنك لن تدخل الجنة بعملك وإنما برحمته لك.

(٤) **أن يترك المرء التطاول علىٰ عباد الله**، والترفع عليهم، والإزراء بهم حتىٰ مع وقوع الخطأ عليه، فقد قال النبي ﷺ: "**ما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًا**"[1].

(٥) ترك الشهوات المباحة، والملذات الكمالية ٱحتسابًا لله وتواضعًا بعد التمكن منها والاقتدار عليها دون أن توصف ببخل أو طمعٍ أو شح.

(٦) التواضع في اللباس والمشية:

فعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: "**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلاَءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**"[2].

يتجلجل: ينزل في الأرض مضطربًا متدافعًا. مرجل جمته: الترجيل هو تسريح الشعر ودهنه. والجمة: هي الشعر المتدلي من الرأس إلى المنكبين.

(٧) التواضع مع المفضول فيعمل معه ويعينه:

عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ يَوْمَ الأَحْزَابِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وارى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ، يَقُولُ: "**لَوْلاَ أَنْتَ مَا ٱهْتَدَيْنَا نَحْنُ، وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، إِنَّ الأُلَىٰ - وَرُبَّمَا قَالَ: المَلاَ - قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا، إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا أَبَيْنَا**"، يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ[3].

(٨) التواضع في التعامل مع الزوجة وإعانتها:

عَنِ الأَسْوَدِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٧)، ومسلم (٢٠٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٠٩)، ومسلم (١٨٠٣)

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٤).

قال الحافظ ابن حجر: وفيه: الترغيب في التواضع وترك التكبر، وخدمة الرجل أهله[١].

(٩) التواضع مع الصغار وممازحتهم:

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: **"يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ"**[٢].

قال النووي: النُّغيْر وهو طائر صغير. و" الفطيم" بمعنى المفطوم.

وفي هٰذا الحديث فوائد كثيرة جدًّا منها: ملاطفة الصبيان وتأنيسهم، وبيان ما كان النبي ﷺ عليه من حسن الخلُق وكرم الشمائل والتواضع[٣].

(١٠) التواضع مع الخدم والعبيد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"إِذَا أَتَىٰ أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ، أَوْ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ، فَإِنَّهُ وَلِيَ حَرَّهُ وَعِلاَجَهُ"**[٤].

ومعنىٰ **"ولي حرَّه وعلاجه"**: أي عانىٰ مشقة صُنع الطعام والقيام علىٰ تقديمه، وفي رواية مسلم **"وليَ حرَّه ودخانه"**. نسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا من المتواضعين لعظمته[٥].

---

(١) فتح الباري (٢ / ١٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٥٠)، ومسلم (٢١٥٠).

(٣) شرح مسلم (١٤ / ١٢٩ (.

(٤) أخرجه البخاري (٢٤١٨، ٥١٤٤)، ومسلم (١٦٦٣).

(٥) الروح (ص ٢٣٩(، آداب النفوس للمحاسبي (١/ ١٥٢).

أقوال في التواضع:

* عن عائشة، قالت: "تغفلون أفضل العبادة: التواضع"[١].

* عن ابن مسعود قال: من يرائي يرائي الله به، ومن يسمع يسمع الله به، ومن تطاول تعظمًا، خفضه الله، ومن تواضع تخشعًا، رفعه الله[٢].

* عن ابن المبارك، قال: من التواضع أن تقمع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا حتىٰ تعلمه: أنه ليس لك فضل عليه لدنياك، وأن ترفع نفسك عند من هو فوقك في دنياه حتىٰ تعلمه: أنه ليس لدنياه فضل عليك[٣].

* سئل ابن المبارك عن التواضع، فقال: التكبر على الأغنياء[٤].

* عن يحيىٰ بن معاذ الرازي قال: التواضع حسن لجميع الخلق، وهو بالأغنياء أحسن، والكبر سمج لجميع الخلق، وهو بالفقير أسمج[٥].

* عن الشافعي، قال: التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم أخلاق اللئام[٦].

---

(١) الزهد لوكيع (١/ ٤٦٣).

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك (٢/ ١٨).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (١٠/ ٥٠٢).

(٤) شعب الإيمان للبيهقي (١٠/ ٥٠٤).

(٥) شعب الإيمان للبيهقي (١٠/ ٥٠٤).

(٦) شعب الإيمان للبيهقي (١٠/ ٥١٥).

١٤- اَستشعار المسئولية

حمل هموم الناس أمانة ومسئولية لا يعلمها إلا من وفقه الله وفتح له أبواب الخير، فالمسلم يحمل في قلبه هموم العالم فيستشعر المسئولية الملقاة علىٰ كاهله تجاه المشركين بدعوتهم للدين القويم، ومع المسلمين بإعانتهم بكل خير وجميل.

المسئولية لغة: مصدر صناعيّ من مسئول - والجذر سأل - والمسئولية (المسؤولية) (بِوَجْه عَام) حَال أَو صفة من يسْأَل عَن أَمر تقع عَلَيْهِ تَبعته يُقَال أَنا بَرِيء من مسؤولية هَٰذا العَمَل وَتطلق (أخلاقيا) على التِزَام الشَّخْص بِمَا يصدر عَنهُ قولا أَو عملا وَتطلق (قانونا) على الْاَلْتِزَام بإصلاح الخَطَأ الواقِع على الغَيْر طبقًا لقانون (مج)[1].

أما المسئولية اَصطلاحًا: فهي المقدرة علىٰ أن يلزم الإنسان نفسه أولاً، والقدرة علىٰ أن يفي بعد ذلك بالتزامه بوساطة جهوده الخاصة.

وقيل: المسئولية حالة يكون فيها الإنسان صالحًا للمؤاخذة علىٰ أعماله وملزمًا بتبعاتها المختلفة.

واللَّامسئوليَّة: شعور المرء بأنه غير ملزَم بعواقب أعماله[2]

الآيات الواردة في استشعار المسئولية:

١ - قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ

---

(١) ١٥٩٣ وفي المعجم الوسيط (١/ ٤١١)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٥٦٣)

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٤١١)، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٠٢٠).

عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢].

فكأن التشريع أراد أن يعالج الهزة التي صنعها ٱنحراف بعلاج هو وقاية من رد الفعل فيحقق التوازن في المجتمع. فمن يقتل خطأً لا يقتص منه المجتمع ولكن هناك الدية. ومن أجل إشاعة المسئولية فالقاتل لا يدفعها، ولكن تدفعها العاقلة؛ لأن العاقلة إذا ما علمت: أن من يجني من أهلها جناية وأنّها ستتحمل معه فإنها تعلِّم أفرادها صيانة حقوق غيرهم؛ لأن كل واحد منها سيدفع، وبذلك يحدث التوازن في المجتمع[١].

٢ - قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة: ١٠٥].

يتوهمون أن هٰذِه الآية تتضمن إعفاءهم من هٰذِه المسئولية، ولقد بدّدّ أبو بكر الصديق ﵁ هٰذا الوهم ورد علىٰ هٰذِه الشبهة في خطبة له حين أحسّ بتسرب هٰذا الوهم وترسبه في قلوب بعض العوام فردهم إلى الفهم الصحيح للآية فقال: يا أيُّها النَّاسُ إنَّكُم تقرأونَ هٰذِه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾. وإنِّي سمعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: (**إنَّ النَّاسَ إذا رأوا الظَّالمَ فلم يأخُذوا علىٰ يديهِ أوشَكَ أنْ يَعُمهُمُ الله بعقابٍ منهُ**)[٢].

٣ - قال تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

---

(١) تفسير الشعراوي (٤/ ٢٥٤٣)، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام (٢/ ٧٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٦١).

٤- ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [يوسف: ٨٠].

إن كلام كبيرهم هٰذا فيه ٱستعظام شأن العهد واستشعار المسئولية والعمل لتحقيق ما أخذ على الإنسان من الموثق الغليظ[١].

٥- وقال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦].

لقد أخذ ذو القرنين من تمكين الله له في الأرض، وأخذ من عطاء الله له بشيء من كل سبب، إنه أخذ طاقة وإحساسًا بالمسئولية ليواصل مهمته[٢].

٦- وقال سبحانه: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]. وكما أن الله لم يستثن أحدًا من الخيرية، كذلك لم يستثن أحدًا من المسئولية، والدعوة ليست عملًا ٱكتسابيًا، بل هي عمل ٱجتبائي من الخالق، وبعد الاجتباء تأتي المسئولية كما قال سبحانه لموسىٰ: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ [طه: ١٣][٣].

الأحاديث الواردة في استشعار المسئولية:

١ - عن ابن عُمَرَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، والخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهو مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ راع وهو مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فكُلُّكُمْ**

(١) ١٠٠ فائدة من سورة يوسف (ص: ٣٨)، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام (٢/ ٧٣٩).
(٢) تفسير الشعراوي (٦/ ٣٤٠٣).
(٣) علم الأخلاق الإسلامية (صـ ٢١١)، موسوعة فقه القلوب (٤/ ٢٩٩٠).

رَاعٍ وَكلكم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[١].

فيه بيان مسئولية العدالة، وفي الحديث العام الذي يحمل كل إنسان تلك المسئولية: (**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**)، كالحاكم راع مسئول عن رعيته، وقد كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يعس في الليل يتفقد أحوال رعيته.

والمسئولية واقعة علىٰ صاحب الإدارة والمدرس في الفصل، والوالد مع أولاده.

إذًا: كل إنسان مسئول في جانب ما، فيعدل بين من هو مسئول عنهم، فهٰذا العدل صدقة[٢].

٢ - وعن أبي ذر رضي الله عنه قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَلا تَسْتَعْمِلُنِي فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ منْكبي، ثُمَّ قَالَ: « **يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدى الذِي عَلَيْهِ فِيهَا** »[٣].

٣ - وعن النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**مَثَلُ القَائِمِ فِي حُدُودِ الله والواقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَىٰ سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَىٰ مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا**»[٤].

٤ - عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا إِلَىٰ عُمَرَ رضي الله عنه، فَعَزَلَهُ، واسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّىٰ ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هٰؤلاء يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا والله فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ

---

(١) البخاري (٢٥٥٤)، ومسلم (١٨٢٩).

(٢) شرح الأربعين النووية لعطية سالم.

(٣) مسلم (١٨٢٥).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٩٣).

اللهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ[(١)].

حرص أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه على الرعية وتحمله المسئولية والإحساس بها وشعوره بها رضي الله عنه ولهذا ٱشتهر بعدالته وحسن سياسته في الأمور كلها، الحربية والسلمية والدينية والدنيوية، فهو في الحقيقة خير الخلفاء بعد أبي بكر، بل حسنة من حسنات أبي بكر رضي الله عنه؛ لأن الذي ولاه على المسلمين هو أبو بكر رضي الله عنه[(٢)].

نماذج من استشعار المسئولية:

١- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: يَعْنِي بِذَلِكَ المُهْلِكَاتِ[(٣)].

فكان أنس رضي الله عنه يبين حال الصحابة في ٱستشعارهم المسئولية.

قال الطيبي: عبارة عن تدقيق النظر في العمل وإمعانه فيه، والمعنىٰ: أنكم تعملون أعمالاً وتحسبون أنكم تحسنون صنعًا، وليس كذلك في الحقيقة[(٤)].

٢- عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَد ٱسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥).
(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٦/ ٨٦).
(٣) صحيح البخاري (٦٤٩٢).
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٣٥٧).

يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ بِالمَواطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَرىٰ أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ عُمَرُ: هٰذا واللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّىٰ شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الذِي رَأىٰ عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، فواللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟، قَالَ: هُوَ واللهِ خَيْرٌ، " فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّىٰ شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما، فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ واللِّخَافِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّىٰ وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] حَتَّىٰ خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّىٰ تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رضي الله عنه "(١).

٣- قال الزهري: فتح الله الشام كله علىٰ عمر، والجزيرة ومصر والعراق كله، ودون الدواوين قبل أن يموت بعام، وقسم على الناس فيئهم.

٤- عن خزيمة بن ثابت: أن عمر كان إذا ٱستعمل عاملاً كتب له، واشترط عليه أن لا يركب برذونًا، ولا يأكل نقيًا، ولا يلبس رقيقًا، ولا يغلق بابه دون ذوي الحاجات، فإن فعل فقد حلت عليه العقوبة.

٥- عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ٱستعمل مولىٰ له يدعىٰ هُنَيًا على الحمىٰ، فقال: " يا هني ٱضمم جناحك عن المسلمين، واتق دعوة المظلوم، فإن دعوة المظلوم مستجابة، وأدخل رب

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨٦).

الصريمة، ورب الغنيمة، وإياي ونعم ابن عوف، ونعم ابن عفان، فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلىٰ نخل وزرع، وإن رب الصريمة، ورب الغنيمة: إن تهلك ماشيتهما، يأتني ببنيه "، فيقول: يا أمير المؤمنين؟ أفتاركهم أنا لا أبا لك، فالماء والكلأ أيسر علي من الذهب والورق، وايم الله إنهم ليرون أني قد ظلمتهم، إنها لبلادهم فقاتلوا عليها في الجاهلية، وأسلموا عليها في الإسلام، والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله، ما حميت عليهم من بلادهم شبرا(١).

٦-إن هٰذا الشعور بالمسئولية هو الذي جعل عمر عام الرمادة لا يأكل حتىٰ يطمئن أن الزاد وصل إلىٰ كل المسلمين، وقال في ذلك الشاعر:

يامن رأىٰ عمرًا تكسوه بردته والزيت أدم له والكوخ مأواه.

يهتز كسرىٰ علىٰ كرسيه فرقًا من باسه وملوك الروم تخشاه.

وجعله يقول: لو أن بغلة في شط العراق عثرت لخشيت أن يحاسبني الله عليها لم لم تسوّي لها الطريق يا عمر(٢).

العلاقة بين المسئولية في الحياتين الدنيا والآخرة:

لا شك أن هناك علاقة وثيقة بين المسئولية في الدارين؛ لأن المسئولية الاْجتماعية في الدنيا هي نتيجة لازمة لعلاقة المسئولية في الآخرة وتتطابق معها، وهي الحلقة التي تربط بين مواقف الإنسان في الدنيا والآخرة وتجعلهما طورين متعاقبين من الاْبتلاء والجزاء.

والمسئولية الاْجتماعية في الدنيا دوائر وميادين بعضها أكبر من بعض. وهي تبدأ بالفرد وتنتهي بالإنسانية كما يلي:

١- مسئولية الفرد عن نفسه وعن ما منحه الله من قدرات عقلية وسمعية

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٧١).

(٢) المسئولية د/ محمد سعيد حوى التكافل الاْجتماعي في الإسلام ص ٦٤

وبصرية وجسدية ونفسية ليستعملها فيما خلقت له طبقا لأوامر الله ونواهيه.

٢- مسئولية الفرد عن أسرته وتشمل مسئولية الوالد عن الأبناء والبنات، ومسئولية الولد عن الوالدين، ومسئولية الزوجين كل عن الآخر.

٣- مسئولية الأرحام بعضهم عن بعض.

٤- مسئولية الفرد عن الأمة، ومسئولية الأمة عن الفرد فيما يزيد في تقدم الأمة ويحفظ مقدراتها وأمنها، وفيما يوفر للفرد العيش الكريم والأمن والاستقرار، ويتفرع عن هٰذِه المسئولية فروع عديدة مثل مسئولية الحاكم عن الشعب، والقوي عن الضعيف، والغني عن الفقير.

٥- مسئولية الجيل عن الأجيال اللاحقة في إعدادها لمتطلبات حياتها عقائديا واجتماعيا واقتصاديا وكل ما يساعدها علىٰ عبور مستقبلها بنجاح.

٦- مسئولية الأمة عن الأمم.

أما المسئولية في الآخرة فهي مسئولية فردية يتحمل فيها الإنسان بمفرده نتيجة عمله دون تأثير على الآخرين من حيث الثواب أو العقاب، قال تعالىٰ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٣٩- ٤٢][(١)].

أسباب عدم استشعار المسئولية:

إن عدم إقبال أفراد المجتمع علىٰ حمل الأعباء وتحمل المسؤوليات له عدة أسباب، منها:

أ- عدم إحساس الفرد بالمسؤوليات وذلك إما أن يكون نتيجة عدم التفاته إلى النواقص وتعوده علىٰ حالة النقص التي نشأ فيها، وإما بسبب اتكاله على الآخرين في تحمل هٰذِه المسئولية.

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية بتصرف ص ٢٠١.

ب- الشعور باليأس والإحباط والخوف من عدم القدرة علىٰ تحمل المسئولية، وذلك إما لشعوره بقلة الأعوان أو بسبب عدم الثقة بالنفس لوجود نواقص معيبة في الشخصية.

ج- هناك نمط آخر يحس بالمسئولية ويتكاسل ويتقاعس عنها بسبب الرغبة في الراحة.

د- من ضمن العراقيل المطروحة هنا هي تقوقع الفئة النشطة علىٰ نفسها وعدم سعيها لدمج الفئات الأخرىٰ من المجتمع ضمن نشاطاتها.

هـ- حالات التراجع والانكفاء التي تحصل للكثيرين، وذلك بعد أن يتحملوا بعض المسؤوليات ويصطدموا ببعض المصاعب التي لم يحسبوا حسابها من قبل.

و- حالة الأنفلات والتسيب والتقصير التي قد تعاني منها البرامج الدينية والاجتماعية، وهي ناتجة في الغالب عن كون هناك هٰذِه الأنشطة تطوعية لا تحمل درجة الإلزام، ولهٰذا لن يكون هناك من يمكنه محاسبة المقصرين.

الوسائل المعينة على اكتساب الاستشعار بالمسئولية:

وهي تنقسم إلىٰ قسمين:

القسم الأول: وهي حلول ذاتية فردية يمارسها كل فرد، بينما القسم الثاني حلول جماعية مبرمجة تتحملها الفئة الواعية في المجتمع، هٰذا وربما يكون هناك بعض التداخل بين هذين القسمين:

أولا: الحلول الذاتية والفردية:

أ- لابد للفرد المسلم أولا من تحسس مواطن النقص في المجتمع والتي تحتاج إلىٰ تحسيس النفس بالمسئولية تجاهها.

ب- لابد للفرد من أن يلتفت إلىٰ وجوب تحمل هٰذِه المسؤوليات وحرمة التقاعس عنها، والالتفات إلىٰ معنى الوجوب الكفائي وحدوده، حيث إن

الوجوب في مثل هٰذِه الأمور كفائي فلا يسقط إلا بتحمل من فئة الكفاية من أفرد المجتمع ولا فيأثم الجميع حينئذ.

ت- لابد للفرد من السعي لمعالجة جوانب النقص الفكرية التي قد يعاني منها، وذلك عبر الدراسة الجادة المطالعة المنهجية.

ث- تنبيه النفس إلىٰ أن وجوب تحمل المسئولية لا يسقط بتكاسل وتخاذل الآخرين بل يشتد ويتأكد.

ج- لابد للفرد من أن يستلهم حالة الصمود والصبر من سيرة الرسل والأئمة والصالحين، كنبي الله نوح الذي دعا قومه تسعمائة وخمسين سنة ولم يتراجع رغم كل الصعاب، وصبر الرسول ﷺ في تبليغ الدعوة وهو الذي قاسىٰ ما قاسىٰ من قومه فلذا لابد أن يعرف الفرد المؤمن بأن طريقه لن يكون مفروشا بالورود.

ثانيًا: الحلول الجماعية:

أ- تنبيه الآخرين لوجوب تحمل المسئولية وحرمة التخلي عنها والتأكيد علىٰ ذلك والتواصي به كي لا نكون من الخاسرين الذين وصفهم الله في سورة العصر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

ب- محاولة تشكيل لجان منظمة لتحمل المسؤوليات الدينية والاجتماعية وتوزيع المهام، لكي يتوزع الثقل على الجميع.

ت- وضع البرامج المناسبة لخلق الكفاءات وتنمية المهارات والقدرات بهدف سد النواقص الموجودة بصورة تدريجية لمعالجة الأوضاع مستقبلاً كي لا تكون معاناتنا دائمة.

ث- إيجاد بعض المحفزات والمرغبات من أجل شد الآخرين ودفعهم لتحمل المسئولية، ومن هٰذِه المحفزات الجوائز والهدايا، أو التنويه بالجهود المبذولة عبر كلمات التقدير والشكر التي تلقىٰ بين فترة وأخرىٰ

في الاحتفالات، وغير ذلك من المحفزات.

ج- تعديل الفهم المغلوط من أن النشاط الديني والاجتماعي عمل غير إلزامي، وليس هناك من يحاسب على التقصير فيه، فلا بد من الالتفات إلىٰ أن هٰذا النشاط أهم من الأعمال الدنيوية الأخرىٰ، فالمحاسب فيه هو الباري ﷻ وكتابه الذي عبر عنه القرآن بـ ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: ٤٩].

د - تشكيل لجنة أو أكثر للتقنين والمتابعة تتكفل بمراقبة التقصيرات التي قد تحصل خلال عمل اللجان الأخرىٰ، وتقوم بتنبيه المسؤولين عن التقصير، كما تسعىٰ لتذليل الصعاب التي قد تواجه تلك اللجان وتسعىٰ للتنسيق فيما بينها[١].

---

(١) المسئولية ، صالح جبران محمد.

١٥- البذل والعطاء

شعار المتطوع البذل والعطاء وبغير هٰذا الشعار لن يدخرًا وقتًا ولا جهدًا ولا مالًا لعمل الخير ،فالمتطوعون لأموالهم باذلون ولأعمارهم بالخير يعمرون فعطاؤهم قد تجاوز كل ما يملكون .

البذل في اللغة:

البذل ضد المنع، وكل من طابت نفسه بإعطاء شيء؛ فهو باذل، والبذلة من الثياب مَا يلبَس فَلَا يصان، ورجل متَبَذل إِذا كان يلي العمل بنفسه، يقال: تبذل فِي عملِ كذا، وَقد ٱبتذل نفسَه فِيمَا تولاَّه من عمله، ورجلٌ بذال، وبَذول إِذا كَثُر بَذله لِلمَالِ[١].

أما في الشرع:

فهو ٱصطناع المعروف، والمقصود هنا هو: فعل الخير وإسداؤه للعباد، سواء كان هٰذا الخير مالاً كالصدقة والإطعام وسقاية الماء وسداد الديون.

وأيضًا هو: الإعطاء عن طيب نفس والتَّضْحِيَةُ، والعَطاءُ، والتَّفانِي والإِخْلاصُ[٢].

تعريف العطاء:

العَطاء: ٱسمٌ لما يُعْطَىٰ، والعِطاء: مصدر عاطيتُه معاطاةً وعِطاءً، والعطاء بمعنى المعطىٰ، مثل الخلق بمعنى المخلوق[٣]

(١) العين (٨/ ١٨٧)، وجمهرة اللغة (١/ ٣٠٥)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٣١٢) .

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (ص: ٧٣).

(٣) العين (٢/ ٢٠٨)، وتهذيب اللغة (٣/ ٦٥)، والمحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٣١٠).

ضابط البذل والعطاء:

اعلم أولاً أن الضابط لجميع أنواع البذل من صفات النفس: السماحة والسخاء، وهما من أركان الفضائل، ولجميع أنواع الإمساك: البخل، وهو من أمهات الرذائل، ولكل منهما درجات ودركات[(١)].

البذل والعطاء في القرآن:

١- قال تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

صدَّر سبحانه الآية بألطف أنواع الخطاب، وهو الاستفهام المتضمن معنى الطلب، وهو أبلغ في الطلب من صيغة الأمر. والمعنىٰ: هل أحد يبذل هٰذا القرض الحسن، فيجازي عليه أضعافًا مضاعفة؟

وسمي ذلك الإنفاق قرضًا حسنًا حثًا للنفوس، وبعثًا لها على البذل؛ لأن الباذل متىٰ علم: أن عين ماله يعود إليه ولابد طوّعت له نفسه، وسهل عليه إخراجه. فإن علم: أن المستقرض مليء وفيّ محسن، كان أبلغ في طيب فعله وسماحة نفسه. فإن علم: أن المستقرض يتجر له بما ٱقترضه، وينميه له ويثمّره حتىٰ يصير أضعاف ما بذله كان بالقرض أسمح وأسمح.

فإن علم: أنه مع ذلك كله يزيده من فضله وعطائه أجرا آخر من غير جنس القرض، فإن ذلك الأجر حظ عظيم، وعطاء كريم، فإنه لا يتخلف عن قرضه إلا لآفة في نفسه من البخل والشح، أو عدم الثقة بالضمان. وذلك من ضعف إيمانه. ولهٰذا كانت الصدقة برهانا لصاحبها[(٢)].

٢- قال تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ

(١) تفسير المنار (٩/ ٥٣٦).

(٢) التفسير القيم (ص: ١٥١).

فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

هٰذا مثل الذي مصدر نفقته عن الإخلاص والصدق. فإن ٱبتغاء مرضاته سبحانه هو الإخلاص. والتثبيت من النفس هو الصدق في البذل فإن المنفق يعترضه عند إنفاقه آفتان إن نجا منهما كان مثله ما ذكره في هٰذِه الآية.

إحداهما: طلبه بنفقته محمدة أو ثناء أو غرضا من أغراضه الدنيوية. وهٰذا حال أكثر المنفقين.

والآفة الثانية: ضعف نفسه وتقاعسها وترددها. هل يفعل أم لا؟ فالآفة الأولىٰ: تزول بابتغاء مرضاة الله. والآفة الثانية: تزول بالتثبيت فإن تثبيت النفس تشجعها وتقويتها والأقدام بها على البذل. وهٰذا هو صدقها وطلب مرضاة الله إرادة وجهه وحده وهٰذا إخلاصها فإذا كان مصدر الإنفاق عن ذلك كان مثله كجنة- وهي البستان الكثير الأشجار- فهو مجتنّ بها أي مستتر ليس قاعا فارغا[1].

٣- وقال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]. قال القاضي رحمه الله: إنه تعالىٰ لما أجمل في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة فصل بعد ذلك في هٰذِه الآية تلك الأضعاف، وإنما ذكر بين الآيتين الأدلة علىٰ قدرته بالإحياء والإماتة من حيث لولا ذلك لم يحسن التكليف بالإنفاق؛ لأنه لولا وجود الإله المثيب المعاقب، لكان الإنفاق في سائر الطاعات عبثًا، فكأنه تعالىٰ قال لمن رغبه في الإنفاق: قد عرفت: أني خلقتك، وأكملت نعمتي عليك بالإحياء والإقدار، وقد علمت قدرتي على المجازاة، والإثابة، فليكن علمك بهٰذِه الأحوال داعيًا إلىٰ إنفاق المال؛ فإنه يجازي القليل بالكثير،

---

(١) التفسير القيم (ص: ١٦٣).

ثم ضرب لذلك الكثير مثلاً، وهو أن من بذر حبة أخرجت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، فصارت الواحدة سبعمائة[١].

٤- قال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦٨﴾ [البقرة: ٢٦٨].

هٰذِه الآية تتضمن الحض على الإنفاق والحث عليه بأبلغ الألفاظ وأحسن المعاني. فإنها ٱشتملت علىٰ بيان الداعي إلى البخل، والداعي إلى البذل والإنفاق وبيان ما يدعو إليه داعي البخل، وما يدعو إليه داعي الإنفاق، وبيان ما يدعو به داعي الأمرين.

فأخبر سبحانه أن الذي يدعوهم إلى البخل والشح هو الشيطان وأخبر: أن دعوته هي بما يعدهم به ويخوفهم من الفقر إن أنفقوا أموالهم. وهٰذا هو الداعي الغالب على الخلق. فإن أحدهم يهم بالصدقة والبذل فيجد في قلبه داعيًا يقول له: متىٰ أخرجت هٰذا دعتك الحاجة إليه، وافتقرت إليه بعد إخراجه، وإمساكه خير لك، حتىٰ لا تبقىٰ مثل الفقير، فغناك خير لك من غناه[٢].

الأحاديث النبوية في البذل والعطاء:

(١) عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهمَا، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِينِي العَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ: "**خُذْهُ إِذَا جَاءَكَ مِنْ هٰذا المَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ، فَخُذْهُ وَمَا لاَ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**"[٣].

(١) مفاتيح الغيب (٧/ ٣٩).

(٢) التفسير القيم (ص: ١٧٠).

(٣) البخاري (٧١٦٤)، ومسلم (١٠٤٥).

(٢) عَنْ مُوسَىٰ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: "**مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الإِسْلَامِ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لاَ يَخْشَى الفَاقَةَ**"[١].

هٰذا يدل علىٰ أنه عليه الصلاة والسلام أزهد الناس في الدنيا إذ لو شاء أن تصير معه الجبال ذهبًا لصارت، ولكنه لا يريد هٰذا، يريد أن يتقلل من الدنيا حتىٰ يخرج منها لا عليه ولا له منها؛ بل كان عليه الصلاة والسلام يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة، ويعيش عيشة الفقراء[٢].

(٣) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، قَالَ: جَاءَتِ ٱمْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِبُرْدَةٍ، فَقَالَ سَهْلٌ لِلْقَوْمِ: أَتَدْرُونَ مَا البُرْدَةُ؟ فَقَالَ القَوْمُ: هِيَ الشَّمْلَةُ، فَقَالَ سَهْلٌ: هِيَ شَمْلَةٌ مَنْسُوجَةٌ فِيهَا حَاشِيَتُهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَكْسُوكَ هٰذِهِ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَلَبِسَهَا، فَرَآهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَحْسَنَ هٰذِهِ، فَاكْسُنِيهَا، فَقَالَ: نَعَمْ فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ لاَمَهُ أَصْحَابُهُ، قَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لاَ يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعَهُ، فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ، لَعَلِّي أُكَفَّنُ فِيهَا[٣].

(٤) وعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا بَقِيَ مِنْهَا؟" قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا قَالَ: "بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا"[٤].

والمعنىٰ: أن الذي أكلتم هو الذي ذهب، وأما ما تصدقتم به فهو الذي بقي لكم.

---

(١) مسلم (٢٣١٢).

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣/ ٣٧٣).

(٣) البخاري (٦٠٣٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٤٧٠)، وقال: هٰذا حديث صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠٠٩).

فالحاصل: أن الصحابة وذوي الهمم العالية هم الذين يعرفون قدر الدنيا وقدر المال، وأن ما قدموه هو الباقي، وما أبقوه هو الفاني[١].

نماذج في البذل والعطاء:

١- كان ﷺ أعظم الناس صدقة بما ملكت يده، وكان لا يستكثر شيئا أعطاه لله تعالىٰ، ولا يستقله، وكان لا يسأله أحد شيئا عنده إلا أعطاه، قليلا كان أو كثيرا، وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر، وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة.

وكان إذا عرض له محتاج آثره علىٰ نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه.

وكان ينوع في أصناف عطائه وصدقته، فتارة بالهبة، وتارة بالصدقة، وتارة بالهدية، وتارة بشراء الشيء ثم يعطي البائع الثمن والسلعة جميعا، كما فعل ببعير جابر.

وتارة كان يقترض الشيء فيرد أكثر منه وأفضل وأكبر، ويشتري الشيء فيعطي أكثر من ثمنه، ويقبل الهدية ويكافئ عليها بأكثر منها أو بأضعافها، تلطفا وتنوعا في ضروب الصدقة والإحسان بكل ممكن، وكانت صدقته وإحسانه بما يملكه وبحاله وبقوله، فيخرج ما عنده، ويأمر بالصدقة، ويحض عليها، ويدعو إليها بحاله وقوله، فإذا رآه البخيل الشحيح دعاه حاله إلى البذل والعطاء، وكان من خالطه وصحبه ورأىٰ هديه لا يملك نفسه من السماحة والندىٰ.

وكان هديه ﷺ يدعو إلى الإحسان والصدقة والمعروف، ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدرا، وأطيبهم نفسا، وأنعمهم قلبا، فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيرا عجيبا في شرح الصدر، وانْضَافَ ذلك إلىٰ ما خصه الله به

---

(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣/ ١٦٦).

من شرح صدره بالنبوة والرسالة وخصائصها وتوابعها، وشرح صدره حسا وإخراج حظ الشيطان منه[١].

٢- عن عمر قال: أَمَرَنا النبيُّ ﷺ أن نتصدَّقَ ووافقَ ذلك مني مالًا، فقلتُ: اليوم أسبقُ أبا بكرٍ إن سبقتُه فجئتُ بنصف مالي، فقالَ ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قلتُ: مثله، وأتىٰ أبو بكر بكلِّ ما عنده، فقال: «**يا أبا بكرٍ: ما أبقيتَ لأهلك؟**» قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله، قلتُ: «لا أسبقهُ إلىٰ شيء أبدًا»[٢].

٣- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَلْفِ دِينَارٍ، قَالَ الحَسَنُ بْنُ واقِعٍ: وَكَانَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِي، فِي كُمِّهِ، حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِهِ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: "**مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ مَرَّتَيْنِ**"[٣].

٤- عن المسور بن مخرمة قال: باع عبد الرحمن بن عوف أرضًا له من عثمان بأربعين ألف دينار فقسم ذلك المال في بنىٰ زهرة وفىٰ فقراء المهاجرين وأمهات المؤمنين فبعث معي إلىٰ عائشة بمال من ذلك المال فقالت عائشة أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**لن يحنو عليكن بعدىٰ إلا الصالحون. سقىٰ الله ابن عوف من سلسبيل الجنة**"[٤].

٥- عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٢١).

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، وقال: حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٩٠٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٠١)، وقال: حديث حسن غريب من هٰذا الوجه، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٩٢٠).

(٤) أخرجه أبو نعيم (١/ ٩٨)، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ١٢٥).

المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هٰؤلاء - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هٰؤلاء، - يَعْنِي المُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا ٱسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ: "كُنَّا نُرىٰ أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هٰذِه الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ"[1].

أنواع البذل:

ما يمكن للإنسان المؤمن أن يبذله في سبيل الله وابتغاء مرضاته أرزاقا وعطاءات معنوية وأخرىٰ مادية، واجبة وأخرىٰ نافلة، منها ما يستدعيه الزمان والمكان ومنها دون ذلك. ونجد منها علىٰ سبيل المشهور والمذكور في القرآن والسنة والسيرة والتاريخ:

بذل النفس:

وهو أعظم البذل، يقول تعالىٰ: ﴿إن الله ٱشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ شيء خلقه الله واشتراه: النفس. وبذلها في سبيل الله وبيعها له نوعان: أحدهما: بذل للنفس في ساحة الوغىٰ دفعة واحدة فينال المؤمن بذلك عند الله درجة المجاهد الحائز على الشهادة. وهي بلا شك درجة عظيمة عند الله تعالىٰ. وثانيهما: بذل للنفس في رباط المجاهدة والتزكية وفي الدعوة السرية والجهرية، وفي الجهاد بناء للأمة والخلافة فينال المؤمن بذلك عند الله درجة الصديقية الحائز على الحضور الشاهد بالقسط.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٥) ومسلم (١٩٠٣).

البذل في الدعوة وهداية الناس:

ثم بذل عليه الصلاة والسلام في باب عظيم من أعظم الأبواب التي يقل فيها البذل، وهو بذله في الدعوة وهداية الناس، وإرشادهم إلى الخير، وحرصه علىٰ أن يمنعهم من الوقوع في الهلاك والتردي في عاجل دنياهم وعاقب أخراهم، فهو عليه الصلاة والسلام لم يترك موقفًا من المواقف ولا مجمعًا من المجامع ولا بقعة من البقاع إلا وسعىٰ ليوصل إليها دعوته، فكان في الفترة المكية يغشىٰ مجالس قريش وصناديدها، مع أنهم كانوا أهل علو واستكبار وأهل إيذاء وإهانة للرسول ﷺ وصحابته.

وكان ﷺ يلقي دعوته لله ﷻ، فيبذلها للضالين والكافرين والمعرضين فضلًا عن المقبلين والراغبين والطالبين، وما كان ﷺ يمنع شيئًا من علم وهدىٰ وإرشاد، بل كان يسعىٰ إلىٰ بذله؛ حتىٰ كان يتتبع القبائل في مواضعها؛ فخرج إلى الطائف، ثم هاجر إلى المدينة، ثم مضىٰ بعد ذلك مرة أخرىٰ إلى الطائف فاتحًا، ثم مضىٰ مجاهدًا، ثم أرسل الكتب إلى الملوك من حول الجزيرة كلها، وكانت نفسه تتقطع حسرات علىٰ ضلال الضالين وكفر الكافرين، حتىٰ قال جل وعلا: ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ [الكهف: ٦]، أي: أنت مهلك نفسك في إثر أولئك القوم المعرضين تريد أن تردهم عن موارد الهلاك، كما أخبر عن نفسه عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ٱسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الدَّوابُّ والفَرَاشُ يَقعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ**»[١].

بذل المال:

للمال في الإسلام ٱستعمالان: أحدهما ٱستعمال فردي وما أكثره بأن

---

(١) البخاري (٣٤٢٦)، ومسلم (٢٢٨٤).

يبذل المؤمن ماله وينفقه علىٰ نفسه وعياله عونًا علىٰ أمور الحياة وقضاء الحاجات، وعلى الأقارب والأصدقاء عطاء في المناسبات، وعلى المساكين مَدّا للعون بالصدقات.

وثانيهما: ٱستعمال جماعي بأن يبذل المؤمن ماله ٱقتحامًا لعقبة الشح المتأصل في النفوس، وهو له طهارة للنفس، وبرهان علىٰ صدق الٱنتماء، ومادة تعاون وبناء، ونصرة للدين والدعوة والأمة والمستضعفين في الأرض علىٰ حدّ سواء.

بذل العلم:

يقول النبي ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»(١).

وقال: «**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَواتِ والأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**»(٢).

فإن كان بذل العلم فضيلة ينال بها العبد المؤمن الخيرية والصلوات؛ فإن البخل به ومنعه مستحقيه جريمة يعاقب عليها الله تعالىٰ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**"(٣).

فالملجم نفسه عن قول الحق والإخبار عن العلم يُعاقب في الآخرة بلجام من نار، وذلك في العلم الذي يلزمه تعليمه إياه، ويتعين عليه فرضه، كمن رأىٰ كافرًا يريد الإسلام، فيقول: علِّموني ما الإسلام، وما الدين؟ وكمن يرىٰ رجلًا حديث عهدٍ بالإسلام، ولا يُحسن الصلاة وقد حضر وقتُها، يقول:

---

(١) البخاري (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، وقال: هٰذا حديث حسن غريب صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢١٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٣، ٣٠٥) ابن ماجه (٢٦٥)، وأبو داود (٣٦٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢٧١٤).

علموني كيف أصلي؟ وكمن جاء مُستفتيًا في حلال أو حرام يقول: أفتوني أرشدوني، فإنه يلزم في مثل ذلك أن يُعرَّف الجواب، فمن منعه ٱستحق الوعيد، وليس الأمر كذلك في نوافل العلم التي لا يلزم تعليمها. والأمر النبوي في بذل العلم وتبليغه.

بذل الخُلق:

قال ﷺ: « **إِنَّكُمْ لاَ تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوالِكُمْ فَلْيَسَعْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ وَجْهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ** »[١].

وبذل الخلق عطاء تطوعي وإيتاء للمال والخدمة لوجه الله وفتوة وإيثار وأخلاق كبار.

يقول الله تعالىٰ في شأن حسن الخلق: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: "**لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ**"[٢].

فالجود بالعِرض، والتصدق علىٰ من شتم أو قذف أو ٱغتاب. والجود بالصبر والاحتمال وكظم الغيظ. وهٰذا أنفع من الجود بالمال[٣].

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ (٦٥٥٠)، أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).

(٣) ٱنظر: حاجة الدعوة إلى البذل والتضحية، عبد الحكيم بن محمد بلال، والمسلم بين البذل والبخل، علي بن عمر بادحدح.

١٦- غض البصر

المتطوع مختلط بالمجتمع وقد يتعرض في دعوته والقيام بخدمات التطوع إلىٰ معاملة النساء، فلا بد من تحقيق الضوابط الشرعية في تعامله مع النساء، ومن أهم هٰذِه الضوابط غض البصر.

تعريف غض البصر لغة:

هو الكفّ والنّقص والخفض والكسر. والإغضاء: إدناء الجفون وكل شيء كففته فقد غضضته. والبصر: ٱسم لآلة الإبصار وحاسّة الرّؤية[١].

واصطلاحًا:

الغَضُّ: صَرْفُ المَرْءِ بَصَرَهُ عَنِ التَّحْدِيقِ وَتَثْبِيتِ النَّظَرِ خَوفًا مِنَ اللهِ تَعَالىٰ وَعِقَابِهِ، وامتِثَالًا لأمرِهِ[٢].

يَنْقَسِمُ النَّظَرُ إلَـى أَقْسَامٍ:

الأول: ما هو محرم وهو جل المقصود في هٰذا الموضع، كالنظر إلى الأجنبية من غير حاجة تبيح له ذلك، فإنه يحرم .

الثاني: مستحب وهو النظر إلى ٱمرأة يريد أن يتزوجها وغلب علىٰ ظنه إجابته

الثالث: مباح كنظرة الفجأة من الأجنبية بلا قصد، فإن كانت بقصد حرمت كالثانية إلا أن تكون الثانية بلا قصد[٣].

---

(١) ٱنظر: مجمل اللغة (ص ٦٨٢)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٢٠).

(٢) ٱنظر: التحرير والتنوير (١٨/ ٢٠٤)، والآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٢٨٠).

(٣) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (١/ ٩٨).

ذكر شبهة وجوابها

قال ابن القيم رحمه الله: ووقعت مسألة ما تقول السادة العلماء في رجل نظر إلى ٱمرأة نظرة فعلق حبها بقلبه واشتد عليه الأمر فقالت له نفسه هٰذا كله من أول نظرة فلو أعدت النظر إليها لرأيتها دون ما في نفسك فسلوت عنها فهل يجوز له تعمد النظر ثانيًا لهٰذا المعنىٰ؟

فكان الجواب: الحمد لله، لا يجوز هذا لعشرة أوجه:

أحدها: أن الله سبحانه أمر بغض البصر ولم يجعل شفاء القلب فيما حرمه على العبد.

الثاني: أن النبي ﷺ سئل عن نظر الفجأة؟ وقد علم: أنه يؤثر في القلب فأمر بمداواته بصرف البصر لا بتكرار النظر.

الثالث: أنه صرح بأن الأولىٰ له وليست له الثانية ومحال أن يكون داؤه مما له ودواؤه فيما ليس له.

الرابع: أن الظاهر قوة الأمر بالنظرة الثانية لا تناقصه والتجربة شاهدة به والظاهرأن الأمر كما رآه أول مرة فلا تحسن المخاطرة بالإعادة.

الخامس: أنه ربما رأىٰ ما هو فوق الذي في نفسه فزاد عذابه.

السادس: أن إبليس عند قصده للنظرة الثانية يقوم في ركائبه فيزين له ما ليس بحسن لتتم البلية.

السابع: أنه لا يعان علىٰ بليته إذا أعرض عن ٱمتثال أوامر الشرع وتداوىٰ بما حرمه عليه بل هو جدير أن تتخلف عنه المعونة.

الثامن: أن النظرة الأولىٰ سهم مسموم من سهام إبليس، ومعلوم أن الثانية أشد سما فكيف يتداوىٰ من السم بالسم.

التاسع: أن صاحب هٰذا المقام في مقام معاملة الحق ﷻ في ترك محبوب كما زعم وهو يريد بالنظرة الثانية أن يتبين حال المنظور إليه فإن لم يكن مرضيا تركه فإذًا يكون تركه؛ لأنه لا يلائم غرضه لا لله تعالىٰ فأين معاملة الله سبحانه

بترك المحبوب لأجله.

العاشر: يتبين بضرب مثل مطابق للحال، وهو أنك إذا ركبت فرسا جديدا فمالت بك إلىٰ درب ضيق لا ينفذ ولا يمكنها أن تستدير فيه للخروج، فإذا همت بالدخول فيه فاكبحها؛ لئلا تدخل فإذا دخلت خطوة أو خطوتين فصح بها وردها إلىٰ وراء عاجلا قبل أن يتمكن دخولها فإن رددتها إلىٰ ورائها سهل الأمر وإن توانيت حتىٰ ولجت وسقتها داخلا ثم قمت تجذبها بذنبها عسر عليك أو تعذر خروجها، فهل يقول عاقل إن طريق تخليصها سوقها إلىٰ داخل فكذلك النظرة إذا أثرت في القلب فإن عجل الحازم وحسم المادة من أولها سهل علاجه وإن كرر النظر ونقب عن محاسن الصورة ونقلها إلىٰ قلب فارغ فنقشها فيه تمكنت المحبة وكلما تواصلت النظرات كانت كالماء يسقي الشجرة فلا تزال شجرة الحب تنمىٰ حتىٰ يفسد القلب ويعرض عن الفكر[١].

من الآيات الواردة في الحث على غض البصر:

١ - قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

فَجعل سُبْحَانَهُ غض البَصَر وَحفظ الفرج هُوَ أقوىٰ تَزْكِيَة للنَّفس وَبَين أَن

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص ٩٤)، الفتاوى الكبرىٰ لابن تيمية (١/ ٢٨٤).

ترك الفَواحِش من زَكَاة النُّفُوس وَزَكَاة النُّفُوس تَتَضَمَّن زَوال جَمِيع الشرور من الفَواحِش والظُّلم والشرك والكذب وَغير ذَلِك.

وقوله: ﴿يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ فيه: إيجاز بالحذف، أي: عما حرّم الله، لا عن كل شيء. أي يغضوا من أبصارهم حتىٰ لا ينظروا إلىٰ نساء لا يحل لهم: أن ينظروا إليهن. ﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾: أي: يصونونها من النظر إليها، ومن إتيان الفاحشة الزنىٰ واللواط. وفي الآية تحريم النظر إلى النساء وعورات الرجال وتحريم كشفها... وسر تقديم غض الأبصار علىٰ حفظ الفروج، هو أن النظر بريد الزنىٰ ورائد الفجور، كما قال الحماسي:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما، أتعبتك المناظر[(١)]

وقال القرطبِيُ رحمه الله: البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته. ووجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله[(٢)].

٢ - وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

قال المهلب: ومعنى الاستئذان هو خوف أن يفجأ الرجل أهل البيت علىٰ عورة؛ فينظر ما لا يحل له[(٣)].

٣ - وقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩].

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ أي: نظراتها الخائنة. وهي الممتدة إلىٰ ما لا يحلّ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ أي تكنّه من الضمائر والأسرار والله يَقْضِي بِالحَقِّ أي بالعدل. وهي النظرة المسترقة إلىٰ ما لا يحل والرجل ينظر إلى المرأة الحسناء تمر به أو يدخل بيتًا هي فيه فإذا فطن لها غض بصره.

---

(١) محاسن التأويل (٧/ ٣٧١)، العبودية (ص: ٩١).

(٢) التحرير والتنوير (١٨/ ٢٠٤)، الفتاوى الكبرىٰ لابن تيمية (١/ ٢٨٤).

(٣) شرح البخاري لابن بطال (٩/ ١١).

الأحاديث الواردة في الحث على غض البصر:

١- عن ابن عَبَّاسٍ ﵄ قال: كَانَ الفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رَدِيفَ النبي ﷺ فَجَاءَتْهُ ٱمْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ تَسْتَفْتِيهِ، فَجَعَلَ الفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ فَرِيضَةَ الله عَلَىٰ عِبَادِهِ فِي الحَجِّ أَدْرَكَت أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ قَالَ: «نَعَمْ» وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ[١].

وفي نظر الفضل إلى المرأة مغالبة طباع البشر لابن آدم وضعفه عما ركب فيه من شهوات النساء فإنها مجبولةٌ على الميل إلى الصور الحسنة، وفيه: أن على العالم أن يغير من المنكر ما يمكنه إذا رآه[٢].

٢ - وعن بريدة قال قال ﷺ لعليّ ﵁: **"يَا عَلِيُّ، لاَ تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الأُولَىٰ وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ"**[٣].

فالنظرة الأولىٰ إنما تكون له لا عليه إذا كانت فجأة من غير قصد أو تعمد وليس له أن يكرر النظر ثانية ولا له أن يتعمده بدءا كان أو عودا[٤].

فلما حرم رسول الله ﷺ النظرة الثانية؛ لأنها تكون باختيار الناظر، وخالف بين حكمها وحكم ما قبلها إذا كانت بغير ٱختيار من الناظر، دل علىٰ أنه ليس لأحد أن ينظر إلىٰ وجه ٱمرأة إلا أن تكون زوجة أو ذات محرم[٥].

---

(١) البخاري (٦٢٢٨)، ومسلم (١٣٣٤).
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ١٨٧)، المفهم (١٠/ ١٤٨).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٧٧٧)، وأبو داود (٢١٤٩)، وأحمد (١/ ١٥٩). وقال الترمذي: هٰذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث شريك. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٨٦٥)
(٤) معالم السنن (٣/ ٢٢٢) / المفهم (١٠/ ١٤٨).
(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٢٣٨).

٣ - عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: **سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي**[١].

قال القاضي عياض: ومعنىٰ نظر الفجاءة: التي لم يقصد صاحبها تأملها والنظر إليها، فتلك معفوٌ عنها، والمنهي عنه المحرم من ذلك إدامة النظر، وتأمل المحاسن علىٰ وجه التلذذ والاستحسان والشهوة.

قال النووي: أي: أن يقع بصره على الأجنبية من غير قصد فلا إثم عليه في أول ذلك، ويجب عليه أن يصرف بصره في الحال، فإن صرفه في الحال فلا إثم عليه، وإن ٱستدام النظر أثِم، لهٰذا الحديث فإنه ﷺ أمره أن يصرف بصره، مع قوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾[٢].

٥ - عَن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "**إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابن آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، والنَّفْسُ تَمَنَّىٰ وَتَشْتَهِي، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ**"[٣].

قال ابن بطال: سُمِّيَ النظر والنطق زنا؛ لأنه يدعو إلى الزنا الحقيقي، ولذلك قال: والفرج يصدق ذلك ويكذبه. كم من نظرة تحلو في العاجلة، مرارتها لا تطاق في الآجلة، يا ابن آدم قلبك قلب ضعيف، ورأيك في إطلاق الطرف رأي سخيف، يا طفل الهوىٰ متىٰ يؤنس منك رشد، عينك مطلقة في الحرام ولسانك مهمل في الآثام، وجسدك يتعب في كسب الحطام، كم نظرة محتقرة زلت بها الأقدام[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٥٩).

(٢) شرح النووي (٧ / ١٣٤).

(٣) البخاري (٦٦١٢)، ومسلم (٢٦٥٧).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٦)، شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٢٣٨).

عناية السلف بغض البصر:

- قال ابن مسعود: الإثم حوَّاز القلوب وما من نظرة إلا وللشيطان فيها مطمع.

- وقال أيضا: حفظ البصر أشدّ من حفظ اللّسان.

- ولما قال رجل للحسن رحمه الله: إن نساء العجم يكشفن صدورهن ورؤوسهن قال: اْصرف بصرك.

- عن أنس رضي الله عنه قال: إذا مَرّت بك اْمرأة فغمّض عينيك حتىٰ تُجاوزك.

- قال العلاء بن زياد: لا تتبع بصرك رداء المرأة، فإن النظر يزرع في القلب شهوة.

- وعن ابن عمر: من تضييع الأمانة النظر في الحجرات والدور.

- وعن ابن سيرين قال: إني أرى المرأة في المنام فأعرف: أنها لا تحل لي، فأصرف بصري عنها.

- وكان الربيع بن خثيم يغض بصره، فمر به نسوة فأطرق (أي: أمال رأسه إلىٰ صدره) فظن النسوة: أنه أعمىٰ وتعوذن بالله من العمىٰ.

- قال المَرُّوذِيُّ: قلت لأبي عبد الله: رجل تاب، وقال: لو ضرب ظهري بالسياط ما دخلت في معصية غير أنه لا يدع النظر؟ قال: أي توبة هٰذِه!

- وقال ابن الجوزي: أكثر فساد القلب من تخليط العين مادام باب العين موثقًا بالغض فالقلب سليم من آفة فإذا فتح الباب طار طائر وربما لم يعد[١].

- قال ذو النون: النظرات تورث الحسرات.

- وقال بعضهم: من حفظ بصره أورثه الله نورًا في بصيرته.

- قال مجاهد: غض البصر عن محارم الله يورث حب الله[٢].

---

(١) المدهش (ص: ٣٦٣).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ (٦/ ١٨٣)، والفسوي في المعرفة (٢/ ٥٦٩).

- قال بعض السلف: النظر سهم سم إلى القلب، فلهذا أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بغض الأبصار التي هي بواعث إلىٰ ذلك[١].

- وقال بعض العلماء: النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوىٰ فيه أشد وأكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه[٢].

- وقال أحمد بن حنبل: كم نظرة ألقت في قلب صاحبها البلابل.

- وقال أبو حاتم: الأمر بصرف البصر أمر حتم عما لا يحل، وهو مقرون بالزجر عن ضده وهو النظر إلىٰ ما حرم[٣].

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٣٤٥)، مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ٣٩٥).

(٢) التفسير الكبير للرازي ٢٣/ ١٧٨، وفيض القدير للمناوي ٤/ ٦٥.

(٣) صحيح ابن حبان ١٢/ ٣٨٣.

١٧- الإيثار

همّ المتطوع تحصيل النفع للغير حتىٰ لو كان علىٰ حساب النفس فيؤثر غيره علىٰ نفسه في حظوظ الدنيا رغبة فيما عند الله .

تعريف الإيثار:

الإيثار لغة:

مصدر قولهم آثره عليه يؤثره إيثارًا بمعنىٰ فضّله وقدّمه وهو مأخوذ من مادّة (أ ث ر) التي تدلّ علىٰ تقديم الشّيء قال الأصمعيّ: آثرتك إيثارًا أي فضّلتك وضدّه الأثرة من قولهم ٱستأثر بالشّيء ٱنفرد به أو ٱختصّ به نفسه[١].

تعريف الإيثار ٱصطلاحًا:

قال القرطبيّ: الإِيثَارُ: هُوَ تَقْدِيمُ الغَيْرِ عَلَى النَّفْسِ وَحُظُوظِهَا الدنياوية، وَرَغْبَةٌ فِي الحُظُوظِ الدِّينِيَّةِ. وَذَلِكَ يَنْشَأُ عَنْ قُوَّةِ اليَقِينِ، وَتَوْكِيدِ المَحَبَّةِ، والصَّبْرِ عَلَى المَشَقَّةِ. يُقَالُ: آثَرْتُهُ بِكَذَا، أَيْ خَصَصْتُهُ بِهِ وَفَضَّلْتُهُ[٢].

فضائل الإيثار في القرآن:

١- الإيثار سبب للفلاح:

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿والَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ والإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

---

(١) المغرب في ترتيب المعرب (ص: ١٩).

(٢) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٦)، والتعريفات للجرجاني (١/ ٥٩).

قال ابن كثير: يُقَدِّمُونَ المَحَاوِيجَ عَلَىٰ حَاجَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَيَبْدَءُونَ بِالنَّاسِ قَبْلَهُمْ فِي حَالِ ٱحْتِيَاجِهِمْ إِلَىٰ ذَلِكَ[١].

٢- سبب لنيل البر:

قال الله تعالىٰ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

يقول السعدي: يعني: لن تنالوا وتدركوا البر، الذي هو ٱسم جامع للخيرات، وهو الطريق الموصل إلى الجنة، حتىٰ تنفقوا مما تحبون، من أطيب أموالكم وأزكاها. فإن النفقة من الطيب المحبوب للنفوس، من أكبر الأدلة علىٰ سماحة النفس، واتصافها بمكارم الأخلاق، ورحمتها ورقتها، ومن أدل الدلائل علىٰ محبة الله، وتقديم محبته علىٰ محبة الأموال، التي جبلت النفوس علىٰ قوة التعلق بها[٢].

٣- دليل علىٰ صدق الإيمان وتقوىٰ الله تعالىٰ:

قال تبارك وتعالىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فبين الله تبارك وتعالىٰ أن من البر بعد الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والأنبياء. إطعام الطعام لمحتاجيه، وبذله لمريديه، مع حبه واشتهائه والرغبة فيه، وقد جاء به الله تعالىٰ - أي إطعام الطعام - بعد أركان الإيمان مباشرة وفي ذلك دلالة علىٰ عظمته وعلو منزلته[٣].

---

(١) سنن أبي داود (١٦٧٨)، وحسنه الألباني.

(٢) تفسير السعدي ص(٩٧٠). (٣) جامع البيان (٣/ ٣٤٠).

٤- من صفات الأبرار الذين ينعمون في الجنان:

قال تعالىٰ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: ٦ - ٩].

قال السعدي: أي: وهم في حال يحبون فيها المال والطعام، لكنهم قدموا محبة الله علىٰ محبة نفوسهم، ويتحرون في إطعامهم أولى الناس وأحوجهم ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

ويقصدون بإنفاقهم وإطعامهم وجه الله تعالىٰ، ويقولون بلسان الحال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ أي: لا جزاء ماليًّا ولا ثناء قوليًّا[١].

فضائل الإيثار في السنة:

١- الله يعجب من أهل الإيثار لحسن صنيعهم:

عَنْ أَبِي هُرَيرة ﷺ قَالَ: أَتَىٰ رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصَابَنِي الجهدُ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُ هٰذا اللَّيْلَةَ، رَحِمَهُ اللهُ؟ ". فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ. فَذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيفُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا تَدّخريه شَيْئًا. فَقَالَتْ: والله مَا عِنْدِي إِلَّا قوتُ الصِّبْيَةِ. قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصبيةُ العَشَاء فَنَوِّمِيهِمْ وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ ونَطوي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ. ففعلَت، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: "لَقَدْ عَجِبَ اللهُ، ﷻ -أَوْ: ضَحِكَ- مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ". وَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٢].

٢- أهل الإيثار متعاونون في الشدة يحبهم النبي ﷺ.

عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا

(١) تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٨٩).

أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ واحِدٍ، ثُمَّ ٱقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ واحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ[١].

قال القرطبي: هٰذا الحديث يدل علىٰ أن الغالب على الأشعريين الإيثار، والمواساة عند الحاجة، كما دلَّ الحديث المتقدِّم علىٰ أن الغالب عليهم القراءة والعبادة، فثبت لهم بشهادة رسول الله ـ ﷺ ـ: أنَّهم علماء عاملون، كرماء مؤثرون[٢].

٣- الإيثار والمواساة من أسباب نزول البركة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: طَعَامُ الاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ[٣]. وفي لفظ لمسلم: طَعَامُ الواحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ[٤].

قال المهلب: والمراد بهٰذِه الأحاديث الحض على المكارمة في الأكل والمواساة والإيثار على النفس الذي مدح الله به أصحاب نبيه، فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، ولا يراد بها معنى التساوي في الأكل والتشاح؛ لأن قوله عليه السلام: (كافي الثلاثة) دليل على الأثرة التي كانوا يمتدحون بها والتقنع بالكفاية، وقد هم عمر بن الخطاب في سنة مجاعة أن يجعل مع كل أهل بيت مثلهم وقال: (لن يهلك أحد عن نصف قوته)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٨٦).

(٢) المفهم لما أشكل من صحيح مسلم (٦/ ٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٩٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٥٩).

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٤٧١).

نماذج وصور من الإيثار:

١- قَالَ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ ﷺ، قَالَ: جَاءَتِ ٱمْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا البُرْدَةُ؟ فَقِيلَ لَهُ: نَعَمْ، هِيَ الشَّمْلَةُ مَنْسُوجٌ فِي حَاشِيَتِهَا، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي نَسَجْتُ هٰذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ، ٱكْسُنِيهَا. فَقَالَ: "**نَعَمْ**". فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي المَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ، فَطَواهَا ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ القَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ، لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لاَ يَرُدُّ سَائِلًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: والله مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ[(١)].

٢- عن جابرِ بن عبد الله ﷺ، قَالَ: إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هٰذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ: أَنَا نَازِلٌ. ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَواقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ٱئْذَنْ لِي إِلَى البَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحَتِ العَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّىٰ جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ والعَجِينُ قَد ٱنْكَسَرَ، والبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلاَنِ، قَالَ: "**كَمْ هُوَ فَذَكَرْتُ لَهُ**"، قَالَ: "**كَثِيرٌ طَيِّبٌ**، قَالَ: "**قُلْ لَهَا: لاَ تَنْزِعِ البُرْمَةَ، وَلاَ الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّىٰ آتِيَ**"، فَقَالَ: قُومُوا " فَقَامَ المُهَاجِرُونَ، والأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى ٱمْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: "**ادْخُلُوا وَلاَ تَضَاغَطُوا فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ والتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَىٰ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٩٣).

أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَغْرِفُ حَتَّىٰ شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: كُلِي هٰذا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ"[١].

٣- وفي إيثار الأنصار يقول أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ المُهَاجِرُونَ المَدِينَةَ مِنْ مَكَّةَ، وَلَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ - يَعْنِي شَيْئًا - وَكَانَتِ الأَنْصَارُ أَهْلَ الأَرْضِ والعَقَارِ، فَقَاسَمَهُمُ الأَنْصَارُ عَلَىٰ أَنْ يُعْطُوهُمْ ثِمَارَ أَمْوالِهِمْ كُلَّ عَامٍ، وَيَكْفُوهُمُ العَمَلَ والمَئُونَةَ[٢].

٤- قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ: لَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ آخَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ، تَزَوَّجْتَهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لاَ حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: سُوقُ قَيْنُقَاعٍ، قَالَ: فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَأَتَىٰ بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ الغُدُوَّ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "تَزَوَّجْتَ؟"، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "وَمَنْ؟"، قَالَ: ٱمْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: "كَمْ سُقْتَ؟"، قَالَ: "زِنَةَ نَواةٍ مِنْ ذَهَبٍ - أَوْ نَواةً مِنْ ذَهَبٍ -، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ"[٣].

٥ - عن أبي جَهْم بْنِ حُذَيْفَةَ العَدَوِيِّ قَالَ: ٱنْطَلَقْتُ يَوْمَ اليَرْمُوكِ أَطْلُبُ ابن عَمِّي، وَمَعِي شَنَّةٌ مِنْ مَاءٍ، وَإِنَاءٌ، فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ بِهِ رَمَقٌ سَقَيْتُهُ مِنَ المَاءِ، وَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهَهُ، فَإِذَا أَنَا بِهِ يَنْشَغُ فَقُلْتُ لَهُ: أَسْقِيكَ؟ فَأَشَارَ أَنْ نَعَمْ، فَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ: آهِ، فَأَشَارَ ابن عَمِّي أَنِ ٱنْطَلِقْ بِهِ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ العَاصِ أَخُو عَمْرِو بْنِ العَاصِ، فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: أَسْقِيكَ؟ فَسَمِعَ آخَرَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٤٨).

يَقُولُ: آهِ، فَأَشَارَ هِشَامٌ أَنِ نْطَلِقْ بِهِ إِلَيْهِ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَىٰ هِشَامٍ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ، ثُمَّ أَتَيْتُ ابن عَمِّي، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ"[١].

٦- عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الأَوْدِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ، قَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ ابن عُمَرَ، ٱذْهَبْ إِلَىٰ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ ﷺ، فَقُلْ: يَقْرَأُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَلَيْكِ السَّلاَمَ، ثُمَّ سَلْهَا، أَنْ أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيَّ، قَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي فَلأُوثِرَنَّهُ اليَوْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ، قَالَ: لَهُ مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: أَذِنَتْ لَكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، قَالَ: "مَا كَانَ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ المَضْجَعِ، فَإِذَا قُبِضْتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمُوا، ثُمَّ قُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي، فَادْفِنُونِي، وَإِلَّا فَرُدُّونِي إِلَىٰ مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ..."[٢].

٧- عن أبي الحسن الأنطاكيّ: أنّه ٱجتمع عنده نيّف وثلاثون رجلاً بقرية من قرى الرّيّ، ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم، فكسروا الرّغفان، وأطفئوا السّراج، وجلسوا للطّعام، فلمّا رفع فإذا الطّعام بحاله لم يأكل منه أحد شيئًا، إيثارًا لصاحبه علىٰ نفسه[٣].

٨- وقال عباس بن دهقان: ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر بن الحرث فإنه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه إياه واستعار ثوبًا فمات فيه[٤].

---

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (٥٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٢).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٨٥).

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ٢٥٨).

١٨- حسن الظن

الأصل أن السائل ما ألجأه إلى السؤال إلا الفقر والحاجة، وليس التكثر والامتهان؛ ومن هنا فالمتطوعون لا يليق بهم: أن يعاملو الناس بسوء الظن وإنما يحسنوا الظن بالجميع إلا أن يتبين خلافُ ذلك،كذلك فيما بينهم لا يجوز إلقاء التهم لبعض إلا ببينة وذلك حتىٰ يستقيم العمل، فالأصل في تعامل المسلم مع إخوانه خاصة القائمين بعمل الخير تحسين الظن بهم وإبعاد التهمة عنهم.

تعريف حسن الظن:

أولًا: الحسن لغة:

قال ابن فارس: الحاء والسين والنون أصلٌ واحد. فالحُسن ضِدُّ القبح. يقال رجلٌ حسن وامرَأة حسناءُ وحُسّانَةٌ[1].

ثانيًا: الظنُّ لغةً:

قال ابن فارس: الظاء والنون أُصَيْل صحيحٌ يدلُّ علىٰ معنينِ مختلفين: يقين وشكّ.

فأمَّا اليقين فقولُ القائل: ظننت ظنًا، أي أيقنتُ. قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] أرادَ والله أعلم: يوقِنون. والعربُ تقول ذلك وتعرفه. قال شاعرهم:

فقلت لهم ظُنُّوا بأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ سراتُهم في الفارسيِّ المُسَرَّدِ[2]

---

(١) مقاييس اللغة (٢ / ٤٥).

(٢) البيت لدريد بن الصمة. الأصمعيات (٣٢).

أراد: أيقِنُوا. وهو في القرآن كثير.

ومن هٰذا الباب مَظِنَّة الشيء، وهو مَعْلَمه ومكانُه. ويقولون: هو مَظِنَّةٌ لكذا. قال النَّابغة:

فإنَّ مَظِنَّة الجهلِ الشَّبابُ(١)

والأصل الآخر: الشَّك، يقال ظننتُ الشيءَ، إذا لم تتيقّنْه، ومن ذلك الظِّنَّة: التُّهْمَةَ. والظَّنين: المُتّهم(٢).

الظن ٱصطلاحًا:

الظن: هو الٱعتقاد الراجح مع ٱحتمال النقيض ويستعمل في اليقين والشك. وقيل الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان(٣).

وقال ابن العربي: الظّنّ تجويز أمرين في النّفس لأحدهما ترجيح على الآخر(٤).

وعليه، فحسن الظن معناه: ترجيح جانب الخير علىٰ جانب الشّرّ(٥).

ضابط معنى الظّنّ في القرآن الكريم:

عَن مُجَاهِد قَالَ: كل ظن فِي القُرْآن فَهُوَ يَقِين، وهٰذا يشكل بِكَثِير من الآيَات.

وَقَالَ الزَّرْكَشِيّ: للْفرق بَينهمَا ضابطان فِي القُرْآن:

أَحدهمَا: أَنه حَيْثُ وجد الظَّن مَحْمُودًا مثابا عَلَيْهِ فَهُوَ اليَقِين، وَحَيْثُ وجد مذمومًا متوعدًا عَلَيْهِ بِالعَذَابِ فَهُوَ الشَّك.

---

(١) البيت أول بيت في مقطوعة له بالديوان (١٤)، وكذا أنشده في اللسان (ظنن). وصدره: فإن يك عامر قد قال جهلا.

(٢) أنشده في اللسان (ظنن)، والمخصص (١٢/ ٣١٩)، وانظر: مقاييس اللغة (٣/ ٣٦٢).

(٣) التعريفات (١٨٧).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٧١٢).

(٥) نضرة النعيم (٥ / ١٥٩٧).

والثَّانِي: أَن كل ظن يتَّصل بِهِ (أَن) المخففة فَهُوَ شكّ نَحْو: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ﴾، وكل ظن يتَّصل بِهِ (أَن) المُشَدّدَة فَهُوَ يَقِين كَقَوْلِه تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾، والمعْنَىٰ فِي ذَلِك أَن المُشَدّدَة لتأكيد فَدخلت فِي اليَقِين، والمخففة بِخِلَافِهَا فَدخلت فِي الشَّك[١].

أقسام الظّنّ وأحكامه:

وصفوة القول أنّ الظّنّ لا يخرج عن أمور خمسة:

الأوّل: الظّنّ المحرّم، وهو سوء الظّنّ بالله. ويقابله وجوب حسن الظّنّ بالله.

الثّاني: حرمة سوء الظّنّ بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة، والمطلوب حسن الظّنّ بهم.

الثّالث: الظّنّ المباح، وهو الذي يعرض في قلب المسلم في أخيه بسبب ما يوجب الرّيبة، وهٰذا الظّنّ لا يحقّق.

الرّابع: الظّنّ المندوب إليه، وهو حسن الظّنّ بالأخ المسلم وعليه الثّواب.

الخامس: الظّنّ المأمور به، وهو الظّنّ فيما لم ينصّ عليه دليل يوصلنا إلى العلم، وقد تعبّدنا الله بالاقتصار على الغالب الظّنّيّ فيه، كقبول شهادة العدول وتحرّي القبلة وتقويم المستهلكات وأروش الجنايات التي لم يرد نصّ في تقديرها[٢].

الترغيب في حسن الظن من القرآن الكريم والسنة النبوية:

١- قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٨]

---

(١) الكليات لأبي البقاء الكفوي (٥٨٨).

(٢) منهج الدعوة الاسلامية في البناء الاجتماعي (٤١٢).

٢- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النور: ١١، ١٢].

قال السعدي: فهٰذا من الظن الواجب، حين سماع المؤمن عن أخيه المؤمن، مثل هٰذا الكلام، أن يبرئه بلسانه، ويكذب القائل لذلك(١).

٣- قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

قال السعدي: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ أي: يستيقنون ذلك، وهم أهل الإيمان الثابت واليقين الراسخ، مثبتين لباقيهم ومطمئنين لخواطرهم، وآمرين لهم بالصبر(٢).

الترغيب في حسن الظن من السنة:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**يَقُولُ اللهُ عز وجل: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**"(٣).

٢- وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ:

---

(١) تفسير السعدي (ص ٥٦٣). (٢) تفسير السعدي (ص ١٠٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

"لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ بالله الظَّنَّ"[(١)].

قال القاري رحمه الله: وَفِي الحَدِيثِ: حَثٌّ عَلَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ المُقْتَضِيَةِ لِحُسْنِ الظَّنِّ، وَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَىٰ تَأْمِيلِ العَفْوِ، وَتَحْقِيقِ الرَّجَاءِ فِي رَوْحِ اللهِ"[(٢)].

٣- وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، حَدَّثَهُ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَىٰ أَقْدَامِ المُشْرِكِينَ عَلَىٰ رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَىٰ قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: **"يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا"**[(٣)].

قال ابن رجب: هٰذِه معية خاصة غير قوله تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] الآية، فالمعية العامة تقتضي التحذير من علمه وإطلاعه وقدرته وبطشه وانتقامه، والمعية الخاصة تقتضي حسن الظن بإجابته ورضاه وحفظه وصيانته، فكذلك القرب[(٤)].

٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **"إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَنَافَسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوانًا"**[(٥)].

قال ابن الأثير رحمه الله: "أراد الشكَّ يعْرِضُ لك في الشَّيء فتُحَقّقه وتَحْكم به. وقيل: أرادَ إيّاكم وسُوءَ الظنِّ وتحقيقَه دُون مَبادي الظُّنُون التي لا تُمْلَك وخواطِر القُلُوب التي لا تُدْفَع"[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٧).
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ١١٥٩).
(٣) أخرجه البخاري (٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١) واللفظ له.
(٤) فتح الباري لابن رجب (٢/ ٣٣٣).
(٥) أخرجه البخاري (٦٧٢٤)، ومسلم (٢٥٦٣).
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣ / ١٦٣).

وقال المُناويُّ رحمه الله: أي ٱحذروا ٱتباع الظن، واحذروا سوء الظن بمن لا يساء الظن به من العدول، والظن تهمة تقع في القلب بلا دليل[١].

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في (حسن الظّنّ):

أولًا: حسن الظن بالله:

- قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه: والَّذِي لَا إِله غَيْرُهُ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ باللهِ عز وجل والَّذِي لَا إِله غَيْرُهُ لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ باللهِ عز وجل الظَّنَّ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ عز وجل ظَنَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّ الخَيْرَ فِي يَدِهِ[٢].

- عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ نَعُودُهُ فَذَهَبَ بَعْضُ القَوْمِ يُرَجِّيهِ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو رَبِّي وَقَدْ صُمْتُ لَهُ ثَمَانِينَ رَمَضَانَ[٣].

- عن سُهَيْل القُطَعِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي مَنَامِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا يَحْيَىٰ لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا قَدِمْتَ بِهِ عَلَىٰ اللهِ عز وجل؟ قَالَ: قَدِمْتُ بِذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ، مَحَاهَا عَنِّي حُسْنُ الظَّنِّ باللهِ[٤].

ثانيًا: حسن الظن بالناس:

- عن سعيدِ بنِ المسيبِ قالَ: وَضعَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه للناسِ ثمانيةَ عشرَ كلمةً حِكمٌ كلُّها، ومنها: وَضَعْ أمرَ أَخيكَ علىٰ أَحسنِهِ حتىٰ يجيئَكَ ما يغلبُكَ، ولا تظنَّ بكلمةٍ خرجتْ مِن مسلمٍ شرًّا وأنتَ تجدُ لها في الخيرِ مَحملًا[٥].

- وقال ابن المبارك: المؤمن يطلبُ المعاذير، والمنافق يطلب الزلات[٦].

---

(١) فيض القدير (٣ / ١٢٢) بتصرف يسير.
(٢) حسن الظن في الله لابن أبي الدنيا (٩٦).
(٣) حسن الظن في الله لابن أبي الدنيا (١١٣).
(٤) حسن الظن في الله لابن أبي الدنيا (٧).
(٥) المخلِّصيات لمحمد بن عبد الرحمن بن زكريا البغدادي (٤ / ٨٤).
(٦) إحياء علوم الدين (٢ / ١٧٧).

- وعن أبي قلابة قال: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جهدك، فإن لم تجد له عُذرًا فقل في نفسك: لعل لأخي عذرًا لا أعلمه[١].

- عن كثير بن زياد قال: سمعت الحسن يقول: لا تسأل عن عمل أخيك الحسن والسيء فإنه من التجسس[٢].

- وقال أبو معاوية الأسود: إخواني كلهم خير مني، قيل: وكيف ذلك؟قال: كلهم يرىٰ لي الفضل عليه، ومن فضلني علىٰ نفسه فهو خير مني[٣].

- قال أبو حاتم البستي رضىٰ الله عنه: التجسس من شعب النفاق كما أن حسن الظن من شعب الإيمان، والعاقل يحسن الظن بإخوانه، وينفرد بغمومه وأحزانه، كما أن الجاهل يسيء الظن بإخوانه، ولا يفكر في جناياته وأشجانه[٤].

نماذج لحسن الظن بالله تعالى

أولًا: النبي ﷺ:

موقفه ﷺ لما هاجمه أعرابي وهو نائم

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ، فَأَدْرَكَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، قَالَ: وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الوادِي يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ**

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ٢٨٥).

(٢) روضة العقلاء (١/ ١٢٥).

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٦/ ١٨)، حلية الأولياء (٨ / ٢٧٢).

(٤) حلية الأولياء (١ / ١٢٦).

فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلاَّ والسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: اللهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: اللهُ، قَالَ: فَشَامَ السَّيْفَ فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ " ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ "[1].

موقفه ﷺ لما لحق به سراقة في طريق الهجرة:

قَالَ أبو بكرٍ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا مَالَتِ الشَّمْسُ، واتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، فَقُلْتُ: أُتِينَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: "لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ إِلَىٰ بَطْنِهَا - أُرىٰ - فِي جَلَدٍ مِنَ الأَرْضِ، - شَكَّ زُهَيْرٌ - فَقَالَ: إِنِّي أُرَاكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوا لِي، فاللهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَنَجَا، فَجَعَلَ لاَ يَلْقَىٰ أَحَدًا إِلاَّ قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، فَلاَ يَلْقَىٰ أَحَدًا إِلاَّ رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَىٰ لَنَا"[2].

نماذج لحسن الظن بالناس:

* قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: "يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَواللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلاَّ خَيْرًا؟ وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلاَّ مَعِي"[3].

* عن عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ الأَنْصارِيَّ رضي الله عنه قال: فَقَالَ رَجُلٌ مِن الحاضرين: مَا فَعَلَ مَالِكٌ؟ لاَ أَرَاهُ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: ذَاكَ مُنَافِقٌ لاَ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لاَ تَقُلْ ذَاكَ أَلاَ تَرَاهُ قَالَ: لاَ إِله إِلاَّ اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ"[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٥).
(٣) أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).
(٤) أخرجه البخاري (١١٨٦).

*قال الربيع: دخلت على الشافعيِّ وهو مريضٌ، فقلت: قوىٰ الله ضعفك. فقال: لو قوىٰ ضعفىٰ قتلنىٰ. قلت: والله ما أردت إلا الخير. قال: أعلم أنك لو شتمتنىٰ لم ترد إلا الخير. وفىٰ رواية قل: قوىٰ الله قوتك، وضعَّف ضعفك(١).

* وحكي عن بنت عبد الله بن مطيع أنها قالت لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، وكان أجود قريش في زمانه: ما رأيت قوما ألأم من إخوانك، قال مه ولم ذلك؟ قالت: أراهم إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك.

قال: هٰذا والله من كرمهم، يأتوننا في حال القوة بنا عليهم، ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم(٢).

* عن حميد، قال: كان لي ابن أخت مرهق، فمرض، فأرسلت إلي أمه، فأتيتها فإذا هي عند رأسه تبكي، فقال: يا خالي، ما يبكيها؟ قلت: ما تعلم منك، قال: أليس إنما ترحمني؟ قلت: بلىٰ، قال: فإن الله ﷻ أرحم بي منها، فلما مات أنزلته القبر مع غيري، فذهبت أسوي لبنة فاطلعت في اللحد؛ فإذا هو مد البصر، فقلت لصاحبي: هل رأيت ما رأيت؟ قال: نعم فليهنك ذلك، فظننت أنه بالكلمة التي قالها "(٣).

وأخيرًا ما أهمية حسن الظن في العمل التطوعي؟

والجواب: إن العامل في المجال التطوعي لا شك أن مقام الحسبة عنده هو أعلى المقامات، فعلىٰ هٰذا لا بد أن يكون عنده حسن ظنٍ عالٍ بالله

---

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٢ / ١٣٥).

(٢) أدب الدنيا والدين (١٨٠)، وانظر: الخبر في روضة العقلاء لأبي حاتم البستي (١ / ١٢٨).

(٣) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا (٤٥).

تعالىٰ، حيث هو الذي يوفقه في عمله، وييسر له أمره، ويرجو ثوابه علىٰ طاعته، وأن الله تعالىٰ لا يضيع أجره.

وكذلك يكون عنده حسن ظنٍ في زملائه ومرافقيه في عمله، فلا يغلب جانب سوء الظن والتهمة معهم، كذلك أن يكون حسن الظن في بقية الناس ممن يخدمهم ويساعدهم، وأن يعيش بصدر سليم بعيد عن الأحقاد والأضغان وغيرها من أمراض القلوب ولا يظنن بكل سائل شرًا فبعض المتطوعين يغلظون على السائلين وأبناء السبيل لاعتقاده سوء الظن بمن يسأل وهٰذا بلا شك عمل قبيح، فالله تعالىٰ أمرنا باستقبال السائلين ببشر الوجه قال تعالىٰ: ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

١٩- الحكمة

الحكمة لغة:

قال ابن فارس: الحاء والكاف والميم أصلٌ واحد، وهو المنْع. وأوّل ذلك الحُكْم، وهو المَنْع من الظُّلْم[(١)].

الحكمة ٱصطلاحًا:

وقال الراغب: والحِكْمَةُ: إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالىٰ: معرفة الأشياء وإيجادها علىٰ غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات[(٢)].

واصطلاحا: هي العلوم النافعة، والمعارف الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال[(٣)].

من معاني كلمة الحكمة في القرآن الكريم:

وذكر أهل التّفسير أنّ الحكمة في القرآن علىٰ ستّة أوجه:

أحدها: الموعظة: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾ [القمر: ٥].

الثّاني: السّنّة: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٥١].

الثّالث: الفهم: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

الرّابع: النّبوّة: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]

---

(١) ديوانه (٥٠)، واللسان (حكم).

(٢) المفردات في غريب القرآن (٢٤٩).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٥٧)، و ٱنظر: شرح النووي علىٰ مسلم (٢/ ٣٣).

الخامس: القرآن: أمره ونهيه: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النّحل: ١٢٥].

السّادس: علوم القرآن: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩][1].

الحكيم من أسماء الله تعالىٰ:

قال البيهقي: " قَالَ الحَلِيمِيُّ فِي مَعْنَى الحَكِيم: الذِي لا يَقُولُ وَلا يَفْعَلُ إِلاَّ الصَّوابُ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوصَفَ بِذَلِكَ لأَنَّ أَفْعَالَهُ سَدِيدَةٌ، وَصُنْعَهُ مُتْقَنٌ، وَلا يَظْهَرُ الفِعْلُ المُتْقَنُ السَّدِيدُ إِلاَّ مِنْ حَكِيمٍ، كَمَا لا يَظْهَرُ الفِعْلُ عَلَىٰ وَجْهِ الأَخْتِيَارِ إِلاَّ مِنْ حَيٍّ عَالِمٍ قَدِيرٍ"[2].

الترغيب في الحكمة من القرآن والسنة النبوية:

الترغيب في الحكمة من القرآن الكريم:

أولًا: الحكمة من صفة المولىٰ ﷻ (مرادًا بها إيجاد الأشياء علىٰ غاية الإحكام والدقة):

قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة ٣١، ٣٢].

ثانيا: الحكمة من صفة القرآن الكريم:

قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٧- ٥٨].

---

(١) نضرة النعيم (٥/ ١٦٧٩).

(٢) الأسماء والصفات (١/ ٦٧).

ثالثًا: والحكمة فضل من الله يتفضل بها علىٰ عباده:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

قال السعدي رحمه الله: لما أمر تعالىٰ بهٰذِه الأوامر العظيمة المشتملة على الأسرار والحكم وكان ذلك لا يحصل لكل أحد، بل لمن منَّ عليه وآتاه الله الحكمة، وهي العلم النافع والعمل الصالح ومعرفة أسرار الشرائع وحكمها، وإن من آتاه الله الحكمة فقد آتاه خيرًا كثيرًا وأي خير أعظم من خير فيه سعادة الدارين والنجاة من شقاوتهما! وفيه التخصيص بهٰذا الفضل وكونه من ورثة الأنبياء، فكمال العبد متوقف على الحكمة، إذ كماله بتكميل قوتيه العلمية والعملية فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق ومعرفة المقصود به، وتكميل قوته العملية بالعمل بالخير وترك الشر، وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره، وبدون ذلك لا يمكنه ذلك[١].

الترغيب في الحكمة من السنة النبوية:

١- عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ مِن الشِّعْرِ حِكْمَةً**"[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قوله: "إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً" أَيْ: قَوْلًا صَادِقًا مُطَابِقًا لِلْحَقِّ. وَقِيلَ: أَصْلُ الحِكْمَةِ المَنْعُ فَالمَعْنَىٰ: إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ كَلَامًا نَافِعًا يَمْنَعُ مِنَ السَّفَهِ[٣].

٢- وعَن ابن عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ صَدْرِهِ، وَقَالَ: "**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ**"[٤].

---

(١) تفسير السعدي (١١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٤٥).

(٣) فتح الباري (١٠ / ٥٤٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٥٦).

قال ابن حجر رحمه الله: واخْتَلَفَ الشُّرَّاحُ فِي المُرَادِ بِالحِكْمَةِ هُنَا، فَقِيلَ: القُرْآنُ كَمَا تَقَدَّمَ. وَقِيلَ: العَمَلُ بِهِ. وَقِيلَ: السُّنَّةُ. وَقِيلَ: الإِصَابَةُ فِي القَوْلِ. وَقِيلَ: الخَشْيَةُ. وَقِيلَ: الفَهْمُ عَنِ اللهِ. وَقِيلَ: العَقْلُ. وَقِيلَ: مَا يَشْهَدُ العَقْلُ بِصِحَّتِهِ. وَقِيلَ: نُورٌ يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الإِلْهَامِ والوَسْوَاسِ. وَقِيلَ: سُرْعَةُ الجَوابِ مَعَ الإِصَابَةِ. وَبَعْضُ هٰذِه الأَقْوالِ ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ والأقرب أن المُرَاد بهَا فِي حَدِيث ابن عَبَّاسٍ الفَهْمُ فِي القُرْآنِ[1].

٣- وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا** "[2].

قال ابن حجر رحمه الله: " وَأَمَّا الحَسَدُ المَذْكُورُ فِي الحَدِيثِ فَهُوَ الغِبْطَةُ وَأَطْلَقَ الحَسَدَ عَلَيْهَا مَجَازًا وَهِيَ أَنْ يَتَمَنَّىٰ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ مَا لِغَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزُولَ عَنْهُ والحِرْصُ عَلَىٰ هٰذا يُسَمَّىٰ مُنَافَسَةً فَإِنْ كَانَ فِي الطَّاعَةِ فَهُوَ مَحْمُود وَمِنْه فَلْيَتَنَافَس المُتَنَافِسُونَ وَإِنْ كَانَ فِي المَعْصِيَةِ فَهُوَ مَذْمُومٌ وَمِنْهُ وَلَا تَنَافَسُوا وَإِنْ كَانَ فِي الجَائِزَاتِ فَهُوَ مُبَاحٌ فَكَأَنَّهُ قَالَ فِي الحَدِيثِ لَا غِبْطَةَ أَعْظَمُ أَوْ أَفْضَلُ مِنَ الغِبْطَةِ فِي هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ "[3].

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في (الحكمة):

* قال ابن مسعود ﷺ: ينبغي لحامل القرآن، أن يكون باكيًا محزونًا حكيمًا حليمًا سكينًا[4].

* وقال أيضًا: نعم المجلس مجلس ينشر فيه الحكمة، وترجىٰ فيه الرّحمة[5].

---

(١) فتح الباري (١/ ١٧٠).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٠٩)، ومسلم (٨١٦).
(٣) فتح الباري (١/ ١٦٧).
(٤) الفوائد (٢٠١).
(٥) أخرجه الدارمي (٢٨٧).

* عن شَرَحْبِيلِ بْنِ شَرِيكٍ، أَنَّهُ: سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحُبُلِيَّ يَقُولُ: لَيْسَ هَدِيَّةٌ أَفْضَلَ مِنْ كَلِمَةِ حِكْمَةٍ تُهْدِيهَا لِأَخِيكَ(١).

* عن وهب بن منبّه قال: أجمعت الأطبّاء علىٰ أنّ رأس الطّبّ الحمية، وأجمعت الحكماء أنّ رأس الحكمة الصّمت(٢).

* عَنِ السَّكَنِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ، يَقُولُ: " يَا بُنَيَّ عَلَيْكَ بِالحِكْمَةِ، فَإِنَّ الخَيْرَ فِي الحِكْمَةِ كُلَّهُ: وَتُشَرِّفُ الصَّغِيرَ عَلَى الكَبِيرِ، والعَبْدَ عَلَى الحُرِّ، وَتَزِيدُ السَّيِّدَ سُؤْدُدًا، وَتُجْلِسُ الفَقِيرَ مَجَالِسَ المُلُوكِ "(٣).

* عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: لَا تُحَدِّثِ البَاطِلَ الحُكَمَاءَ فَيَمْقُتُوكَ، وَلَا تُحَدِّثِ الحِكْمَةَ لِلسُّفَهَاءِ، فَيُكَذِّبُوكَ "(٤).

* عن عمر بن عبد العزيز، قال: إذا رأيتم الرّجل يطيل الصّمت ويهرب من النّاس، فاقتربوا منه فإنّه يلقي الحكمة(٥).

* عَنْ أَبِي العَالِيَةِ، فِي قَوْلِهِ: يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ قَالَ: الحِكْمَةُ: الخَشْيَةُ، فَإِنَّ خَشْيَةَ اللهِ رَأْسُ كُلِّ حِكْمَةٍ(٦).

* وعن عروة بن الزّبير قال: كان يقال: الرّفق رأس الحكمة(٧).

نماذج للحكمة من حياة النبي ﷺ:

١- عن سُلَيْمَانَ بْن صُرَدٍ - رَجُل مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: ٱسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى ٱنْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ،

---

(١) أخرجه الدارمي (٣٦٣).

(٢) حسن السمت في الصمت للسيوطي (٢٤).

(٣) أخرجه الدارمي (٤٠٣). (٤) أخرجه الدارمي (٣٩٠).

(٥) حسن السمت في الصمت (٣٢).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٢٨٢٤).

(٧) الدر المنثور للسيوطي (٢ / ٦٧).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الذِي يَجِدُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: تَعَوَّذْ باللهِ مِن الشَّيْطَانِ"[1].

٢- حكمته العظيمة في اختياره للّبن في رحلة الإسراء والمعراج:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَىٰ** عليه السلام فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا رَجُلٌ - حَسِبْتُهُ قَالَ - مُضْطَرِبٌ، رَجِلُ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، قَالَ: وَلَقِيتُ عِيسَىٰ - فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ - فَإِذَا رَبْعَةٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ - يَعْنِي حَمَّامًا - قَالَ: وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ، قَالَ: " فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ، وَفِي الآخَرِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَشَرِبْتُهُ، فَقَالَ: هُدِيتَ الفِطْرَةَ - أَوْ أَصَبْتَ الفِطْرَةَ - أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ "[2].

٣- حكمته العظيمة في جوابه لملك الجبال أثناء عودته من الطائف حزينًا:

- عنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: **"لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابن عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عز وجل قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ "، قَالَ: "فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٧)، ومسلم (١٦٨).

الجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيكَ لِتَأمُرَنِي بِأمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أنْ أطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ"، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"[1].

٤- وتتجلىٰ حكمته العظيمة ﷺ بعد هجرته إلى المدينة:

- عندما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة كان فيها مجموعات من السكان متباينة في عقيدتها، مختلفة في أهدافها، متفرقة في ٱجتماعاتها، وكانت لديهم خلافات بعضها قديم موروث، وبعضها حديث موجود، وقد كانت هٰذِه المجموعات علىٰ ثلاثة أصناف:

١- المسلمون، من: الأوس، والخزرج، والمهاجرين.

٢- المشركون، من: الأوس، والخزرج الذين لم يدخلوا في الإسلام.

٣ - اليهود، وهم عدة قبائل: بنو قينقاع، وقد كانوا حلفاء الخزرج، وبنو النضير، وبنو قُريظة، وهاتان القبيلتان كانتا حلفاء الأوس.

وقد كان هناك خلاف مستحكم بين الأوس والخزرج، وكانت بينهما حروب في الجاهلية، وآخرها يوم بُعَاثٍ ولا يزال في النفوس شيء منها.

لقد قام النبي ﷺ بحل هٰذِه المشكلات كلها، بحكمته العظيمة، وحسن سياسته، وكان حله وإصلاحه لهٰذِه الأوضاع، وجمعه لشمل المسلمين كالتالي:

- بناء المسجد والاجتماع فيه أول عمل وحد بين القلوب.
- دعوة اليهود إلى الإسلام بالقول الحكيم.
- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار[2].

٥- وتتجلىٰ حكمته مع الشاب الذي جاءه يستأذنه في الزنا:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٢) مفهوم الحكمة في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، سعيد بن وهف القحطاني (١/ ١٦٢).

- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﵁ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ٱئْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: "**ادْنُهْ**"، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: "**أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟**" قَالَ: لَا. والله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ**". قَالَ: "**أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟**" قَالَ: لَا. والله يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: "**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**". قَالَ: "**أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟**" قَالَ: لَا. والله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ**". قَالَ: "**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**" قَالَ: لَا. والله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**". قَالَ: "**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**" قَالَ: لَا. والله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ**". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: "**اللهُمَّ ٱغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**" قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَىٰ يَلْتَفِتُ إِلَىٰ شَيْءٍ[1].

نماذج للحكمة من الصحابة:

(١) موقف أبي بكر عقب وفاة النبي ﷺ:

أُصيب المسلمون يوم وفاة الرسول ﷺ بمصيبة عظيمة، وهزّة عنيفة أفقدت الكثير منهم صوابهم، لكن أبا بكر كان حكيما في معالجة الموقف

عن عَائِشَةَ ﵂ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ عَلَىٰ فَرَسِهِ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّىٰ نَزَلَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ عَائِشَةَ ﵂، فَتَيَمَّمَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُسَجًّى بِبُرْدِ حِبَرَةٍ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ ثُمَّ بَكَىٰ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللهِ، لَا يَجْمَعُ اللهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ؛ أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا. قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: فَأَخْبَرَنِي ابن عَبَّاسٍ ﵄ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ﵁ خَرَجَ وَعُمَرُ ﵁ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ: ٱجْلِسْ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢١١)، وقال الألباني في الصحيحة (١/ ٣٦٩): هذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح.

فَأَبَىٰ، فَقَالَ: ٱجْلِسْ، فَأَبَىٰ فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ إِلَى الشَّاكِرِينَ.

واللهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ حَتَّىٰ تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ فَمَا يُسْمَعُ بَشَرٌ إِلَّا يَتْلُوهَا[1].

(٢) وموقفه رضي الله عنه في إنفاذ جيش أسامة بن زيد $ذ:

ظهرت حكمة الصديق رضي الله عنه أثناء تنفيذ جيش أسامة زيد رضي الله عنهما من عدة وجوه:

(أ) تنفيذه بعث أسامة رضي الله عنه على الرغم من شدة الأحوال ومعارضة بعض الصحابة، وذلك ٱمتثالًا لأمر النبي ﷺ.

(ب) ثم إن بعض الناس أشار علىٰ أبي بكر أن يولي أمر الجيش رجلًا أقدم سنًّا من أسامة؛ فغضب رضي الله عنه لذلك؛ لأن الرسول ﷺ هوَ الذي أَمَّرَ أسامة علىٰ هٰذا الجيش، فلا يريد رضي الله عنه أن يغير شيئًا فعله رسول الله ﷺ.

(ج) وخرج أبو بكر رضي الله عنه يشيع الجيش ويودع أسامة وجيشه، وأبو بكر يسير علىٰ قدميه، وأسامة راكبًا، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله، إما أن تركب، وإما أن أنزل، فقال أبو بكر: والله لست براكب ولست بنازل، وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله.

(د) واستأذن أبو بكر رضي الله عنه من أسامة لعمر بن الخطاب وقد كان عمر من ضمن الجنود في جيش أسامة، فَأَذِنَ أسامة لعمر بن الخطاب رضي الله عن الجميع وأرضاهم.

فكان خروج أسامة إلى الروم بأرض الشام في ذلك الوقت من أكبر

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٢).

المصالح، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم وأخذهم الخوف والفزع، وقالوا: ما خرج هؤلاء القوم إلا وبهم شديدة، وسنتركهم حتىٰ يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم وبقوا أربعين يومًا - وقيل سبعين يومًا - ثم أتوا سالمين غانمين، وعندما رجعوا جهزهم أبو بكر مع الجيش لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة[١].

(٣) موقف عمر رضي الله عنه في تثبيته الناس علىٰ بيعة أبىٰ بكر رضي الله عنه:

عقب وفاة النبي ﷺ ٱجْتَمَعَت الأَنْصَارُ إِلَىٰ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالُوا: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَأَسْكَتَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: واللهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلَامًا قَدْ أَعْجَبَنِي، خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ: نَحْنُ الأُمَرَاءُ وَأَنْتُم الوُزَرَاءُ. فَقَالَ حُبَابُ بْنُ المُنْذِرِ: لَا واللهِ لَا نَفْعَلُ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا وَلَكِنَّا الأُمَرَاءُ وَأَنْتُم الوُزَرَاءُ، هُمْ أَوْسَطُ العَرَبِ دَارًا، وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا، فَبَايِعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ[٢].

(٤) موقف عثمان بن عفان العظيم في جمع الأمة علىٰ قراءة واحدة، وحسم الاختلاف:

كان من أعظم مواقف الحكمة التي وقفها عثمان جمع شمل أمة محمد ﷺ علىٰ قراءة واحدة، فقد كان من مناقبه الكبار، وحسناته العظيمة، أنه

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٢٤٦، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٢٢٦، الحكمة في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ (١ / ٢١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٧).

جمع الناس علىٰ ما آستقر في العرضة الآخيرة من الأحرف السبعة، وكتب المصحف علىٰ هٰذِه العرضة الأخيرة التي دارسها جبريل علىٰ رسول الله ﷺ في آخر سني حياته، وكان سبب ذلك: أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ قَدِمَ عَلَىٰ عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ ٱخْتِلَافُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هٰذِه الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ ٱخْتِلَافَ اليَهُودِ والنَّصَارىٰ، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَىٰ حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَىٰ عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللهِ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا ٱخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِن القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّىٰ إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَىٰ حَفْصَةَ وَأَرْسَلَ إِلَىٰ كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِواهُ مِن القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ[١].

(٥) موقف الحسن بن علي رضي الله عنهما في تنازله عن الخلافة لمعاوية وجمع شمل الأمة:

عن أَبي بَكْرَةَ رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ، والحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَىٰ جَنْبِهِ وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخْرىٰ وَيَقُولُ: «**إِنَّ ابني هٰذا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِن المُسْلِمِينَ**»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

٢٠- الحياء

لا بد للمتطوع التحلي بالحياء مع الله أولا ثم مع الناس ثانيًا، فالتصلب في الأمور وعدم الأنبساط للناس يفسد على المتطوع عمله،وقد يتعرض للدخول بين المسلمين في صلح أو الولوج عليهم في ديارهم للعون فإن لم يكن حييًا، كره الناس معونته لهم وذموا عمله.

التعريف:

الحياء لغةً:

قال ابن فارس: الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خِلاف المَوْت، والآخر الٱستحياء الذي هو ضِدُّ الوقاحة....، أما الأصل الآخَر: قولهم ٱستحييت منه ٱستِحياءً. وقال أبو زيد: حَيِيتُ مِنه أَحيا، إذا ٱستحيَيْتَ[١].

وقال ابن حجر: الحياء فِي اللُّغَةِ: تَغَيُّرٌ وانْكِسَارٌ يَعْتَرِي الإِنْسَانَ مِنْ خَوْفِ مَا يُعَابُ بِهِ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَىٰ مُجَرَّدِ تَرْكِ الشَّيْءِ بِسَبَبٍ والتَّرْكُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ لَوازِمِهِ[٢].

الحياء ٱصطلاحًا:

قال الجرجاني: الحياء: ٱنقباض النفس من شيء وتركه حذرًا عن اللوم فيه، وهو نوعان: نفساني؛ وهو الذي خلقه الله تعالىٰ في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة، والجماع بين الناس، وإيماني؛ وهو أن يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفًا من الله تعالىٰ[٣].

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/ ١٢٢).
(٢) فتح الباري (١ / ٥٢). (٣) التعريفات (٩٤).

وقال ابن حجر: الحياءُ في الشَّرْعِ: خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى اجْتِنَابِ القَبِيحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الحَقِّ[١].

نقيض الحياء:

قال القرطبي: ونقيضه الصَّلَبُ: وهو التَّصَلُّب في الأمور، وعدم المبالاة بما يستقبح ويعاب عليه منها[٢].

الترغيب والحث على الحياء من القرآن والسنة:

الترغيب والحث على الحياء من القرآن الكريم:

١- قال تعالىٰ: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص: ٢٥].

قال مجاهد: يَعْنِي: واضِعَةً ثَوْبَهَا عَلَىٰ وَجْهِهَا لَيْسَتْ بِخَرَّاجَةٍ وَلَا وَلَّاجَةٍ[٣].

وقال السعدي: وهٰذا يدل علىٰ كرم عنصرها، وخلقها الحسن، فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، وخصوصًا في النساء.

ويدل علىٰ أن موسىٰ ﷺ، لم يكن فيما فعله من السقي بمنزلة الأجير والخادم الذي لا يستحىٰ منه عادة، وإنما هو عزيز النفس، رأت من حسن خلقه ومكارم أخلاقه، ما أوجب لها الحياء منه[٤].

٢- وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

---

(١) فتح الباري (١/ ٥٢).
(٢) المفهم (٦/ ١١٤).
(٣) تفسير مجاهد (٥٢٩).
(٤) تفسير السعدي (٦١٤).

قال ابن كثير: وَقِيلَ: المُرَادُ أَنَّ دُخُولَكُمْ مَنْزِلَهُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ كَانَ يَشُقُّ عَلَيْهِ وَيَتَأَذَىٰ بِهِ، لكن كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَنْهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ حَيَائِهِ، ﷺ، حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ النَّهْيَ عَنْ ذَلِكَ[١].

الترغيب والحث على الحياء من السنة النبوية:

١- عن أَبي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ"**[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: وقوله "من كلام النبوة": أي مما ٱتفق عليه الأنبياء أي إنه مما ندب إليه الأنبياء ولم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم لأنه أمر أطبقت عليه العقول.

وقوله: "فاصنع ما شئت": هو أمر بمعنى الخبر، أو هو للتهديد أي: ٱصنع ما شئت فإن الله يجزيك. أو معناه: ٱنظر إلىٰ ما تريد أن تفعله فإن كان مما لا يستحي منه فافعله وإن كان مما يستحي منه فدعه. أو المعنىٰ: أنك إذا لم تستح من الله من شيء يجب أن لا تستحي منه من أمر الدين فافعله ولا تبال بالخلق. أو المراد: الحث على الحياء والتنويه بفضله أي لما لم يجز صنع جميع ما شئت لم يجز ترك الٱستحياء[٣].

وقال ابن دقيق العيد: معنىٰ قوله: "من كلام النبوة الأولىٰ": إن الحياء لم يزل ممدوحًا مستحسنًا مأمورًا به لم ينسخ في شرائع الأنبياء الأولين[٤].

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، والحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ[٥].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦ / ٤٠٢).
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨٣).
(٣) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٢٣).
(٤) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (٧٨).
(٥) أخرجه مسلم (٣٥).

قال ابن بطال: الحياء شعبة من الإيمان، يريد - والله أعلم - أن الحياء يبعث علىٰ طاعة الله، ويمنع من ٱرتكاب المعاصىٰ، كما يمنع الإيمان، وإن كان الحياء غريزة فالإيمان فعل المؤمن، فاشتبها من هٰذِه الجهة[١].

وقال القاضي عياض وغيره من الشراح: إنما جعل الحياء من الأيمان وإن كان غريزة؛ لأنه قد يكون تخلقًا واكتسابًا كسائر أعمال البر، وقد يكون غريزة ولٰكن ٱستعماله علىٰ قانون الشرع يحتاج إلى ٱكتساب ونية وعلم فهو من الإيمان بهٰذا ولكونه باعثًا علىٰ أفعال البر ومانعًا من المعاصي[٢].

وقال السعدي رحمه الله: ولعل ذكر الحياء في هٰذا الحديث؛ لأنه السبب الأقوىٰ للقيام بجميع شعب الإيمان. فإن من ٱستحيا من الله لتواتر نعمه، وسوابغ كرمه، وتجليه عليه بأسمائه الحسنىٰ، والعبد - مع هٰذا كثير التقصير مع هٰذا الرب الجليل الكبير يظلم نفسه ويجني عليها- أوجب له هٰذا الحياء التوقِّي من الجرائم، والقيام بالواجبات والمستحبات[٣].

٣- وعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ**"[٤].

قال ابن بطال: "معناه أن من ٱستحيا من الناس أن يروه يأتى الفجور ويرتكب المحارم، فذلك داعية له إلىٰ أن يكون أشد حياء من ربه وخالقه، ومن ٱستحيا من ربه فإن حياءه زاجر له عن تضييع فرائضه وركوب معاصيه؛ لأن كل ذىٰ فطرة صحيحة يعلم: أن الله تعالى النافع له والضار والرزاق والمحىٰ والمميت، فإذا علم ذلك فينبغىٰ له أن يستحىٰ منه عز وجل".

---

(١) شرح صحيح البخاري (١/ ٦١).

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (٢/ ٥).

(٣) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار (١٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧).

٤- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ رَجُلٍ وَهُوَ يُعَاتِبُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ يَقُولُ: إِنَّكَ لَتَسْتَحْيِي حَتَّىٰ كَأَنَّهُ يَقُولُ: قَدْ أَضَرَّ بِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِن الإِيمَانِ"**[١].

قال ابن عبد البر رحمه الله: ومعنىٰ هٰذا الحديث والله أعلم أن الحياء يمنع من كثير من الفحش والفواحش ويشتمل علىٰ كثير من أعمال البر وبهذا صار جزءا وشعبة من الإيمان؛ لأنه وإن كان غريزة مركبة في المرء؛ فإن المستحي يندفع بالحياء عن كثير من المعاصي كما يندفع بالإيمان عنها إذا عصمه الله فكأنه شعبة منه؛ لأنه يعمل عمله فلما صار الحياء والإيمان يعملان عملا واحدا جعلا كالشيء الواحد وإن كان الإيمان اكتسابا والحياء غريزة والإيمان شعب كثيرة[٢].

٥- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ: **"اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ عز وجل حَقَّ الحَيَاءِ"**، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نَسْتَحِي، والحَمْدُ للهِ، قَالَ: **"لَيسَ ذَلِكَ، ولٰكن مَنِ اسْتَحْيَىٰ مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ، فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا حَوىٰ، وَلْيَحْفَظِ البَطْنَ وَمَا وَعَىٰ، وَلْيَذْكُرِ المَوْتَ والبِلَىٰ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ، تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ عز وجل حَقَّ الحَيَاءِ"**[٣].

قال المُناوي رحمه الله: "استحيوا من الله حق الحياء": بترك الشهوات

(١) أخرجه البخاري (٦١١٨).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٩/ ٢٣٤).

(٣) أخرجه أحمد (٣٦٧١)، وابن أبي شيبة في مصنفه(٣٥٤٦١)، والترمذي (٢٤٥٨)، والحاكم في (٧٩١٥)، وقال الترمذي: هٰذا حديث غريب إنما نعرفه من هٰذا الوجه. وقال الحاكم: هٰذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال النووي في خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام (٣١٦٠): إسناده حسن، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٢٤): حسن لغيره.

والنهمات، وتحمل المكاره على النفس حتىٰ تصير مدبوغة؛ فعندها تطهر الأخلاق، وتشرق أنوار الأسماء في صدر العبد، ويقرر علمه فيعيش غنيا بالله ما عاش.

قال البيضاوي: ليس حق الحياء من الله ما تحسبونه؛ بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لا يرضاه من فعل وقول.

وقال سفيان بن عيينة: الحياء أخف التقوىٰ، ولا يخاف العبد حتىٰ يستحي، وهل دخل أهل التقوىٰ في التقوىٰ إلا من الحياء؟[١].

أقوال السلف والعلماء في الحياء:

* قال أبو بكر رضي الله عنه وهو يخطب النّاس: يا معشر المسلمين: ٱستحيوا من الله فو الذي نفسي بيده إنّي لأظلّ حين أذهب للغائط في الفضاء متقنّعًا بثوبي ٱستحياء من ربّي عز وجل[٢].

* قال عمر رضي الله عنه: من قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه[٣].

* قال عليّ: كنت رجلاً مذّاءً، فاستحييت: أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال: فيه الوضوء[٤].

* قال إياس بن قرّة: كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر عنده الحياء، فقالوا: الحياء من الدّين. فقال عمر: بل هو الدّين كلّه[٥].

* قال وهب بن منبّه: الإيمان عريان، ولباسه التّقوىٰ، وزينته الحياء، وماله العفّة[٦].

---

(١) فيض القدير (١/ ٤٨٧).
(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (٢٠).
(٣) السابق (٢٠).
(٤) أخرجه البخاري (١٣٢).
(٥) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (١٩).
(٦) السابق (٢١).

* قال مجاهد: لا يتعلّم العلم مستحي ولا مستكبر[(١)].

وقال أيضا: لو أنَّ المسلم لم يصب من أخيه، إلّا أنّ حياءه منه يمنعه من المعاصي[(٢)].

* قال الحسن البصري: الحياء والتّكرّم خصلتان من خصال الخير، لم يكونا في عبد إلّا رفعه الله بهما[(٣)].

* قال الفضيل بن عياض: خمس من علامات الشقاوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل[(٤)].

* من كلام بعض الحكماء: أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيىٰ منه، وعمارة القلب بالهيبة والحياء، فإذا ذهبا من القلب لم يبق فيه خير[(٥)].

نماذج من حياء الأنبياء والمرسلين:

١ - حياء أبينا آدم وأمنا حواء:

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ [الأعراف: ٢٢].

قال السعدي: أي: ظهرت عورة كل منهما بعد ما كانت مستورة، فصار للعري الباطن من التقوىٰ في هٰذِه الحال أثر في اللباس الظاهر، حتى ٱنخلع فظهرت عوراتهما، ولما ظهرت عوراتهما خَجِلا وجَعَلا يخصفان علىٰ عوراتهما من أوراق شجر الجنة، ليستترا بذلك. وهٰذا يدل علىٰ أن الإنسان

(١) البخاري (١/ ٣٨) معلقًا.

(٢) مكارم الأخلاق (٨٤)، والمعنىٰ: أن المسلم حين يستحيي من أخيه يمتنع عن ٱرتكاب المعاصي.

(٣) مكارم الأخلاق (٢٤).

(٤) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٧١).

(٥) السابق (٢/ ٢٧٠).

مفطور على الحياء، وأما قلة الحياء؛ فهي منافية للفطرة، بل من اتباع الشيطان[١].

٢ - حياء نبي الله موسىٰ عليه السلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِنَّ مُوسَىٰ كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا لاَ يُرىٰ مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ ٱسْتِحْيَاءً مِنْهُ فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هٰذا التَّسَتُّرَ إِلاَّ مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ وَإِمَّا آفَةٌ وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَىٰ فَخَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ ثُمَّ ٱغْتَسَلَ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَىٰ ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ فَأَخَذَ مُوسَىٰ عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ ثَوْبِي حَجَرُ ثَوْبِي حَجَرُ حَتَّى ٱنْتَهَىٰ إِلَىٰ مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ وَقَامَ الحَجَرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلاَثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا﴾**"[٢].

نماذج من حياء النبي ﷺ:

١- كان النبي أشد الناس حياءً، بل كان أشد حياء من العذراء في خدرها؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ أَشَدَّ حَيَاءً مِن العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ[٣].

٢- ومن مظاهر حيائه ﷺ:

أولًا: حياؤه من الله عز وجل:

وذلك لما طلب موسى لله من نبينا في ليلة الإسراء أن يراجع ربه في قضية

(١) تفسير السعدي (٢٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

تخفيف فرض الصلاة، قال النبي لموسى لله: "اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي"[(١)].

فحياء النبي منعه من مراجعة ربه بعد أن سأله مرات أن يخفف عن أمته عدد الصلوات.

ثانيًا: حياؤه من الناس:

١- من ذلك ما ورد عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَأَلَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ . كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْ حَيْضَتِهَا؟ قَالَ: فَذَكَرَتْ أَنَّهُ عَلَّمَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ. ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فَتَطَهَّرُ بِهَا. قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ بِهَا؟ قَالَ: تَطَهَّرِي بِهَا سُبْحَانَ الله واسْتَتَرَ - وَأَشَارَ لَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بِيَدِهِ عَلَى وَجْهِهِ - قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: واجْتَذَبْتُهَا إِلَيَّ وَعَرَفْتُ مَا أَرَادَ النَّبِيُّ . فَقُلْتُ: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ[(٢)].

٢- حياؤه عند زواجه من زينب رضي الله عنها:

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: بُنِيَ عَلَى النَّبِيِّ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ، فَأُرْسِلْتُ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًا فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، فَدَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُو، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ، قَالَ: "ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ" وَبَقِيَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ فَانْطَلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَقَالَ: "السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ الله"، فَقَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ الله، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ بَارَكَ الله لَكَ، فَتَقَرَّى حُجَرَ نِسَائِهِ كُلِّهِنَّ، يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ، وَيَقُلْنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ فَإِذَا ثَلاَثَةٌ مِنْ رَهْطٍ فِي الْبَيْتِ يَتَحَدَّثُونَ، وَكَانَ النَّبِيُّ شَدِيدَ الْحَيَاءِ، فَخَرَجَ مُنْطَلِقًا نَحْوَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَمَا أَدْرِي آخْبَرْتُهُ أَوْ أُخْبِرَ أَنَّ الْقَوْمَ خَرَجُوا فَرَجَعَ، حَتَّى إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي أُسْكُفَّةِ الْبَابِ دَاخِلَةً، وَأُخْرَى خَارِجَةً أَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَأُنْزِلَتْ آيَةُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٤)، ومسلم (٣٣٢) واللفظ له.

الحِجَابِ[١].

٣- حياؤه في ألفاظ عتابه لبعض الصحابة:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِي إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيءُ لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلاَنٍ يَقُولُ؟ ولكن يَقُولُ: "مَا بَالُ أَقْوامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا؟"[٢].

نماذج من حياء الصحابة رضي الله عنهم:

١- حياء عثمان بن عفان رضي الله عنه:

- عن عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ الله ، وَسَوى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ واحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: "**أَلاَ أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلاَئِكَةُ**"[٣].

- قال الحَسَنُ البصري: وَذَكَرَ عُثْمَانَ وَشِدَّةَ حَيَائِهِ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ لَيَكُونُ فِي البَيْتِ والبَابُ عَلَيْهِ مُغْلَقٌ، فَمَا يَضَعُ عَنْهُ الثَّوْبَ لِيُفِيضَ عَلَيْهِ المَاءَ، يَمْنَعُهُ الحَيَاءُ أَنْ يُقِيمَ صُلْبَهُ[٤].

٢- حياء فاطمة بنت النبي ﷺ:

منع الحياء فاطمة بنت النبي ﷺ أن تحمل بعد موتها على النعش وجسدها يراه الناس.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٩٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٨٨)، والطحاوي في شرح المشكل (٥٨٨١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٦٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٠١).

(٤) أخرجه أحمد (٥٤٣).

عَنْ أُمِّ جَعْفَرٍ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ الله ﷺ قَالَتْ: يَا أَسْمَاءُ إِنِّى قَدِ اسْتَقْبَحْتُ مَا يُصْنَعُ بِالنِّسَاءِ إِنَّهُ يُطْرَحُ عَلَى الْمَرْأَةِ الثَّوْبُ فَيَصِفُهَا. فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: يَا بِنْتَ رَسُولِ الله ﷺ أَلاَ أُرِيكِ شَيْئًا رَأَيْتُهُ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ فَدَعَتْ بِجَرَائِدَ رَطْبَةٍ فَحَنَتْهَا، ثُمَّ طَرَحَتْ عَلَيْهَا ثَوْبًا. فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: مَا أَحْسَنَ هذا وَأَجْمَلَهُ يُعْرَفُ بِهِ الرَّجُلُ مِنَ المَرْأَةِ فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَاغْسِلِينِى أَنْتِ وَعَلِى، وَلاَ تُدْخِلِى عَلَى أَحَدًا فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ رضي الله عنها جاءَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها تَدْخُلُ فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: لاَ تَدْخُلِى فَشَكَتْ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَتْ: إِنَّ هذِه الخَثْعَمِيَّةَ تَحُولُ بَيْنِى وَبَيْنَ ابنةِ رَسُولِ الله ﷺ وَقَدْ جَعَلَتْ لَهَا مِثْلَ هَوْدَجِ العَرُوسِ. فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَوَقَفَ عَلَى البَابِ وَقَالَ: يَا أَسْمَاءُ مَا حَمَلَكِ أَنْ مَنَعْتِ أَزْواجَ النَّبِى ﷺ يَدْخُلْنَ عَلَى ابنةِ النَّبِى ﷺ وَجَعَلْتِ لَهَا مِثْلَ هَوْدَجِ العَرُوسِ. فَقَالَتْ: أَمَرَتْنِى أَنْ لاَ تُدْخِلِى عَلَى أَحَدًا وَأَرِيتَهَا هذا الذي صَنَعْتُ وَهِى حَيَّةٌ فَأَمَرَتْنِى أَنْ أَصْنَعَ ذَلِكَ لَهَا. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: فَاصْنَعِى مَا أَمَرَتْكِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَغَسَلَهَا عَلِى وَأَسْمَاءُ رضي الله عنهما[1].

٣- حياء عائشة رضي الله عنها:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ الله، وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي، وَأَقُولُ إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَواللهِ مَا دَخَلْتُهُ إِلَّا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي، حَيَاءً مِنْ عُمَرَ"[2].

٤- حياء فاطمة بنت عتبة رضي الله عنها:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: جَاءَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ تُبَايِعُ النَّبِي ﷺ فَأَخَذَ عَلَيْهَا ﴿أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بالله شَيْئًا وَلاَ يَزْنِينَ﴾ .. الآيَةَ، قَالَتْ:

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرىٰ (٧١٨٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٦٦١)، والحاكم (٤٤٠٢)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١٠).

فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا حَيَاءً فَأَعْجَبَ رَسُولَ الله ﷺ مَا رَأى مِنْهَا فَقَالَتْ عَائِشَةُ: "أَقِرى أَيَّتُهَا المَرْأَةُ فَواللَّهِ مَا بَايَعْنَا إِلاَّ عَلَى هذا". قَالَتْ: فَنَعَمْ إِذًا. فَبَايَعَهَا بِالآيَةِ"[1].

٥- حياء أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما:

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ وَمَا لَهُ فِي الأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ وَلَا شَيْءٍ، غَيْرَ فَرَسِهِ، قَالَتْ: فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ، وَأَكْفِيهِ مَئُونَتَهُ وَأَسُوسُهُ وَأَدُقُّ النَّوى لِنَاضِحِهِ، وَأَعْلِفُهُ، وَأَسْتَقِي المَاءَ وَأَخْرُزُ غَرْبَهُ وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ، وَكَانَ يَخْبِزُ لِي جَارَاتٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ، قَالَتْ: وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ التِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ الله عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ قَالَتْ: فَجِئْتُ يَوْمًا والنَّوى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ رَسُولَ الله وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَدَعَانِي، ثُمَّ قَالَ: إِخْ إِخْ لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، قَالَتْ: فَاسْتَحْيَيْتُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ: والله لَحَمْلُكِ النَّوى عَلَى رَأْسِكِ أَشَدُّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ، قَالَتْ: حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ، بَعْدَ ذَلِكَ، بِخَادِمٍ فَكَفَتْنِي سِيَاسَةَ الفَرَسِ فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَتْنِي[2].

نماذج من حياء السلف:

الأمثلة من حياء السلف كثيرة، ونذكر منها على سبيل المثال بعض النماذج:

١- قال محمد بن الفضل: ما خطوت أربعين سنة خطوة لغير الله ، وما نظرت أربعين سنة في شيء أستحسنه حياء من الله ، وما أمليت على ملكي ثلاثين سنة شيئًا، ولو فعلت ذلك لاستحييت منهما"[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥١٧٥)، وابن حبان في صحيحه (٤٥٥٤)، وقال الألباني في التعليقات الحسان (٤٥٣٧): صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٢٤)، ومسلم (٢١٨٢).

(٣) صفة الصفوة (٢ / ٢٤٣).

٢ - وقال الجراح الحكمي: تركت الذنوب حياء أربعين سنة، ثم أدركني الورع[(١)].

٣- وروي أن عمرو بن عتبة بن فرقد كان يصلي ذات ليلة فسمعوا صوت الأسد فهرب من كان حوله، وهو قائم يصلي فلم ينصرف، فقالوا له: أما خفت الأسد؟ فقال: إني لأستحي من الله أن أخاف شيئًا سواه[(٢)].

٤- وقال جعفر الصائغ: كان في جيران أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رجل ممن يمارس المعاصي والقاذورات فجاء يومًا إلى مجلس أحمد يسلم عليه فكأن أحمد لم يرد عليه ردًا تامًا وانقبض منه فقال له: يا أبا عبد الله! لم تنقبض مني؟ فإني قد انتقلت عما كنت تعهدني برؤيا رأيتها قال: وأي شيء رأيت؟ قال: رأيت النبي في النوم كأنه على علو من الأرض وناس كثير أسفل جلوس قال: فيقوم رجل رجل منهم إليه فيقول: ادع لي! فيدعو له حتى لم يبق من القوم غيري قال: فأردت أن أقوم فاستحييت من قبيح ما كنت عليه قال لي: يا فلان! لم لا تقوم إلي فتسألني أدعو لك؟ قال: قلت: يا رسول الله! يقطعني الحياء لقبيح ما أنا عليه فقال: إن كان يقطعك الحياء فقم فسلني أدع لك فإنك لا تسب أحدًا من أصحابي. قال: فقمت فدعا لي فانتبهت وقد بغض الله إلي ما كنت عليه قال: فقال لنا أبو عبد الله: يا جعفر! يا فلان احفظوا هذا وحدثوا به فإنه ينفع[(٣)].

٥- وكان الربيع بن خثيم من شدة غضه لبصره وإطراقه يظن بعض الناس: أنه أعمى، وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة فإذا رأته جاريته

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٩٠).

(٢) حلية الأولياء (٢ / ٤٠).

(٣) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح (١ / ٣٠٠).

قالت لابن مسعود: صديقك الأعمى قد جاء، فكان يضحك ابن مسعود من قولها، وكان إذا دق الباب تخرج الجارية إليه فتراه مطرقًا غاضًا بصره [(١)].

٦- ولما احتُضر الأسود بن يزيد بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: ما لي لا أجزعُ؟ ومَنْ أحق مني بذلك؟ والله لو أُتيت بالمغفرة من الله لأهمني الحياء منه ممَّا قد صنعت، وإن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذَّنْبَ الصغير، فيعفو عنه، ولا يزال مستحييًا منه[(٢)].

وأخيرًا، ما أهمية خلق الحياء في العمل التطوعي:

لا شك أنه قد استبان جليًا بعد هذا العرض أهمية تحلي المتطوع بخلق الحياء ويشمل ذلك حياءه مع نفسه فلا يليق بمن تطوع بعمل لله أن يكون في خلواته عاصيًا أو فاسقًا، أو يراه الناس في مواطن التهم وأماكن الريب.

وكذلك حياؤه في معاملته للناس فالواجب فيه أن يكون صاحب خلق دمث يحبه الناس ويحبون محاورته والكلام معه، فلا يؤذي مشاعرهم بنظراته أو بكلماته أو بمعاملاته، بل يتمثل دائما أمام عينيه خلق النبي والسلف الصالح في حيائهم ومعاملاتهم. والله الموفق لما يحبه ويرضاه.

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ١٨١).

(٢) حلية الأولياء (٢/ ١٠٣).

٢١- الصفح والعفو

الصفح لغة:

قال ابن فارس: (صَفَحَ) الصَّادُ والفَاءُ والحَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ مُطَّرِدٌ يَدُلُّ عَلَى عَرْضٍ وَعِرَضٍ. مِنْ ذَلِكَ صَفْحُ الشَّيْءِ: عَرْضُهُ. وَيُقَالُ: رَأْسٌ مُصْفَحٌ: عَرِيضٌ[١].

الصفح اصطلاحًا:

هُوَ التَّجَاوُزُ عَنِ الذَّنْبِ وَتَرْكُ العِقَابِ عَلَيْهِ وَأَصْلُهُ المَحْوُ والطَّمْسُ[٢].

الفرق بين العفو والصفح:

العفو معناه، ترك المؤاخذة على الذنب والرفق في المظهر، والمعاملة الحسنة.

والصفح هو: إزالة كل أثر في النفس، فالعفو يتعلق بالمظهر كقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، والصفح ألا يبقىٰ في النفس أثر من الآلام التي أثارها الحسد والعمل علىٰ مقتضاه، وكلاهما أعلىٰ درجة من الصبر المجرد؛ لأن الصبر معناه الضبط والتحمل مع ملاحظة ورجاء، والعفو يتضمن كالصفح معنى الصبر، مع تجمل المظهر وألا تكون آلام قط مما يصنعون[٣].

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٩٣)، وانظر: أساس البلاغة (١/ ٥٤٩)، ومختار الصحاح (ص ١٧٦)، وتاج العروس (٦/ ٥٤١-٥٤٥)

(٢) النهاية (٣/ ٢٦٥)، وتحفة الأحوذي (١/ ٤٤٠)، والأدب النبوي (١/ ١٣٨) .

(٣) زهرة التفاسير (١/ ٣٦٢).

الهجر الجميل والصفح الجميل والصبر الجميل:

قال ابن تيمية رحمه الله: والله تَعَالَىٰ ذكر فِي القُرْآن الهجر الجَمِيل والصفح الجَمِيل والصَّبْر الجَمِيل وَقد قيل: إِن الهجر الجَمِيل هُوَ هجر بِلَا أَذىٰ والصفح الجَمِيل صفح بِلَا معاتبة والصَّبْر الجَمِيل صَبر بِغَيْر شكوىٰ إِلَى المَخْلُوق ولهٰذا قرئَ علىٰ أَحْمد بن حَنْبَل فِي مَرضه: إِن طاوسًا كَانَ يكره أَنِين المَرِيض وَيَقُول: إِنَّه شكوىٰ فَمَا أَنّ أَحْمد حَتَّىٰ مَاتَ.

وَأما الشكوىٰ إِلَى الخَالِق فَلَا تنَافِي الصَّبْر الجَمِيل، فَإِن يَعْقُوب قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يُوسُف: ٨٣، ٨٦][١].

فضائل الصفح والعفو في القرآن الكريم:

١- العفو الصفح من صفات المحسنين الذين يحبهم الله عز جل.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣﴾ [المائدة: ١٣].

قال الطبري: وهذ أمر من الله عز ذكره نبيَّه محمدًا ﷺ بالعفو عن هٰؤلاء القوم الذين همُّوا أن يبسطوا أيديهم إليه من اليهود. يقول الله جل وعز له: ٱعف، يا محمد، عن هٰؤلاء اليهود الذين همُّوا بما هموا به من بسط أيديهم إليك وإلىٰ أصحابك بالقتل، واصفح لهم عن جُرْمهم بترك التعرُّض لمكروههم، فإني أحب من أحسنَ العفو والصَّفح إلىٰ من أساء إليه[٢].

وقال أبو حيان: ظَاهِرُهُ الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ والصَّفْحُ عَنْهُمْ جَمِيعِهِمْ، وَذَلِكَ بَعْثٌ عَلَىٰ حُسْنِ التَّخَلُّقِ مَعَهُمْ وَمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ[٣].

---

(١) العبودية لابن تيمية (٨٥)، ودقائق التفسير (٢/ ٢٩٤).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ١٣٤).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٢٠٦).

٢- قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ۝٨٥﴾ [الحجر: ٨٥].

والصفح الجميل هو الذي لا عتاب فيه، فهٰذا من الرَّدّ العملي علىٰ كيد الكائدين، وحقد الحاقدين وحسد الحاسدين أنه لا يعاتبهم، ولا يتحدَّث إليهم، ولا يناقشهم، ولا يسألهم عن الأسباب التي دعتهم لكل هٰذا الكيد الرهيب العجيب الذي تآمر فيه أهل الكتاب مع كل أعداء الإسلام، يريدون إطفاء نور الله، ويأبىٰ الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون.

وقال السمعاني: وَقَوله: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ أَي: أعرض عَنْهُم من غير جزع وَلَا شكوىٰ[1].

٣- قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٢﴾ [النور: ٢٢].

والمعنىٰ: فليطمسوا آثار الإساءة بحلمهم وتجاوزهم، والصفح: قال بعض أهل العلم مشتق من صفحة العنق، أي: أعرضوا عن مكافأة إساءتهم حتىٰ كأنكم تولونها بصفحة العنق، معرضين عنها... .وقد دلت هٰذِه الآية علىٰ أن كظم الغيظ والعفو عن الناس من صفات أهل الجنة، وكفىٰ بذلك حثا علىٰ ذلك، ودلت أيضا: علىٰ أن ذلك من الإحسان الذي يحب الله المتصفين به[2].

٤- قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٤﴾ [التغابن: ١٤].

قال السعدي: ولما كان النهي عن طاعة الأزواج والأولاد، فيما هو ضرر

---

(١) تفسير السمعاني (٣/ ١٤٩).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ٤٨٥-٤٨٩).

على العبد، والتحذير من ذلك، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالىٰ بالحذر منهم، والصفح عنهم والعفو، فإن في ذلك، من المصالح ما لا يمكن حصره، فقال: ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ لأن الجزاء من جنس العمل. فمن عفا عفا الله عنه، ومن صفح صفح الله عنه، ومن غفر غفر الله له، ومن عامل الله فيما يحب، وعامل عباده كما يحبون وينفعهم، نال محبة الله ومحبة عباده، واستوثق له أمره[1].

٥- العفو والصفح صفة من صفات أهل الجنة:

قال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والكَاظِمِينَ الغَيْظَ والعَافِينَ عَنِ النَّاسِ والله يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

قال الشنقيطي: وَقَدْ دَلَّتْ هٰذِه الآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ كَظْمَ الغَيْظِ والعَفْوَ عَنِ النَّاسِ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَكَفَىٰ بِذَلِكَ حَثًّا عَلَىٰ ذَلِكَ، وَدَلَّتْ أَيْضًا: عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الإِحْسَانِ الذِي يُحِبُّ اللهُ المُتَّصِفِينَ بِهِ[2].

فضل العفو والصفح في السنة النبوية:

١- التأسي برسول الله ﷺ ومواقفه في ذلك كثيرة:

منها عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الذِي عِنْدَكَ، فَالتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ[3].

قال النووي: فِيهِ ٱحْتِمَالُ الجَاهِلِينَ والإِعْرَاضُ عَنْ مُقَابَلَتِهِمْ وَدَفْعُ السَّيِّئَةِ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٦٨).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ٤٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣١٤٩).

بِالحَسَنَةِ وَإِعْطَاءُ مَنْ يُتَأَلَّفُ قَلْبُهُ والعَفْوُ عَنْ مُرْتَكِبِ كَبِيرَةٍ لَا حَدَّ فِيهَا بِجَهْلِهِ وَإِبَاحَةُ الضَّحِكِ عِنْدَ الأُمُورِ التِي يُتَعَجَّبُ مِنْهَا فِي العَادَةِ وَفِيهِ كَمَالُ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحِلْمِهِ وَصَفْحِهِ الجَمِيلِ(١).

ومنها عَنْ عَطَاء بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: "أَجَلْ، والله إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْواقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، ولكن يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّىٰ يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلٰه إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا"(٢).

٢- طلب العزة بالعفو عن الناس:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: "**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ**"(٣).

قال النووي: فيه وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ وَأَنَّ مَنْ عُرِفَ بِالعَفْوِ والصَّفْحِ سَادَ وَعَظُمَ فِي القُلُوبِ وَزَادَ عِزُّهُ وَإِكْرَامُهُ، والثَّانِي أَنَّ المُرَادَ أَجْرُهُ فِي الآخِرَةِ وَعِزُّهُ هُنَاكَ(٤).

٣- إرشاد النبي ﷺ إلىٰ طلب العفو في أوقات الإجابة:

عن عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (٧/ ١٤٧).

(٢) صحيح البخاري (٢١٢٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١٤١).

القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: "قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي"[(١)].

٤- عن سُلَيْمَانَ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابن عُمَرَ، يَقُولُ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَعُ هٰؤلاء الدَّعَواتِ، حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ والعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي، وَقَالَ عُثْمَانُ: عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي"[(٢)].

الآثار في العفو والصفح:

١- عَنِ الأَصْمَعِيِّ قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ: تَنَاسَ مَسَاوِئَ الإِخْوانِ يَدُمْ لَكَ وُدُّهُمْ[(٣)].

٢- عن صالح بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي يوما إن فضلا الأنماطي جاء إليه رجل فقال: اجعلني في حل، قال: لا جعلت أحدا في حل أبدا قال فتبسم فلما مضت أيام قال يا بني مررت بهٰذِه الآية ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فنظرت في تفسيرها فإذا هو إذا كان يوم القيامة قام مناد فنادىٰ لا يقوم إلا من كان أجره علىٰ الله فلا يقوم إلا من عفا فجعلت الميت في حل من ضربه إياي ثم جعل يقول وما علىٰ رجل ألا يعذب الله بسببه أحدا عن علي بن أبي طالب ﷺ في قوله تعالىٰ: فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ قال: الرّضا بغير عتاب[(٤)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، قال الترمذي: حسن صحيح وصححه الألباني في الصحيحة (٣٣٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٩١٥).

(٣) آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي (ص ٤٦).

(٤) المنتقىٰ من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها (ص ٨٧)، وحلية الأولياء (٩/ ٢٠٣).

٣- قال أبو حاتم: الواجب على العاقل لزوم الصفح عند ورود الإساءة عليه من العالم بأسرهم رجاء عفو الله جل وعلا عن جناياته التي ٱرتكبها في سالف أيامه؛ لأن صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء وصاحب العقاب وإن ٱنتقم كان إلى الندم أقرب فأما من له أخ يوده فإنه يحتمل عنه الدهر كله زلاته وقال أيضًا: الواجب على العاقل توطين النفس علىٰ لزوم العفو عَن الناس كافة وترك الخروج لمجازاة الإساءة إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشد من الاستعمال بمثلها[1].

٤- وقيل للمهلب بن أبي صفرة: ما تقول في العفو والعقوبة؟ قال: هما بمنزلة الجود والبخل فتمسك بأيهما شئت[2].

٥- وقيل لأبي الدرداء: من أعز الناس؟ فقال: الذين يعفون إذا قدروا؛ فاعفوا يعزكم الله تعالىٰ.

٦- وقال رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان، في أسارى ابن الأشعث: إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو[3].

نماذج من عفوه ﷺ:

١- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الجَدَلِيِّ قَال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا فِي الأَسْواقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، ولكن يَعْفُو وَيَصْفَحُ[4].

٢- وعن عائشة ﵂ قالت: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص ١٦٦و١٦٨).

(٢) أدب الدنيا والدين (ص ٣٤١).

(٣) أدب الدنيا والدين (ص ٢٦٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠١٦)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

ٱمْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لله ﷻ[١].

٣- عَنِ عُرْوَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: "**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابن عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**"[٢].

نماذج من عفو الصحابة رضي الله عنهم:

عفو أبي بكر رضي الله عنه:

١- عفوه عن مسطح بن أثاثة: وكان مسطح بن أثاثة ممن تكلم في الإفك فلما أنزل الله براءة عائشة قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ: والله لاَ أُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَىٰ والله إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَىٰ مِسْطَحٍ الذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ وَقَالَ: والله لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا »[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٦١).

عفو عمر رضي الله عنه:

٣- عَنِ ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهمَا قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابن أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابن أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هٰذا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابن عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابن الخَطَّابِ، فَواللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّىٰ هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هٰذا مِنَ الجَاهِلِينَ، والله مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤٢).

٢٢- الرفق

الرفق لغة:

قال ابن فارس: الراء والفاء والقاف أصلٌ واحدٌ يدلُّ علىٰ موافقةٍ ومقاربةٍ بلا عُنْف. فالرِّفق: خلاف العُنْف؛ يقال رفَقْتُ أَرْفُق. هٰذا هو الأصل ثم يشتقّ منه كلُّ شيءٍ يدعو إلىٰ راحةٍ وموافَقة(١).

الرفق ٱصطلاحًا:

قال ابن حجر: هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل، وهو ضدّ العنف(٢).

الرفق في القرآن الكريم:

١- قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال السعدي رحمه الله: «أي: برحمة الله لك ولأصحابك، منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك.

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ أي: سيئ الخلق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ أي: قاسيه، ﴿لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ لأن هٰذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هٰذا الخلق السيئ.

فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلىٰ دين الله،

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢ / ٤١٨).

(٢) فتح الباري (١٠ / ٤٤٩).

وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهٰذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟!»[١].

٢- وقال سبحانه: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

أي: ليِّن جانَبك لهم، مستعارٌ من حال الطَّائرِ فإنَّه إذا أرادَ أنْ ينحطَّ خفضَ جناحَه[٢].

٣- وقال سبحانه: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٣ - ٤٤].

قال ابن كثير رحمه الله: هٰذِه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار وموسىٰ صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هٰذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، كما قال يزيد الرقاشي عند قوله: فقولا له قولا لينا:

يا من يتحبب إلىٰ من يعاديه   فكيف بمن يتولاه ويناديه؟

وقال وهب بن منبه: قولا له إني إلى العفو والمغفرة أقرب مني إلى الغضب والعقوبة[٣].

الترغيب والحث على الرفق من السنة النبوية:

١- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِن اليَهُودِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا، فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُم السَّامُ واللَّعْنَةُ. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ الله**

(١) تفسير السعدي (ص ١٥٤).

(٢) تفسير أبي السعود (٦ / ٢٦٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٦٠).

يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِهِ". فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَوا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ**"[١].

٢- وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ**"[٢].

قال القرطبي: "أي: يفضي ذلك به إلىٰ أن يحرم خير الدنيا والآخرة"[٣].

وقال ابن عثيمين: "يعني أن الإنسان إذا حُرِم الرفق في الأمور فيما يتصرف فيه لنفسه، وفيما يتصرف فيه مع غيره، فإنه يحرم الخير كله أي فيما تصرف فيه، فإذا تصرف الإنسان بالعنف والشدة فإنه يحرم الخير فيما فعل، وهٰذا شيء مجرب ومشاهد أن الإنسان إذا صار يتعامل بالعنف والشدة؛ فإنه يحرم الخير ولا ينال الخير، وإذا كان يتعامل بالرفق والحلم والأناة وسعة الصدر؛ حصل علىٰ خيرٍ كثير، وعلىٰ هٰذا فينبغي للإنسان الذي يريد الخير أن يكون دائمًا رفيقًا حتىٰ ينال الخير"[٤].

٣- وَعَنْ عائشةَ رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي بَيْتِي هٰذا: "**اللهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**"[٥].

قال النووي: "هٰذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس وأعظم الحث على الرفق بهم وقد تظاهرت الأحاديث بهٰذا المعنىٰ"[٦].

وقال القاضي عياض: "فيه الحض على الرفق والنهىٰ عن المشقة، وهو

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٢١٦٥).

(٢) مسلم (٢٥٩٢).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦ / ٥٧٨).

(٤) شرح رياض الصالحين (٣ / ٥٩٢).

(٥) أخرجه مسلم (١٨٢٨).

(٦) شرح النووي علىٰ مسلم (١٢/ ٢١٣).

الذي أمر الله به نبيه ﷺ ووصفه به، وحض عليه ﷺ في غير حديث، وأثنى عليه، وأنه يثيب على الرفق ما لا يثيب على المشقة"(١).

٤- وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا، أَنَّها قالت: كُنْتُ عَلَىٰ بَعِيرٍ صَعْبٍ، فَجَعَلْتُ أَضْرِبُهُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، فَإِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ"**(٢).

٥- وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فقد حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ"**(٣).

قال المناوي: "إذ بالرفق تنال المطالب الأخروية والدنيوية وبفوته يفوتان"(٤).

أقوال السلف والعلماء في الرفق:

١- قال عمر بن الخطاب ﷺ: "أيها الرعية: إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير، إنه ليس من حلم أحب إلىٰ الله ولا أعم نفعا من حلم إمام ورفقه أيها الرعية، إنه ليس من جهل أبغض إلىٰ الله ولا أعم شرا من جهل إمام وخرقه أيها الرعية، إنه من يأخذ بالعافية لمن بين ظهرانيه، يؤتىٰ الله العافية من فوقه"(٥).

٢- قال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ﷺ-: ما الرّفق؟ . قال: تكون ذا

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (٦/ ١١٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٨١٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٦٤)، والترمذي (٢٠١٣)، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٥٥).

(٤) فيض القدير (٦/ ٧٥).

(٥) أخرجه الطبري في تاريخه (٤/ ٢٢٤).

أناة فتلاين الولاة. قال: فما الخُرقُ؟ . قال: معاداة إمامك، ومناوأة من يقدر علىٰ ضررك[١].

٣- وعن عروة بن الزبير قال: مكتوب في الحكمة (الرّفق رأس الحكمة)[٢].

٤- قال أبو الدّرداء رضي الله عنه: إنّ من فقه الرّجل رفقه في معيشته[٣].

٥- وقال سفيان لأصحابه: تدرون "ما الرفق؟" قالوا: قل يا أبا محمد! قال: أن تضع الأمور من مواضعها الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه[٤].

٦- قال وهب بن منبه: الرفق ثني الحلم[٥].

٧- وعن قيس بن أبي حازم قال: كان يقال: الرفق يمن، والخرق شؤم[٦].

٨- وعن حبيب بن حجر القيسيّ قال: كان يقال: ما أحسن الإيمانَ يزينه العلم، وما أحسن العلم يزينه العمل، وما أحسن العمل يزينه الرفق[٧].

٩- وعن قيس بن أبي حازم، قال: كان يقال: من يُعط الرّفق في الدّنيا نفعه في الآخرة[٨].

---

(١) إحياء علوم الدين (٣ / ١٨٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٣٠٨)، وأحمد في الزهد (ص٤٤).

(٣) أخرجه وكيع في الزهد (٤٦٥)، وهناد في الزهد (٢ / ٦٥٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١ / ٢١١).

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ١٨٦).

(٥) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ١٨٦).

(٦) الزهد لهناد بن السري (٢/ ٦٥٤).

(٧) عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ٣٩٦).

(٨) أخرجه وكيع في الزهد (٣٧٧ / ٤٦٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٨١٨).

نماذج في الرفق:

أولاً: نماذج من رفق النبي ﷺ:

١- كان ﷺ رفيقًا في تعليمه للجاهل، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدًا فِي الْمَسْجِدِ وَأَصْحَابُهُ مَعَهُ، إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: مَهْ مَهْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"لاَ تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ"**، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: **" إِنَّ هٰذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنَ الْقَذَرِ والبَوْلِ والخَلاَءِ "، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّمَا هِيَ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللهِ والصَّلاَةِ ". فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ: " قُمْ فَأْتِنَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشُنَّهُ عَلَيْهِ " فَأَتَاهُ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ**"[١].

٢- وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: واثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَىٰ أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصْمِتُونِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، والله مَا كَهَرَنِي وَلَا شَتَمَنِي وَلَا ضَرَبَنِي قَالَ: **"إِنَّ هٰذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ هٰذا، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ والتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ " أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ**"[٢].

٣- وكان رفيقًا بأصحاب المعاصي فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: **"ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا"**. قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: **"أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟"** قَالَ: لَا. والله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: **"وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٥)، ومسلم (٢٨٥) واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧).

لِأَمَّهَاتِهِمْ". قَالَ: "**أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟**" قَالَ: لَا. والله يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: "**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**". قَالَ: "**أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟**" قَالَ: لَا. والله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَواتِهِمْ**". قَالَ: "**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**" قَالَ: لَا. والله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**". قَالَ: "**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**" قَالَ: لَا. والله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ**". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: "**اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**" قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الفَتَىٰ يَلْتَفِتُ إِلَىٰ شَيْءٍ[(١)].

٤- وكان ﷺ رفيقًا بنسائه، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَادٍ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ، وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "**رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ لاَ تَكْسِرِ القَوارِيرَ**". قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي ضَعَفَةَ النِّسَاءِ[(٢)].

ثانيًا: نماذج من رفق الصحابة ﷺ:

رفق عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

١ - عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ إِلَى السُّوقِ فَلَحِقَتْ عُمَرَ ٱمْرَأَةٌ شَابَّةٌ، فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ هَلَكَ زَوْجِي وَتَرَكَ صِبْيَةً صِغَارًا والله مَا يُنْضِجُونَ كُرَاعًا، وَلَا لَهُمْ زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ، وَلَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَأْكُلَهُمُ الضَّبُعُ وَأَنَا ابنةُ خُفَافِ بْنِ إِيمَاءٍ الغِفَارِيِّ، وَقَدْ شَهِدَ أَبِي الحُدَيْبِيَةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَقَفَ مَعَهَا عُمَرُ وَلَمْ يَمْضِ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا، نَسَبٌ قَرِيبٌ، ثُمَّ ٱنْصَرَفَ إِلَىٰ بَعِيرٍ ظَهِيرٍ كَانَ مَرْبُوطًا فِي الدَّارِ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ غِرَارَتَيْنِ مَلأَهُمَا طَعَامًا وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا نَفَقَةً وَثِيَابًا، ثُمَّ نَاوَلَهَا خِطَامَهُ، ثُمَّ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢١١)، وقال الألباني في الصحيحة (٣٧٠): وهٰذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢١١)، ومسلم (٢٣٢٣).

قَالَ: ٱقْتَادِيهِ، فَلَنْ يَفْنَىٰ حَتَّىٰ يَأْتِيَكُمُ اللهُ بِخَيْرٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَكْثَرْتَ لَهَا، فَقَالَ عُمَرُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، والله إِنِّي لأَرَىٰ أَبَا هٰذِهِ أَوْ أَخَاهَا قَدْ حَاصَرَ حِصْنًا زَمَانًا فَافْتَتَحْنَاهُ وَأَصْبَحْنَا نَسْتَفِيءُ سُهْمَانَهُمَا فِيهِ"[1].

٢ - عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ ﷺ وَيَدَاهُ في أُذُنَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا لَبَّيْكَاهُ يَا لَبَّيْكَاهُ. قَالَ النَّاسُ: مَا لَهُ؟ قَالَ: جَاءَهُ بَرِيدٌ مِنْ بَعْضِ أُمَرَائِهِ أَنَّ نَهَرًا حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ العُبُورِ وَلَمْ يَجِدُوا سُفُنًا فَقَالَ أَمِيرُهُمْ: ٱطْلُبُوا لَنَا رَجُلًا يَعْلَمُ غَوْرَ المَاءِ فَأُتِيَ بِشَيْخٍ فَقَالَ: إِنِّىٰ أَخَافُ البَرْدَ وَذَاكَ فِي البَرْدِ. فَأَكْرَهَهُ فَأَدْخَلَهُ فَلَمْ يُلْبِثْهُ البَرْدُ فَجعَلَ يُنَادىٰ: يَا عُمَرَاهُ يَا عُمَرَاهُ فَغَرِقَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ فَأَقْبَلَ فَمَكَثَ أَيَّامًا مُعْرِضًا عَنْهُ وَكَانَ إِذَا وَجَدَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ: مَا فَعَلَ الرَّجُلُ الذي قَتَلْتَهُ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا تَعَمَّدْتُ قَتْلَهُ لَمْ نَجِدْ شَيْئًا نَعْبُرُ فِيهِ وَأَرَدْنَا أَنْ نَعْلَمَ غَوْرَ المَاءِ فَفَتَحْنَا كَذَا وَكَذَا وَأَصَبْنَا كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَرَجُلٌ مُسْلِمٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيء جِئْتَ بِهِ لَوْلاَ أَنْ تَكُونَ سُنَّةً لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ ٱذْهَبْ فَأَعْطِ أَهْلَهُ دِيَتَهُ واخْرُجْ فَلاَ أَرَاكَ[2].

رفق عمر بن عبد العزيز بالحيوان:

عَنْ أَبِي عُثْمَانَ الثَّقَفِيِّ قَالَ: كَانَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ غُلَامٌ يَعْمَلُ عَلَىٰ بَغْلٍ لَهُ، يَأْتِيهِ بِدِرْهَمٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَجَاءَهُ يَوْمًا بِدِرْهَمٍ وَنِصْفٍ، فَقَالَ: مَا بَدَا لَكَ؟ فَقَالَ: نَفَقَتِ السُّوقُ، قَالَ: لَا، وَلَكِنَّكَ أَتْعَبْتَ البَغْلَ، أَرِحْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ[3].

صور الرفق:

١ - الرفق في الدين:

المسلم لا يحمل نفسه من العبادة مالا تطيقه؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَن

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٦١).

(٢) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٣ / ٨١٢)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (١٨٠١٠) واللفظ له.

(٣) حلية الأولياء (٥/ ٢٦٠).

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، واسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِن الدُّلْجَةِ"**(١).

قال ابن حجر: والمُشَادَّةُ بِالتَّشْدِيدِ المُغَالَبَةُ. يُقَالُ: شَادَّهُ يُشَادُّهُ مُشَادَّةً إِذَا قَاواهُ. والمَعْنَىٰ: لَا يَتَعَمَّقُ أَحَدٌ فِي الأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ وَيَتْرُكُ الرِّفْقَ إِلَّا عَجزَ وانْقَطَعَ فَيُغْلَبُ.

٢ - الرفق مع الناس عامة:

ويكون بلين الجانب، وعدم الغلظة والجفاء، والتعامل مع الناس بالسماحة، وكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ يَقُولُ: بُنَيَّ، إِنَّ البِرَّ شَيْءٍ هَيِّنٍ، وَجْهٌ طَلِيقٌ وَكَلَامٌ لَيِّنٌ(٢).

٣ - الرفق بالرعية:

الراعي سواء كان حاكمًا، أو رئيسًا في عمل، أو مسؤولًا عليه أن يرفق برعيته، فيقضي حاجتهم، ويؤدي مصالحهم برفق.

٤ - الرفق بالمدعوين:

الداعية عليه أن يرفق في دعوته، فيشفق على الناس ولا يشق عليهم، ولا ينفرهم من الدين بأسلوبه الغليظ والعنيف، "وأولى الناس بالتخلق بخلق الرفق الدعاة إلىٰ الله والمعلمون، فالدعوة إلىٰ الله لا تؤثر ما لم تقترن بخلق الرفق في دعوة الخلق إلى الحق، وتعليم الناس لا يؤتي ثمراته الطيبات ما لم يقترن بخلق الرفق الذي يملك القلوب بالمحبة"(٣).

٥ - الرفق بالخادم والمملوك:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: **"خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ،**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩).

(٢) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٦٤ / ١٤٨) والبيهقي في الشعب (٨٠٥٩).

(٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني (٢ / ٣٥٥) .

وَلاَ: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلاَ: أَلاَّ صَنَعْتَ"[١].

٦ - الرفق بالحيوان:

فمن الرفق بالحيوان أن تدفع عنه أنواع الأذىٰ كالعطش والجوع والمرض والحمل الثقيل.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (١٦٦٢).

٢٣- السماحة

معنى السماحة لغة:

قال ابن فارس: "السِّينُ والمِيمُ والحَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَىٰ سَلَاسَةٍ وَسُهُولَةٍ. يُقَالُ سَمَحَ لَهُ بِالشَّيْءِ. وَرَجُلٌ سَمْحٌ، أَيْ جَوادٌ، وَقَوْمٌ سُمَحَاءُ وَمَسَامِيحُ"[(١)].

معنى السماحة ٱصطلاحًا:

السماحة في الاصطلاح تطلق علىٰ معنيين:

الأول: السماحة: هي إذا جادَ وأعْطىٰ عن كَرَم وسَخَاء[(٢)].

الثاني: في معنى التسامح مع الغير في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها التي تتجلىٰ في التيسير وعدم القهر، وسماحة المسلمين التي تبدو في تعاملاتهم المختلفة سواء مع بعضهم أو مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرىٰ[(٣)].

مرادفات السماحة:

الكرم: وهو إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي.

والإيثار: هو فضيلة للنفس بها يكف الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتىٰ يبذله لمن يستحقه.

والنبل: هو سرور النفس بالأفعال العظام وابتهاجها بلزوم هٰذِه السيرة.

والمواساة: هي معاونة الأصدقاء والمستحقين ومشاركتهم في الأموال

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣ / ٩٩)، وانظر: القاموس المحيط (ص ٢٨٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢ / ٣٩٨).

(٣) نضرة النعيم (٦ / ٢٢٨٨).

والأقوات.

والسماحة: هي بذل بعض ما لا يجب.

والمسامحة: هي ترك بعض ما يجب. والجميع يكون بالإرادة والاختيار[١].

الترغيب في السماحة من القرآن والسنة:

الترغيب في السماحة من القرآن الكريم:

١- قال تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قال الآلوسي رحمه الله: أي خذ ما عفا وسهل وتيسر من أخلاق الناس، وإلىٰ هٰذا ذهب ابن عمر وابن الزبير وعائشة ومجاهد رضي الله عنهم وغيرهم..، والأخذ مجاز عن القبول والرضا، أي ارض من الناس بما تيسر من أعمالهم وما أتىٰ منهم وتسهل من غير كلفة، ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتىٰ لا ينفروا، ومن ذلك قوله:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب[٢]

٢- وقال سبحانه: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .[البقرة: ٢٣٧].

قال ابن عاشور رحمه الله: " ومعنىٰ كون العفو أقرب للتقوىٰ: أن العفو أقرب إلىٰ صفة التقوىٰ من التمسك بالحق لأن التمسك بالحق لا ينافي التقوىٰ لكنه يؤذن بتصلب صاحبه وشدته، والعفو يؤذن بسماحة صاحبه ورحمته، والقلب المطبوع على السماحة والرحمة أقرب إلى التقوىٰ من القلب الصلب الشديد، لأن التقوىٰ تقرب بمقدار قوة الوازع، والوازع شرعي

---

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه (٣١).

(٢) روح المعاني (٥/ ١٣٧).

وطبيعي، وفي القلب المفطور على الرأفة والسماحة لين يزعه عن المظالم والقساوة، فتكون التقوىٰ أقرب إليه، لكثرة أسبابها فيه.

وقوله: ولا تنسوا الفضل بينكم تذييل ثان، معطوف على التذييل الذي قبله، لزيادة الترغيب في العفو بما فيه من التفضل الدنيوي، وفي الطباع السليمة حب الفضل. "[١].

٣- ونفىٰ الله عن رسوله الفظاظة وغلظ القلب فقال تعالىٰ:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال ابن كثير رحمه الله: والفظ الغليظ، والمراد به هاهنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك غليظ القلب أي لو كنت سيء الكلام، قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم[٢].

٤- وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [البقرة: ٢٨٠].

ففي هٰذِه الآية وجه الله الدائنين إلى التيسير على المدينين المعسرين، فعلمهم الله بذلك سماحة النفس، وحسن التغاضي عن المعسرين[٣].

الترغيب في السماحة من السنة النبوية:

١- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَىٰ، وَإِذَا اقْتَضَىٰ"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٤٦٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٣٠).

(٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها (٢ / ٤٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (٢٠٧٦).

قال ابن بطال: "فيه الحضُ على السماحة وحسن المعاملة، واستعمال معالي الأخلاق ومكارمها، وترك المشاحة والرقة في البيع، وذلك سبب إلىٰ وجود البركة فيه لأن النبي ﷺ لا يحض أمته إلا علىٰ ما فيه النفع لهم في الدنيا والآخرة"(١).

٢- وعَنِ ابن مَسْعُودٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ؟ قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ قَرِيبٍ سَهْلٍ(٢).

قال القاري: "أي: تحرم علىٰ كل سهل طلق حليم لين الجانب، ثم قوله: "هين" فعيل من الهون وهو السكون والوقار والسهولة (قريب) أي: من الناس بمجالستهم في محافل الطاعة وملاطفتهم قدر الطاعة (سهل) أي: في قضاء حوائجهم، أو معناه: أنه سمح القضاء، سمح الاقتضاء، سمح البيع، سمح الشراء علىٰ ما ورد في فضل المؤمن الكامل"(٣).

٣- وعَنْ أَبِي مُوسَىٰ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَىٰ قَدْرِ الأَرْضِ. جَاءَ مِنْهُمُ الأَبْيَضُ والأَحْمَرُ والأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، والخَبِيثُ، والطَّيِّبُ والسَّهْلُ، والحَزْنُ وَبَيْنَ ذَلِكَ"(٤).

قَالَ الطِّيبِيُّ: ولما كانت الأوصاف الأربعة ظاهرة في الإنسان والأرض أجريت علىٰ حقيقتها، وأولت الأربعة الأخيرة؛ لأنها من الأخلاق الباطنة، فإن المعني بالسهل الرفق واللين، وبالحزن الخرق والعنف، وبالطيب الذي

---

(١) شرح البخاري (٦ / ٢١٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٨٨)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٥٠٥٣)، وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (١٧٤٤).

(٣) مرقاة المفاتيح للقاري (٨/ ٣١٧٩).

(٤) أخرجه أحمد (١٩٥٨٢)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٩٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٥٩).

يعني به الأرض العذبة المؤمن الذي هو نفع كله، وبالخبيث الذي يراد به الأرض السبخة الكافر الذي هو ضر كله"[١].

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في (السماحة):

- قال عليّ رضي الله عنه: أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم، فما يعثر منهم عاثر إلّا ويده بيد الله يرفعه[٢].

- وعن أَبي عُبَيْدَة قال: كانَ الحَسَنُ إذا ٱشترىٰ شيئا وكان في ثمنه كسر جبره لصاحبه. قال: ومر الحسن بقوم يقولون: نقص دانق، وزيادة دانق. فقال: "ما هٰذا لا دين إلا بمروءة"[٣].

- ذكر الأبشيهي في مستطرفه: أن رجلًا سب رجلا وقال له: إياك أعني، فقال الآخر وعنك أعرض[٤].

- وقيل: من عادة الكريم إذا قدر غفر وإذا رأىٰ زلّة ستر[٥].

- وقال الشّافعيّ رحمه الله:

وعاشر بمعروف وسامح من ٱعتدىٰ ودافع ولٰكن بالّتي هي أحسن[٦]

نماذج من سماحة النبي ﷺ:

- عن أنس رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: والله لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّىٰ أَمُرَّ عَلَىٰ صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي

(١) مرقاة المفاتيح (١/ ١٧٦)

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف (١ / ١٩٧).

(٣) المصدر السابق (١٣٣ / ٣٠٣).

(٤) ، (٥) المستطرف (١ / ١٩٧).

(٦) ديوان الشافعي (١١٩).

السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: "**يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟**" قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ[(١)].

- ومن سماحته ﷺ قضاء حوائج الناس فعن أنس رضي الله عنه قَالَ: "إِنْ كَانَت الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ"[(٢)].

- ومن سماحته ﷺ تعامله مع الأعرابي الذي جذب رداءه بشدة ليأمر له بعطاء. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ البُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الذِي عِنْدَكَ، فَالتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ[(٣)].

- ومن سماحته في قضاء الدين ما ورد عَنْ أَبِي رَافِعٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ٱسْتَسْلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرًا، فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ إِبِلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَأَمَرَ أَبَا رَافِعٍ أَنْ يَقْضِيَ الرَّجُلَ بَكْرَهُ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ أَبُو رَافِعٍ، فَقَالَ: لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا خِيَارًا رَبَاعِيًا، فَقَالَ: أَعْطِهِ إِيَّاهُ، إِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً[(٤)].

نماذج من سماحة السلف مع غير المسلمين:

١ - في خلافة أبي بكر رضي الله عنه كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق -وكانوا من النصارىٰ-: " وَجَعَلْتُ لَهُمْ أَيُّمَا شَيْخٍ ضَعُفَ عَنِ العَمَلِ أَوْ أَصَابَتْهُ آفَةٌ مِنَ الآفَاتِ أَوْ كَانَ غَنِيًا فَافْتَقَرَ وَصَارَ أَهْلُ دِينِهِ يَتَصَدَّقُونَ عَلَيْهِ طَرَحْتُ جِزْيَتَهُ وَعِيلَ مِنْ بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِينَ"[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٠).
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٧١).
(٣) أخرجه البخاري (٣١٤٩).
(٤) أخرجه مسلم (١٦٠٠).
(٥) الخراج لأبي يوسف (١/ ١٥٧).

٢- كما أن أبا بكر ﷺ كان يوصي الجيوش الإسلامية بقوله: "وستمرون علىٰ قوم في الصوامع رهبانًا يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم"(١).

٣- وعَن أبي بكرَة قَالَ: مَرَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ بِبَابِ قَوْمٍ وَعَلَيْهِ سَائِلٌ يَسْأَلُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَرِيرُ البَصَرِ، فَضَرَبَ عَضُدَهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَقَالَ: مِنْ أَيِّ أَهْلِ الكِتَابِ أَنْتَ؟ فَقَالَ: يَهُودِيٌّ. قَالَ: فَمَا أَلْجَأَكَ إِلَىٰ مَا أَرىٰ؟ قَالَ: أَسْأَلُ الجِزْيَةَ والحَاجَةَ والسِّنَّ. قَالَ: فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ فَرَضَخ لَهُ بِشَيْءٍ مِنَ المَنْزِلِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَىٰ خَازِنِ بَيْتِ المَالِ فَقَالَ: ٱنْظُرْ هٰذا وَضُرَبَاءَهُ؛ فَواللَّهِ مَا أَنْصَفْنَاهُ أَن أكلنَا شبيته ثُمَّ نَخْذُلُهُ عِنْدَ الهَرَمِ "إِنَّمَا الصَّدقَات للْفُقَرَاء والمَسَاكِين"، والفُقَرَاءُ هُمُ المُسْلِمُونَ وهٰذا مِنَ المَسَاكِينِ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَوَضَعَ عَنْهُ الجِزْيَةَ وَعَنْ ضُرَبَائِهِ. قَالَ: قَالَ أَبُو بكرَة: أَنَا شَهِدْتُ ذَلِكَ مِنْ عُمَرَ وَرَأَيْتُ ذَلِكَ الشَّيْخَ(٢).

٤- وأوصىٰ عمر في مرض موته الخليفة من بعده فقال: "وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَىٰ لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَأَنْ لَا يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ"(٣).

٥ - وعَنْ مُجَاهِدٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ فِي أَهْلِهِ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا اليَهُودِيِّ؟ أَهْدَيْتُم لِجَارِنَا اليَهُودِيِّ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**"(٤).

٦- وكتب عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ إِلَىٰ عَدِيِّ بْنِ أَرْطَاةَ فقال: ...، وانْظُرْ مِنْ قِبَلِكَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ قَدْ كَبِرَتْ سِنُّهُ، وَضَعُفَتْ قُوَّتُهُ، وَوَلَّتْ عَنْهُ المَكَاسِبُ،

---

(١) ذكره الواقدي في فتوح الشام (١/ ٨).

(٢) الخراج لأبي يوسف (ص ١٣٩). (٣) أخرجه البخاري (١٣٩٢).

(٤) أخرجه أبو داود (٥١٥٢)، والترمذي (١٩٤٣)، وقال: حسن غريب من هٰذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٧٤).

فَأَجْرِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِينَ مَا يُصْلِحُهُ، فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنَ المُسْلِمِينَ كَانَ لَهُ مَمْلُوكٌ كَبِرَتْ سِنُّهُ وَضَعُفَتْ قُوَّتُهُ وَوَلَّتْ عَنْهُ المَكَاسِبُ كَانَ مِنَ الحَقِّ عَلَيْهِ أَنْ يَقُوتَهُ حَتَّىٰ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا مَوْتٌ أَوْ عِتْقٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ مَرَّ بِشَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ يَسْأَلُ عَلَىٰ أَبْوابِ النَّاسِ، فَقَالَ: مَا أَنْصَفْنَاكَ، أَنْ كُنَّا أَخَذْنَا مِنْكَ الجِزْيَةَ فِي شَبِيبَتِكَ ثُمَّ ضَيَّعْنَاكَ فِي كِبَرِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَجْرىٰ عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ المَالِ مَا يُصْلِحُهُ»[1].

صور السماحة:

الناس على ٱختلاف مستوياتهم في الذكاء، واختلاف نماذجهم الخلقية يوجد فيهم من يتمتعون بخلق سماحة النفس، فهم هينون لينون سمحاء، ويوجد فيهم آخرون نَكِدون متشددون يتذمرون من كل شيء لا يوافق هواهم[2].

وصور سماحة النفس كثيرة فمنها:

١- السماحة في التعامل مع الآخرين:

ويكون بعدم التشديد والغلظة في التعامل مع الآخرين حتىٰ ولو كان خادمًا، فعن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ، وَلَا لِمَ صَنَعْتَ، وَلَا أَلَّا صَنَعْتَ»[3].

٢- السماحة في البيع والشراء:

وتكون السماحة في البيع والشراء، بأن لا يكون البائع مغاليًا في الربح، ومكثرا في المساومة، بل عليه أن يكون كريم النفس. وبالمقابل على المشتري أيضًا أن يتساهل وأن لا يدقق في الفروق البسيطة، وأن يكون كريمًا مع البائع وخاصة إذا كان فقيرًا.

---

(١) الأموال للقاسم بن سلام (ص ٥٧).

(٢) الأخلاق الإسلامية (٢/ ٤٤١). (٣) أخرجه البخاري (٦٠٣٨).

٣- السماحة في قضاء الحوائج:

فإنَّ الذي يقضي حوائج الناس فينفس كربتهم، وييسر علىٰ معسرهم ييسر الله عنه في الدنيا والآخرة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، واللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"(١).

٤- السماحة في الاقتضاء:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [البقرة: ٢٨٠].

فمن السماحة في الاقتضاء أن يراعي حال المدين، وأن لا يطالبه بشدة وأمام الناس، فعَنِ ابن عُمَرَ، وَعَائِشَةَ رضي الله عنهما، قالاَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: "مَنْ طَلَبَ حَقًّا، فَلْيَطْلُبْهُ فِي عَفَافٍ، وافٍ أَوْ غَيْرِ وافٍ"(٢).

٥- السماحة في العمل التطوعي:

ويكون ذلك بأن يكون العامل سمحًا في معاملته مع زملائه وإخوانه المشاركين له في هٰذا العمل، وأن يكون حسن الخلق معهم، ويتحمل ما قد يقع من غلظة من أحدهم ما دام أنه يعمل لوجه الله تعالىٰ.

وأيضًا يكون سمحًا مع من يتعامل معهم من بقية الناس الذين يختلط بهم، وأن يرفق بهم في كلامه، ويتلطف معهم، وألا يجرح مشاعرهم بنظرة أو بكلمة، فما هو إلا أمين ٱستأمنه الله علىٰ عمل خير، فليتق الله فيه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٤٢١) وابن حبان في صحيحه (٥٠٨٠) والبزار في مسنده (٥٩٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٥٦).

علامات سماحة النفس:

هناك علامات للمتصف بخلق السماحة منها:

أولًا: طلاقة الوجه واستقبال الناس بالبشر، ومشاركتهم بالسمع والفكر والقلب.

وطلق الوجه، حسن البشر بالناس محبب إليهم، مألوف في نفوسهم، قريب إلىٰ قلوبهم.

وقد حث الرسول ﷺ علىٰ هٰذِه الصفة بقوله وعمله، فمن ذلك ما يلي:

- عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: "**لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ**"[(١)].

وقد كان رسول الله ﷺ دائم البشر، طلق الوجه مشرقًا، يواجه الناس بابتسامة حلوة، ويشارك الناس بمشاعره وحواسه.

١- عن عَبْدَ اللهِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ، قال: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ"[(٢)].

٢- وعَنْ جَرِيرٍ ﷺ قَالَ: "مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي"[(٣)].

ثانيًا: مبادرة الناس بالتحية والسلام والمصافحة وحسن المحادثة:

فمن كان سمح النفس بادر إلىٰ هٰذِه المحاسن، ووجودها في الإنسان طبيعية غير متكلفة، يدل علىٰ أنه سمح هين لين رقيق حاشية النفس، ألوف ودود لا فظ ولا غليظ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٤١)، وأحمد (١٧٧٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٣٥) ومسلم (٢٤٧٥).

وقد حث الإسلام علىٰ هٰذِه المحاسن من ظواهر الأخلاق الاجتماعية بنصوصه، كما كان الرسول ﷺ أسوة حسنة فيها بعمله وأخلاقه

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لاَ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ**"[١].

ثالثًا: حسن المصاحبة والمعاشرة والتغاضي وعدم التشدد في الأمور:

فمن كان سمح النفس كان حسن المصاحبة لإخوانه، ولأهله، ولأولاده، ولخدمه، ولكل من يخالطه، ولكل من يرعاه.

وكان حسن المعاشرة خفيف المحاسبة والمؤاخذة، متغاضيًا عن المخالفات التي تتعلق به، لا يتشدد في الأمور، ولا يعظم الصغائر، بل يلتمس العذر لمن يقصر معه أو لا يعطيه من الاحترام أو الخدمة حقه.

وقد كان رسول الله ﷺ المثل الكامل في ذلك كله؛ فعن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلَا لِمَ صَنَعْتَ، وَلَا أَلَّا صَنَعْتَ[٢].

فكان ﷺ من سماحة نفسه وخلقه العظيم لا يتضجر من عملٍ عمله خادمه ولو خالف ما يريد منه، ولا يلومه علىٰ عمل لوما صريحا ولا لوما غير صريح، وإذا كان هٰذا شانه مع خادمه، فكيف ببقية أصحابه.

وهٰذا مهم جدًا لمن يعمل في العمل التطوعي أن يحاول بقدر المستطاع التخلق بأخلاق نبيه ﷺ في معاملته مع الناس، ومن يحتاجونه، وأن يصبر عليهم ويتحملهم، وله الأجر الكبير من العلي الكبير يوم القيامة.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٤). (٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٨).

٢٤- الصبر

تعريف الصبر لغة:

الصَّبْرُ نقيض الجَزَع صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْرًا فهو صابِرٌ وصَبَّار وصَبِيرٌ وصَبُور والأُنثىٰ صَبُور أَيضًا بغير هاء وجمعه صُبُرٌ. وأَصل الصَّبْر الحَبْس وكل من حَبَس شيئًا فقد صَبَرَه[(١)].

معنى الصبر اصطلاحًا:

عرفه ابن القيم بقوله: هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل،وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها[(٢)].

وقيل الصبر: حبس النفس علىٰ ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه[(٣)].

أهمية الصبر في العمل التطوعي[(٤)]:

لاشك أن العمل التطوعي في أصله دعوة إلىٰ الله تعالىٰ، والصبر في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ من أهم المهمات، ومن أعظم الواجبات على الدعاة إلىٰ الله ﷻ، والصبر وإن كان واجبًا بأنواعه علىٰ كل مسلم، فإنه على

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٤/ ٤٣٧)، انظر: الصحاح للجوهري (ص٧٠٦)، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣/ ٧، والمصباح المنير، ١/ ٣٣١، والقاموس المحيط ص٥٤٠.

(٢) عدة الصابرين لابن القيم (ص ٣٤)

(٣) مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني (٤٧٤).

(٤) أنواع الصبر ومجالاته د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني صـ ٥- ١٠ بتصرف

الدعاة إلىٰ الله من باب أولىٰ وأولىٰ؛ ولهٰذا أمر الله به إمام الدعاة وقدوتهم رسول الله عليه الصلاة والسلام: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٧، ١٢٨] وقال تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤]، فهٰذا سيد ولد آدم ﷺ قد أمره الله بالصبر.

والله سبحانه قد أوضح للناس أنه لابد من الابتلاء، والاختبار، والامتحان لعباده، وخاصة الدعاة إلىٰ الله تعالىٰ؛ ليظهر الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، والصابر من غيره، وهٰذه سنة الله في خلقه، قال سبحانه: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ١-٣]، وقال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ والصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

وقد ذم الله ﷻ من لم يصبر على الأذىٰ من أجل الدعوة إلىٰ الله فقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]. ولهٰذا قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤]. وقال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وتبرز أهمية الصبر في الدعوة إلى الله في عدة أمور، منها:

أولًا: إن الابتلاء للدعاة إلى الله لابد منه:

فلو سلم أحد من الأذىٰ لسلم رسل الله عليهم الصلاة والسلام وعلىٰ رأسهم إمامهم محمد بن عبد الله عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فقد أُوذوا فصبروا، وجاهدوا حتىٰ نصرهم الله علىٰ أعداء الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، ولاشك أن كل داعية مخلص يصيبه الأذىٰ، وإن سلم أحد فذلك من أندر النوادر.

ثانيًا: الصبر يحتاجه المتطوع في ثلاثة أحوال:

١ - قبل العمل بتصحيح النية والإخلاص، وتجنب دواعي الرياء والسمعة، وعقد العزم على الوفاء بالواجب.

٢ - أثناء العمل، فيلازم الصبر عن دواعي التقصير والتفريط، ويلازم الصبر على ٱستصحاب ذكر النية، وعلىٰ حضور القلب بين يدي الله تعالىٰ، ولا ينساه في أمره.

٣ - بعد العمل، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن يُصبِّر نفسه عن الإتيان بما يُبطل عمله، فليس الشأن الإتيان بالطاعة، وإنما الشأن في حفظها مما يبطلها.

الوجه الثاني: أن يصبر عن رؤيتها والعجب بها، والتكبر، والتعظم بها.

الوجه الثالث: أن يصبر عن نقلها من ديوان السر إلىٰ ديوان العلانية، فإن العبد يعمل العمل سرًّا بينه وبين الله سبحانه فيكتب في ديوان السر، فإن تحدث به نُقل إلىٰ ديوان العلانية[1].

---

(١) عدة الصابرين، ص٩٠.

ثالثا: الصبر يشتمل على أكثر مكارم الأخلاق:

فيدخل فيه الحلم؛ فإنه صبر عن دواعي الأنتقام عند الغضب، والأناة: صبر عن إجابة دواعي العجلة، والعفو والصفح صبر عن إجابة دواعي الأنتقام، والجود والكرم صبر عن إجابة دواعي الإمساك، والكيس: صبر عن إجابة دواعي الكسل والخمول، والعدل صبر إذا تعلق بالتسوية بين المتماثلين، وسعة الصدر صبر عن الضجر، والكتمان وحفظ السر صبر عن إظهار ما لا يحسن إظهاره، والشجاعة صبر عن إجابة دواعي الفرار، وهٰذا يدل علىٰ أهمية الصبر في العمل التطوعي، وأن المتطوع لا يسعه أن يستغني عنه في جميع أحواله.

رابعًا: الصبر يجعل الداعية إلى الله ﷻ يضبط نفسه:

الصبر يجعل الداعية إلىٰ الله ﷻ يضبط نفسه عن أمور لابد له من الأبتعاد عنها، ومنها: ضبط النفس عن الأندفاع بعوامل الضجر، والجزع، والسأم، والملل، والعجلة، والرعونة، والغضب، والطيش، والخوف، والطمع، والأهواء، والشهوات، وبالصبر يتمكن الداعية أن يضع الأشياء مواضعها، ويتصرف في الأمور بعقل واتِّزان، وينفِّذ ما يريد من تصرف في الزمن المناسب بالطريقة المناسبة الحكيمة، وعلى الوجه المناسب، بخلاف عدم الصبر الذي يوقع في التسرع والعجلة، فيضع الداعية الأشياء في غير مواضعها، ويتصرف فيخطئ في تحديد الزمان، ويسيء في طريقة التنفيذ، وربما يكون صاحب حق فيكون مفسدًا، ولو أنه اعتصم بالصبر لسلم من ذلك كله بإذن الله تعالىٰ[1].

---

(١) انظر: عدة الصابرين لابن القيم ص١٤٠، والأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حبنكة٢/ ٣٠٥، ٣٢٩.

منزلة الصبر:

ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ منزلة الصبر.

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعًا.

وهو واجب بإجماع الأمة. وهو نصف الإيمان. فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر. وهو مذكور في القرآن علىٰ ستة عشر نوعًا.

الأول: الأمر به. نحو قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٢] وقوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥] وقوله: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وقوله ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

الثاني: النهي عن ضده كقوله ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقوله: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥] فإن تولية الأدبار. ترك للصبر والمصابرة وقوله ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣] فإن إبطالها ترك الصبر علىٰ إتمامها. وقوله ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران: ١٣٩] فإن الوهن من عدم الصبر.

الثالث: الثناء علىٰ أهله، كقوله تعالىٰ: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٧] وقوله ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٦] وهو كثير في القرآن.

الرابع: إيجابه ﷻ محبته لهم. كقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

الخامس: إيجاب معيته لهم. وهي معية خاصة. تتضمن حفظهم ونصرهم، وتأييدهم. ليست معية عامة. وهي معية العلم، والإحاطة. كقوله ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٧] وقوله: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩، والأنفال: ٦٦].

السادس: إخباره بأن الصبر خير لأصحابه. كقوله ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ

لِلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] وقوله ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النساء: ٢٤].

السابع: إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم. كقوله تعالىٰ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

الثامن: إيجابه سبحانه الجزاء لهم بغير حساب. كقوله تعالىٰ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [يونس: ٣٩].

التاسع: إطلاق البشرىٰ لأهل الصبر. كقوله تعالىٰ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥].

العاشر: ضمان النصر والمدد لهم. كقوله تعالىٰ ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢٥]، ومنه قول النبي ﷺ: "**واعلم أن النصر مع الصبر**".

الحادي عشر: الإخبار منه تعالىٰ أن أهل الصبر هم أهل العزائم. كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورىٰ: ٤٣].

الثاني عشر: الإخبار أنه ما يُلَقَّى الأعمال الصالحة وجزاءها والحظوظ العظيمة إلا أهل الصبر، كقوله تعالىٰ ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠] وقوله ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٥].

الثالث عشر: الإخبار أنه إنما ينتفع بالآيات والعبر أهل الصبر كقوله لموسىٰ ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥] وقوله في أهل سبأ ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩] وقوله في سورة الشورىٰ ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الشورىٰ: ٣٣].

الرابع عشر: الإخبار بأن الفوز المطلوب المحبوب، والنجاة من المكروه المرهوب، ودخول الجنة، إنما نالوه بالصبر. كقوله تعالىٰ ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ

عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٦].

الخامس عشر: أنه يورث صاحبه درجة الإمامة. سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه- يقول: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين. ثم تلا قوله تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

السادس عشر: اقترانه بمقامات الإسلام، والإيمان، كما قرنه سبحانه باليقين وبالإيمان والتوكل. وبالشكر والعمل الصالح والرحمة(١).

١- قرنه باليقين: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

٢- ربطه الله تعالىٰ بالشكر في أربع سور: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

٣- جمعه مع التوكل: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢].

٤- قرنه بالصلاة: ﴿واسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ والصَّلاَةِ إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

٥- قرنه بالتسبيح والاستغفار: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور: ٤٨].

٦- جمعه مع الجهاد: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

٧- ربطه بالتقوىٰ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

٨- ربطه بالحق: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

٩- قرنه بالرحمة: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٢٥٢.

السابع عشر: رتَّب الله تعالىٰ خيرات الدنيا والآخرة على الصبر ومن ذلك:

١- معيَّة الله مع الصابرين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

٢- محبَّة الله للصابرين ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

٣- صلوات الله ورحمته على الصابرين ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧].

٤- ضمان النصر والمدد للصابرين:

﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٥- ١٢٦].

٥- الحفظ من كيد الأعداء ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

٦- استحقاق دخول الجنة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٧٥].

أقوال السلف في الصبر:

قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: إِنَّا وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبِرِ[(١)].

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: الصَّبْرُ مِنَ الدِّينِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ، إِذَا قُطِعَ الرَّأْسُ تَعرى الجَسَدُ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ[(٢)].

وَقَالَ أيضًا: الصَّبْرُ مَطِيَّةٌ لَا تَكْبُو[(٣)].

---

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك (٦٣٠).

(٢) المدخل إلى السنن الكبرىٰ للبيهقي (ص ٤٣١)، جامع معمر بن راشد (٢١٠٣١).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ١٥٨).

قال عبد الله بن مسعود: الصَّبْرُ نِصْفُ الإِيمَانِ، واليَقِينُ الإِيمَانُ كُلُّهُ[(١)].

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ: مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ عَبْدٍ مِنْ نِعْمَةٍ فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ فَعَاضَهُ مِمَّا ٱنْتَزَعَ مِنْهُ صَبْرًا إِلاَّ كَانَ الذِي عَاضَهُ خَيْرًا مِمَّا ٱنْتَزَعَ مِنْهُ[(٢)].

قَالَ الحَسَنُ: قَطْرَتَانِ وَجُرْعَتَانِ، فَمَا جُرْعَةٌ أَحَبَّ إِلَىٰ اللهِ ﷻ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا عَبْدٌ بِحِلْمٍ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ، وَجُرْعَةِ مُصِيبَةٍ مُوجِعَةٍ يَصْبِرُ عَلَيْهَا عِنْدَ اللهِ، قَالَ: وَمَا قَطْرَةٌ أَحَبَّ إِلَىٰ اللهِ ﷻ مِنْ قَطْرَةِ دَمٍ فِي سَبِيلِهِ أَوْ قَطْرَةِ دَمْعٍ مِنْ عَبْدٍ سَاجِدٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ لَا يَرَىٰ مَكَانَهُ إِلَّا اللهُ ﷻ[(٣)].

وقال الحسن: الصَّبْرُ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الخَيْرِ، لَا يُعْطِيهِ اللهُ إِلَّا لِعَبْدٍ كَرِيمٍ عَلَيْهِ[(٤)].

عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: الخَيْرُ الذِي لا شَرَّ فِيهِ: الشُّكْرُ مَعَ العَافِيَةِ، والصَّبْرُ عِنْدَ المُصِيبَةِ؛ فَكَمْ مِنْ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ غَيْرِ شَاكِرٍ، وَمُبْتَلًى غَيْرِ صَابِرٍ[(٥)].

نماذج فيمن وصف بالصبر:

صبر الأنبياء على أذى أقوامهم:

ومن أشد الناس صبرًا على البلاء الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، عَنْ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: **"الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا ٱشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ٱبْتُلِيَ عَلَىٰ**

---

(١) السنة لأبي بكر بن الخلال (٥/ ٢٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٦٢٤٢).

(٣) شعب الإيمان (١٠/ ٥٤٩).

(٤) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (ص ٢٨).

(٥) المجالسة وجواهر العلم (٦/ ٣١٣).

حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّىٰ يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ"[١].

فكم لاقى الأنبياء من أقوامهم من التكذيب والصد عن الحق، والرغبة إلى الباطل، فكذبوا بعضهم، وقتلوا آخرين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقال تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ تسلية له، وبيانًا لما حصل للأنبياء قبله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [فاطر ١٨٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان ٣١]، وما قَالَهُ عَبْدُاللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: ﴿اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

ومع ذلكم التكذيب ومعاداة الأنبياء، إلا أن أنبياء الله ورسله صبروا علىٰ تكذيب أقوامهم فنالوا أشرف المنىٰ، واعتلوا أعلى المكانة، وكانت العاقبة لهم، والنصر والتمكين نتيجة صبرهم واحتمال أذىٰ أقوامهم.

أخرج البخاري من حديث عَبْدَاللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ كَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ فَزَعَمْتَ: أَنَّ الحَرْبَ سِجَالٌ وَدُوَلٌ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَىٰ ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ العَاقِبَةُ"[٣].

فما من قوم إلا وكذبوا نبيهم وربما تطاولوا عليه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ٢/ ٥٦٥.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٤)، ومسلم (١٧٧٣).

فقال قوم نوح لنبيهم: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠﴾ [الأعراف: ٦٠].

وقال قوم هود لنبيهم: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦٦﴾ [الأعراف: ٦٦].

وقال قوم لوط لنبيهم: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٨٢﴾ [الأعراف: ٨٢].

وقال قوم شعيب لنبيهم: ﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ۝٨٨﴾ [الأعراف: ٨٨].

وقال قوم موسىٰ لنبيهم: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝١٠٩﴾ [الأعراف: ١٠٩] **وقال قوم إبراهيم لنبيهم**: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨﴾ [الأنبياء: ٦٨].

ولقد تعرض نبينا محمد ﷺ لأذىٰ قومه مرارًا، **ولكنه صبر رجاء إسلامهم**، ومن صور تحمله للأذىٰ حديث عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ البَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَىٰ جَزُورِ بَنِي فُلاَنٍ، فَيَضَعُهُ عَلَىٰ ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى القَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّىٰ سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ، وَضَعَهُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لاَ أُغْنِي شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ سَاجِدٌ لاَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّىٰ جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: "**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**". ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ البَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّىٰ: "**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، والوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**" - وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ -، قَالَ: فَوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَرْعَىٰ،

فِي القَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ"[١].

ومع دعوة النبي ﷺ لقومه إلا أنهم كذبوه واتهموه بالجنون والسحر والشعوذة والشعر، وحاولوا قتله، وطردوه من بلده، وآذوه أيما أذية، ومع ذلك صبر واحتسب، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥].

وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ: "**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ**، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٩١)

٢٥- كظم الغيظ

احتمال الجاهل والسفيه مطلب هام لا بد للمتطوع من مراعاته فلا يحمله جهل الناس عليه أن يجهل عليهم، بل يكظم غيظه ويصبر محتملًا الأذىٰ من الناس صابرًا عليهم.

تعريف كظم الغيظ:

الكظم: الكَافُ والظَّاءُ والمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنًى واحِدٍ، وَهُوَ الإِمْسَاكُ والجُمَعُ لِلشَّيْءِ.

وأصل الكظم: حبس الشيء عن ٱمتلائه، يقال: كظمت القربة إذا ملأتها، كَظَمَه يَكْظِمُه كَظْمًا: ردَّه وحبَسَه، فَهُوَ رَجُلٌ كَظِيمٌ، والغَيْظُ مَكْظُوم[١].

الغيظ: الغَيْظُ غَضَبٌ كَامِنٌ لِلْعَاجِزِ، وَقِيلَ: هُوَ أَشدُّ مِنَ الغضَب، وَقِيلَ: هُوَ سَوْرَتُه وأَوّله. وغِظتُ فُلَانًا أَغِيظه غَيْظًا وَقَدْ غَاظَهُ فَاغْتَاظَ وغَيَّظَه فتَغَيَّظ وَهُوَ مَغِيظٌ[٢].

كظم الغيظ:

كَظْم الغَيْظ: تَجَرُّعُه واحْتِمالُ سَبَبه والصَّبْرُ عَلَيْهِ[٣].

ويقالُ: كظم غيظه أي: سَكَتَ عليه ولم يُظهره بقولٍ أو فعل. مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ إِيقَاعِهِ بعدوه[٤].

---

(١) مقاييس اللغة (٥ / ١٨٤)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن (٣/ ١٦٥)، ولسان العرب (١٢/ ٥١٩)

(٢) لسان العرب (٧ / ٤٥٠)، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣ / ٤٠٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤ / ١٧٨)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ١٧٩).

(٤) تفسير القرطبي (٤ / ٢٠٦)، ومعجم ديوان الأدب (٢/ ١٨٦).

فوائد كظم الغيظ:

١- ٱعْتِدَادُ الجَنَّةِ لَهُ:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

قال الطيبي: وإنما حمد الكظم لأنه قهر للنفس الأمارة بالسوء، ولذلك مدحهم الله تعالىٰ بقوله: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤][(١)].

٢- سبب في دفع الإساءة بالإحسان والمكروه بالمعروف والقهر باللطف:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

قال الزجاج: وما يلقىٰ هٰذِه الفعلة وهٰذِه الحالة، وهي دفع السيئة بالحسنة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ علىٰ كظم الغيظ، واحتمال المكروه[(٢)].

٣- سببٌ في دفع الإساءة بالإحسان:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ تَـدَّعُونَ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصّلت: ٣٤-٣٥].

٤- مِنْ أَعْظَمِ العِبَادَةِ وَجِهَادِ النَّفْسِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**لَيسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا**

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣١٨١).

(٢) التفسير الوسيط للواحدي (٤ / ٣٦)، تفسير البغوي (٤/ ١٣٤).

الشَّدِيدُ الذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ"[١]. قال النووي: فيه كظم الغيظ وإمساك النفس عند الغضب عن الانتصار والمخاصمة والمنازعة[٢].

٥- عظم الأجر بِهِ وتوفيره:

عَنِ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ، مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ**"[٣].

شَبَّهَ جَرْعَ غَيْظِهِ وَرَدَّهُ إِلَىٰ بَاطِنِهِ بِتَجَرُّعِ المَاءِ وَهِيَ أَحَبُّ جَرْعَةً يَتَجَرَّعُهَا العَبْدُ وَأَعْظَمُهَا ثَوابًا وَأَرْفَعُهَا دَرَجَةً لِحَبْسِ نَفْسِهِ عَنِ التَّشَفِّي وَلَا يَحْصُلُ هٰذا العِظَمُ إِلَّا عِنْدَ القُدْرَةِ عَلَى الانْتِقَامِ وَبِكَفِّ غَضَبِهِ لله. تَعَالَىٰ (ابْتِغَاءُ وَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ)[٤].

٦- التَّخْيِيرُ فِي الحُورِ العِينِ:

عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَىٰ رُءُوسِ الخَلَائِقِ حَتَّىٰ يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاءَ"[٥].

أقوال السلف والعلماء في كظم الغيظ:

* قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه: مَنْ خَافَ اللهَ لَمْ يَشْفِ غَيْظَهُ وَمَن اتَّقَىٰ اللهَ لَمْ يَصْنَعْ مَا يُرِيدُ، وَلَوْلَا يَوْمُ القِيَامَةِ لَكَانَ غَيْرَ مَا تَرَوْنَ[٦].

* قال عليّ رضي الله عنه: دم علىٰ كظم الغيظ تحمد عواقبك[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١٦٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٨٩)، والبخاري في الأدب المفرد (١٣١٨)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

(٤) فيض القدير (٥/ ٤٧٦). (٥) أخرجه أحمد (١٥٦٣٧)، والترمذي (٢٠٢١).

(٦) أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٤٨).

(٧) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار (صـ ٣٤٢).

* قَالَ الحَسَنُ: قَطْرَتَانِ وَجُرْعَتَانِ، فَمَا جُرْعَةٌ أَحَبَّ إِلَىٰ اللهِ ﷻ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا عَبْدٌ بِحِلْمٍ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ، وَجُرْعَةِ مُصِيبَةٍ مُوجِعَةٍ يَصْبِرُ عَلَيْهَا عِنْدَ اللهِ، قَالَ: وَمَا قَطْرَةٌ أَحَبَّ إِلَىٰ اللهِ ﷻ مِنْ قَطْرَةِ دَمٍ فِي سَبِيلِهِ أَوْ قَطْرَةِ دَمْعٍ مِنْ عَبْدٍ سَاجِدٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ لَا يَرىٰ مَكَانَهُ إِلَّا اللهُ ﷻ[١].

* قال ابن عبد البر: من كظم غيظه ورد غضبه؛ أخزىٰ شيطانه وسلمت مروءته ودينه[٢].

* قال الراغب: الكظم يدفع محذور الندم كالماء يطفىء حر الضرم. كظم يتردد في حلقي أحب إلىٰ من نقص أجده في خلقي[٣].

قال الغزاليّ: إنّ كظم الغيظ يحتاج إليه الإنسان إذا هاج غيظه ويحتاج فيه إلىٰ مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعوّد ذلك مدّة صار ذلك أعتيادا فلا يهيج الغيظ، وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب وحينئذ يوصف بالحلم.

الوسائل المعينة على كظم الغيظ[٤]:

هناك أسباب ينتج عنها أو عن واحد منها ضبط النفس وكظم الغيظ:

أولًا: الرحمة بالمخطئ والشفقة عليه، واللين معه والرفق به.

قال ﷻ لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ثانيًا: سعة الصدر وحسن الثقة؛ مما يحمل الإنسان على العفو.

ولهذا قال بعض الحكماء: "أحسنُ المكارمِ؛ عَفْوُ المُقْتَدِرِ وَجُودُ

(١) شعب الإيمان (١٠/ ٥٤٩). (٢) التمهيد (٧/ ٢٥٠).

(٣) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني (١/ ٢٧٧).

(٤) من دروس الشيخ سلمان العودة.

المُفْتَقِرِ"، فإذا قدر الإنسان علىٰ أن ينتقم من خصمه؛ غفر له وسامحه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورىٰ: ٤٣].

وقال يوسف لإخوته بعد ما أصبحوا في ملكه وتحت سلطانه: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

ثالثًا: شرف النفس وعلو الهمة.

بحيث يترفع الإنسان عن السباب، ويسمو بنفسه فوق هٰذا المقام.

رابعًا: طلب الثواب عند الله.

إنّ جرعة غيظ تتجرعها في سبيل الله ﷻ لها ما لها عند الله ﷻ من الأجر والرفعة.

خامسًا: ٱستحياء الإنسان أن يضع نفسه في مقابلة المخطئ.

وقد قال بعض الحكماء: "احْتِمَالُ السَّفِيهِ خَيْرٌ مِن التَّحَلِّي بِصُورَتِهِ والإِغْضَاءُ عَن الجَاهِلِ خَيْرٌ مِنْ مُشَاكَلَتِه".

وقال بعض الأدباء: "مَا أَفْحَشَ حَلِيمٌ وَلَا أَوْحَشَ كَرِيمٌ".

سادسًا: التدرب على الصبر والسماحة فهي من الإيمان.

إن هٰذِه العضلة التي في صدرك قابلة للتدريب والتمرين، فمرّن عضلات القلب علىٰ كثرة التسامح، والتنازل عن الحقوق، وعدم الإمساك بحظ النفس، وجرّب أن تملأ قلبك بالمحبة!

فلو ٱستطعت أن تحب المسلمين جميعًا فلن تشعر أن قلبك ضاق بهم، بل سوف تشعر بأنه يتسع كلما وفد عليه ضيف جديد، وأنه يسع الناس كلهم لو ٱستحقوا هٰذِه المحبة.

فمرّن عضلات قلبك على التسامح في كل ليلة قبل أن تخلد إلى النوم، وتسلم عينيك لنومة هادئة لذيذة.

سامح كل الذين أخطؤا في حقك، وكل الذين ظلموك، وكل الذين حاربوك، وكل الذين قصروا في حقك، وكل الذين نسوا جميلك، بل

وأكثر من ذلك. . أنهمك في دعاء صادق لله -ﷻ- بأن يغفر الله لهم، وأن يصلح شأنهم، وأن يوفقهم. .؛ ستجد أنك أنت الرابح الأكبر.

وكما تغسل وجهك ويدك بالماء في اليوم بضع مرات أو أكثر من عشر مرات؛ لأنك تواجه بهما الناس؛ فعليك بغسل هذا القلب الذي هو محل نظر الله ﷻ!

سابعًا: قطع السباب وإنهاؤه مع من يصدر منهم، وهذا لا شك أنه من الحزم .

حُكِيَ أن رجلا قال لضرار بن القعقاع: والله لو قلت واحدة؛ لسمعت عشرا! فقال له ضرار: والله لو قلت عشرا؛ لم تسمع واحدة!

ثامنًا: رعاية المصلحة:

ولهذا أثنى النبي ﷺ على الحسن رضي الله عنه بقوله: (ابْنِي هذا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[(١)].

فدل ذلك على أن رعاية المصلحة التي تحمل الإنسان على الحرص على الاجتماع، وتجنب المخالفة هي السيادة.

تاسعًا: حفظ المعروف السابق، والجميل السالف.

ولهذا كان الشافعي رحمه الله يقول: إِنَّ الحُرَّ مَنْ رَاعَىٰ وِدَادَ لَحْظَةٍ وانْتَمَىٰ لِمَنْ أَفَادَ لَفْظَةً.

عاشرًا: تذكير النَّفس بِمَا فِي الانتقام من نفرة القُلُوب عَن المتشفي بِهِ.

وَمن نسبته إِلَى الخفة والطيش وَأَشد من ذَلِك على الرؤساء إِعْمَال الحِيلَة عَلَيْهِم فِي طلب الخَلَاص مِنْهُم مَتىٰ عرفُوا بِسُرْعَة البَطْش ومعالجة الانتقام.

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٠٤).

٢٦- حسن السمت

الحُسْنُ لغة:

قال الرازي: الحُسْنُ ضد القبح والجمع مَحَاسِنُ علىٰ غير قياس كأنه جمع مَحْسَنٍ وقد حَسُنَ الشيء بالضم حُسْنا، وحَسَّن الشيء تحسِينًا زينه و أحْسَنَ إليه وبه وهو يحسن الشيء أي يعلمه ويستحسنه أي يعده حَسَنا(١).

السَّمْتُ اصطلاحًا:

الطريقُ وهَيْئَةُ أهلِ الخَيْرِ والسَّيْرُ على الطريقِ بالظَّنِّ وحُسْنُ النَّحْوِ وقَصْدُ الشيءِ(٢).

قال أبو عبيد: السمت يكون فِي مَعْنيين: أَحدهمَا: حسن الهَيْئَة والمنظر فِي مَذْهَب الدَّين وَلَيْسَ من الجمال والزينة ولكن يكون لَهُ هَيْئَة أهل الخَيْر ومنظرهم، وأما الوجه الآخر فَإِن السَّمت الطَّرِيق يُقَال: الزم هٰذا السَّمْتَ كِلَاهُمَا لَهُ معنىٰ جيد يكون أَن يلْزم طَرِيقَة أهل الإِسْلَام وَيكون أَن يكون لَهُ هَيْئَة أهل الإِسْلَام(٣).

حسن السمت اصطلاحًا:

قال ابن الأثير: حُسْن الهَيْئَة والمَنْظَرِ فِي الدِّين، وَلَيْسَ مِنَ الحُسْن والجَمَالِ(٤).

---

(١) مختار الصحاح (ص ١٦٧)، وانظر: الصحاح في اللغة للجوهري (٥/ ٢٠٩٩).

(٢) القاموس المحيط (ص ١٩٧).

(٣) غريب الحديث للقاسم بن سلام (٣/ ٣٨٤)، وانظر: غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٤٩٥).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٩٧).

قال ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ: حسن السمت صلاح الظاهر الذي يكون عن صلاح القلب[١].

قال ابن القيم رحمه الله: فالهدي الطريقة التي عليها العبد، من أخلاقه وأقواله وأعماله، والدل ما يدل من ظاهره علىٰ باطنه، والسمت هيأته ووقاره ورزانته[٢].

أثر السمت الحسن في العمل التطوعي:

السمت والمظهر الإسلامي هو أول رسالة دعوية تخرج من الإنسان؛ لتصل إلىٰ قلوب الآخرين فإذا نجحت الرسالة الأولىٰ كان وصول باقي الرسائل أكثر سهولة.

وأهل السنة أكرم الناس أخلاقًا، موصوفون بالاستقامة في الهدي والسمت والسلوك الظاهر.

قال الله ﷻ مادحا نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، وقال ﷺ: "**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**"[٣].

وقد ندبنا الله ﷻ إلى الاقتداء برسوله ﷺ، فقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

إن أهل السنة والجماعة هم حملة ميراث النبوة في جانبيها العلمي والعملي، ولا شك أن أبرز الجوانب العملية في الهدي النبوي هو الجانب الأخلاقي، ولذلك فإن أخلاق النبوة - من الرحمة، ومحبة الخير للناس، واحتمال أذاهم، والصبر علىٰ دعوتهم، هي المنبع الذي يستقي منه أهل

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية (١ ١٣٠).

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ١١٥).

(٣) أخرجه أحمد (٨٧٢٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، والحاكم في المستدرك (١٣)، وصححه، والألباني في صحيح الجامع (٢٣٤٩).

السنة خصائصهم السلوكية والأخلاقية، والتي لا تقل أهمية في منظور الحق عن ميراث العلم والهدى الذي ٱختص به الله هٰذِه الفرقة الناجية بفضله ورحمته.

قال شيخ الإسلام: "الرسول ﷺ بعثه الله تعالىٰ هدىً ورحمة للعالمين، فإنه كما أرسله بالعلم والهدىٰ والبراهين العقلية والسمعية، فإنه أرسله بالإحسان إلى الناس، والرحمة لهم بلا عوض، وبالصبر علىٰ أذاهم واحتماله، فبعثه بالعلم والكرم والحلم، عليم هاد، كريم محسن، حليم صفوح... فهو يعلم، ويهدي، ويصلح القلوب، ويدلها علىٰ صلاحها في الدنيا والآخرة بلا عوض. وهٰذا نعت الرسل كلهم... وهٰذِه سبيل من ٱتبعه.. وكذلك نعت أمته بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، قال أبو هريرة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قَالَ: خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاَسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ، حَتَّىٰ يَدْخُلُوا فِي الإِسْلاَمِ. فيجاهدون ويبذلون أنفسهم وأموالهم، لمنفعة الخلق وصلاحهم، وهم يكرهون ذلك لجهلهم"[١].

قال فضل الله الجيلاني: "لا يكون دين من الأديان خاليا من مكارم الأخلاق، لكن لم تكن الأخلاق الكريمة مجموعة كلها في دين من الأديان السابقة حتىٰ جمع الله في دين الإسلام كل ما كان من أخلاق حسنة في أي دين، فهٰذا معنىٰ: "أتمم مكارم الأخلاق". . أي: أبلغ نهايتها لجهلهم"[٢].

وقد تميز أهل السنة بهٰذِه الخصلة الجميلة - كرم الخلق وحسن الهدي والسمت- وحرصوا عليها أشد الحرص.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٦/ ٣١٤- ٣١٦)باختصار.

(٢) باختصار من فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد ١/ ٢٧١.

قال ابن سيرين: "كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم"

فاقتدى السلف الصالح ﷺ برسول الله ﷺ، وتخلقوا بأخلاقه، وامتثلوا ما أمرهم به، وانتهوا عما نهاهم عنه، وكانوا كما قال الله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠][1].

ومن ثمرات الالتزام بالهدي الظاهر ما يتبعه غالبًا من صلاح الباطن.

وقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هٰذِه المسألة في الاقتضاء.

قال رحمه الله: ثم إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب: من اعتقادات، وإرادات، وغير ذلك، وأمور ظاهرة: من أقوال، أو أفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضا عادات في الطعام واللباس، والنكاح والمسكن، والاجتماع والافتراق، والسفر والإقامة، والركوب وغير ذلك.

وهٰذِه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أمورا ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال، يوجب للقلب شعورا وأحوالا.

وقد بعث الله محمدًا ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هٰذِه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأمور:

منها: أن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبا وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلىٰ موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهٰذا أمر محسوس؛ فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة - مثلا - يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيا لذلك، إلا أن يمنعه مانع.

---

(١) طريق الهداية، مبادىء ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة (ص ٧٩).

ومنها: أن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الٱنقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال، والانعطاف علىٰ أهل الهدىٰ والرضوان، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

وكلما كان القلب أتم حياة، وأعرف بالإسلام - الذي هو الإسلام، لست أعني مجرد التوسم به ظاهرًا أو باطنا بمجرد الٱعتقادات من حيث الجملة - كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارىٰ باطنا وظاهرا أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد[(١)].

فضل حسن السمت:

أولاً: من القرآن الكريم:

١- يقول تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف: ٢٦].

روى الطبري في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وَلِباسُ التَّقْوىٰ قال: السمت الحسن في الوجه[(٢)].

٢- يقول تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

وصف الله تعالى نبيه محمد ﷺ ومن معه من الصحابة بأنهم أشداء أقوياء على الكفار رحماء مع بعضهم بعضا، ووصفهم بأنهم يكثرون الركوع

(١) ٱقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ١٠- ١١).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن الطبري: (١٢/ ٣٦٧)

والسجود لله، كما وصف نبيه ووصف من معه بأنهم ممن حسُن سمتهم

قال الطبري في تفسيره: "وقال ابن عباس ومجاهد: السيما في الدنيا وهو السمت الحسن"(١).

٣- قال تعالىٰ: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤].

فدلالة الآية أن من علامات السمت الظاهر وهدي الأنبياء إعفاء اللحية:

وفي هٰذا كلام نفيس للعلامة الشنقيطي رحمه الله في "أضواء البيان" عند تفسير قوله قال: هٰذِه الآية الكريمة بضميمة آية (الأنعام) إليها تدل علىٰ لزوم إعفاء اللحية، فهي دليل قرآني علىٰ إعفاء اللحية وعدم حلقها. وآية الأنعام المذكورة هي قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٤]. ثم إنه تعالىٰ قال بعد أن عد الأنبياء الكرام المذكورين أولئك الذين هدىٰ الله فبهداهم ٱقتده، فدل ذلك علىٰ أن هارون من الأنبياء الذين أمر نبينا ﷺ بالاقتداء بهم، وأمره ﷺ بذلك أمر لنا. لأن أمرَ القدوةِ أمرٌ لأتباعِه(٢).

ثانيًا: من السنة النبوية:

١- عَنِ ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه، عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**الهَدْيَ الصَّالِحَ، والسَّمْتَ الصَّالِحَ، والاقْتِصَادَ، جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**"(٣).

قال القرطبي في المفهم: يحتمل أن يكون المراد من هٰذا الحديث أن المنام الصادق خصلة من خصال النبوة كما جاء في الحديث الآخر التؤدة والاقتصاد وحسن السمت جزء من ستة وعشرين جزءا من النبوة أي النبوة

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦٤).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٩٢).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٦)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٦١١).

مجموع خصال مبلغ أجزائها ذلك وهٰذِه الثلاثة جزء منها[١].

٢- عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"خَصْلَتَانِ لاَ تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ حُسْنُ سَمْتٍ وَلاَ فِقْهٌ فِي الدِّينِ"**[٢].

قال السيوطي: قال الطيبي: ليس المراد أنَّ واحدة منهما قد تحصل في المنافق دون الأخرىٰ بل هو تحريض للمؤمن على ٱتصافه بهما معًا، والاجتناب عن ضدهما فإنَّ المنافق يكون عاريًا منهما وهو من باب التغليظ ونحوه، قوله تعالىٰ: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وليس من المشركين من يزكي لكنه حث للمؤمنين على الأداء، وتخويف من المنع حيث جعله من أوصاف المشركين، وحسن عطف، "ولا فقه" علىٰ "حسن سمت" وهو مثبت لأنه في سياق النفي[٣].

٣- عَنْ أَبِي الأَحْوَصِ، عَنْ أَبِيهِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي ثَوْبٍ دُونٍ، فَقَالَ: **أَلَكَ مَالٌ؟** قَالَ: **نَعَمْ**، **قَالَ: مِنْ أَيِّ المَالِ؟ قَالَ: قَدْ آتَانِي اللهُ مِنَ الإِبِلِ، والغَنَمِ، والخَيْلِ، والرَّقِيقِ،** قَالَ: **فَإِذَا آتَاكَ اللهُ مَالاً فَلْيُرَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكَ، وَكَرَامَتِهِ"**[٤].

نماذج من السمت الحسن عند الأنبياء:

١- إبراهيم عليه السلام:

في حديث ابن عَبَّاسٍ قَالَ: أَوَّلَ مَا ٱتَّخَذَ النِّسَاءُ المِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ... وفيه: وَشَبَّ الغُلاَمُ وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٦/ ١٥).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٦٨٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٨).

(٣) قوت المغتذي علىٰ جامع الترمذي (٢/ ٦٧٢).

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ٥١)، وأحمد (١٧٢٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤).

حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ ٱمْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ ٱمْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عليه السلام، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخرىٰ، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى ٱمْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَىٰ اللهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ اللَّحْمُ، قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ المَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ والمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ. قَالَ: فَهُمَا لاَ يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عليه السلام، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ **قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ**، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُه. . . الحديث[1].

٢- يوسف عليه السلام:

يقول تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأَخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف: ٣٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤)

قال ابن كثير: قال السدي: كان سبب حبس الملك إياهما أنه توهم أنهما تَمَالآ علىٰ سمه في طعامه وشرابه، وكان يوسف ﷺ قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة، وصدق الحديث، وحسن السمت، وكثرة العبادة، صلوات الله عليه وسلامه، وَمَعْرِفَةِ التَّعْبِيرِ والإِحْسَانِ إِلَىٰ أهل السجن وعيادة مَرْضَاهُمْ والقِيَامِ بِحُقُوقِهِمْ"[(١)].

٣- **النبي محمد ﷺ:**

في ذكر صفته ﷺ الخِلقية تجدها تبين حسن سمته ومنها:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ، كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ، إِذَا مَشَىٰ تَكَفَّأَ، وَلَا مَسِسْتُ دِيبَاجَةً، وَلَا حَرِيرَةً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا شَمِمْتُ مِسْكَةً وَلَا عَنْبَرَةً أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[(٢)].

وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كان ﷺ إِذَا مَشَىٰ تَكَفَّأَ تَكَفُّؤًا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ[(٣)].

قال النووي: قَوْلُهُ (إِذَا مَشَىٰ تَكَفَّأَ) هو بالهمز وقد يُتْرَكُ هَمْزُهُ وَزَعَمَ كَثِيرُونَ أَنَّ أَكْثَرَ مَا يروىٰ بلا همز وَلَيْسَ كَمَا قَالُوا قَالَ شِمْرٌ أَيْ مَالَ يَمِينًا وَشِمَالاً كَمَا تَكَفَّأُ السَّفِينَةُ قَالَ الأَزْهَرِيُّ هٰذا خَطَأٌ لِأَنَّ هٰذا صِفَةُ المُخْتَالِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنْ يَمِيلَ إِلَىٰ سَمْتِهِ وَقَصْدِ مَشْيِهِ كَمَا قَالَ فِي الرِّوايَةِ الأُخْرىٰ: كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ في صبب. قال القاضي: لا بعد فِيمَا قَالَهُ شِمْرٌ إِذَا كَانَ خِلْقَةً وَجِبِلَّةً والمَذْمُومُ مِنْهُ مَا كَانَ مُسْتَعْمَلاً مَقْصُودًا[(٤)].

٤- **عبد الله بن مسعود:**

ممن وصف بحسن السمت من أصحاب النبي ﷺ عبد الله بن مسعود.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٣٨٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٣٠).
(٣) سنن الترمذي (٥/ ٥٩٨)، وصححه الألباني في مختصر الشمائل (٤).
(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (١٥/ ٨٦).

فعن عبد الرحمن بن يزيد رحمه الله قال: سألنا حذيفةَ عن رجل قريب السَّمْتِ والهَدي والدَّلِّ من رسولِ الله - ﷺ- حتىٰ نأخذَ عنه؟ فقال: ما أعرف أحدًا أقربَ سَمْتا وهَدْيا ودَلاً بالنبيِّ - ﷺ- من ابن أمِّ عبد، يقصد عبد الله بن مسعود[١].

٥- فاطمة بنت رسول الله ﷺ رضي الله عنها:

عن عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ قَالَتْ: إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِىٰ ﷺ عِنْدَهُ جَمِيعًا، لَمْ تُغَادَرْ مِنَّا واحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها تَمْشِىٰ، لاَ واللهِ مَا تَخْفَىٰ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ قَالَ "**مَرْحَبًا بِابْنَتِى**".. "[٢].

ومن طريق آخر عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ سَمْتًا وَدَلاً وَهَدْيًا بِرَسُولِ اللهِ فِي قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ... "[٣].

٦- قال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله تعالىٰ: كنّا نأتي الرّجل ما نريد علمه ليس إلّا أن نتعلّم من هديه وسمته ودلّه[٤].

٧- وقال أيضا: كان عليّ بن المدينيّ وغير واحد يحضرون عند يحيىٰ بن سعيد القطّان ما يريدون أن يسمعوا شيئًا إلّا أن ينظروا إلىٰ هديه وسمته[٥].

٨- قال أبو عاصم النّبيل- رحمه الله تعالىٰ-: مات حمّاد بن زيد يوم مات ولا أعلم له في الإسلام نظيرا في هيئته ودلّه وسمته[٦].

٩- قال ابن الجوزي: وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٢٨).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٣٨٧٢)، وقال: هٰذا حديث حسن صحيح غريب من هٰذا الوجه، وقد روي هٰذا الحديث من غير وجه عن عائشة.

(٤) الآداب الشرعية (٢/ ١٤٩).

(٥) الآداب الشرعية (٢/ ١٤٩).

(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٩).

للنظر إلىٰ سمته وهديه لا لاقتباس علمه، وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته . فافهم هٰذا، وامزج طلب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا، ليكون سببًا لرقة قلبك[١].

١٠- قال ابن مفلح رحمه الله: كان يحضر مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، أقلّ من خمسمائة يكتبون، والباقي يتعلّمون منه حسن الأدب وحسن السّمت[٢].

---

(١) صيد الخاطر (صـ ٧١).

(٢) الآداب الشرعية (٢/ ١٢).

٢٧- الوقار

الوقار لغة:

مصدر قولهم: وقر يقر وقارًا وهو مأخوذ من مادّة (و ق ر) التي تدلّ علىٰ ثقل في الشّيء، ومن ذلك الوقار: الحلم والرّزانة، والتّوقير: التّعظيم والتّرزين، وأمّا قولك: وقّر الرّجل: أي بجّله وعظّمه، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾(١).

واصطلاحًا:

هو سكون النفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المطالب(٢).

وقيل: هو التّأنّي في التّوجّه نحو المطالب(٣).

الآيات الواردة في فضل الوقار والحث عليه:

١- يقول تعالىٰ ذكره: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾.

قال الطبري: أي بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين، ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله(٤).

قال ابن كثير: هٰذِه صفات عباد الله المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أَيْ: بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ مِنْ غَيْرِ جَبرية وَلَا ٱسْتِكْبَارٍ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإِسْرَاءِ: ٣٧]. فأما هٰؤلاء فإنهم يمشون من غير ٱستكبار ولا مرح، ولا أشر ولا بطر، وليس

---

(١) الصحاح (٢/ ٨٤٨)، ولسان العرب مادة وقر، مفردات القرآن (٨٨٠)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢ / ٦٦٨)

(٢) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لمسكويه (صـ ٢٨).

(٣) التعريفات (٢٠٥).

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٣).

المراد أنهم يمشون كالمرضىٰ من التصانع تصنعا ورياء، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشىٰ كأنما ينحط من صبب، وكأنما الأرض تطوىٰ له(١).

٢- وقال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٩].

قال الخازن: أي: ليكن في مِشْيتك قصدٌ بين الإسراع والتَّأنِّي، أمَّا الإسراع فهو من الخُيَلاء، وأمَّا التَّأنِّي فهو أن يُرىٰ في نفسه الضَّعف تزهُّدًا، وكلا الطَّرفين مذمومٌ، بل ليكن مَشيك بين السَّكينة والوَقَار(٢).

الأحاديث الواردة في فضل الوقار والحث عليه:

١- عَنِ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الكِنْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ** ﷻ ست خصال: **أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُحَلَّىٰ حُلَّةَ الإِيمَانِ، وَيُزَوَّجَ مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنَ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعَ عَلَىٰ رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ اليَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجَ ٱثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِ**"(٣).

قال المباكفوري: قوله: (ويوضع علىٰ رأسه تاج الوقار) أي: تاج هو سبب العزة والعظمة.

وفي النهاية: التاج ما يصاغ للملوك من الذهب والجواهر(٤).

٢- عَن بُرَيْدَةَ الأسلمي رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "**تَعَلَّمُوا سُورَةَ البَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلاَ يَسْتَطِيعُهَا**

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ١٢٢. (٢) تفسير الخازن ٣/ ٣٩٩.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٩٥٥٩)، وأحمد (٤/ ١٣١)، والترمذي (١٦٦٣) قال الترمذي: هٰذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢١٣) .

(٤) تحفة الأحوذي (٥/ ٢٤٨).

البَطَلَةُ ". قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: " تَعَلَّمُوا سُورَةَ البَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوانِ يُظِلَّانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوافَّ، وَإِنَّ القرآن يَلْقَىٰ صَاحِبَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ. فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ القرآن الذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الهَواجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ اليَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ فَيُعْطَى المُلْكَ بِيَمِينِهِ، والخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، وَيُكْسَىٰ والِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لاَ يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولاَنِ: بِمَ كُسِينَا هٰذا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا القُرْآنَ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ واصْعَدْ فِي دَرَجِ الجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ، هٰذا كَانَ، أَوْ تَرْتِيلاً "[١].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ: **"أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الإِيمَانُ يَمَانٍ والحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، والفَخْرُ والخُيَلاَءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ، والسَّكِينَةُ والوَقَارُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ"**[٢].

تخصيص الخيلاء بأصحاب الإبل، والوقار بأهل الغنم يدل علىٰ أن مخالطة الحيوان تؤثر في النفس وتعدي إليها هيئات وأخلاقا تناسب طباعها وتلائم أحوالها، قلت: ولهٰذا قيل الصحبة تؤثر في النفس، ولعل هٰذا أيضا وجه الحكمة في أن كل نبي رعى الغنم، وخلاصة الكلام ورابطة النظام بين فصول الحديث أن أهل اليمن يغلب عليهم الإيمان والحكمة، كما أن أهل الإبل يغلب عليهم الفخر، وأهل الغنم يغلب عليهم السكون،

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٨)، والدارمي (٣٣٩١)، والبيهقي في الشعب (١٨٣٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٠): رجاله رجال الصحيح، وقال ابن حجر في إتحاف الخيرة المهرة (٥٩٥٢): إسناده حسن، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢).

فمن أراد صحبة أهل الإيمان والعرفان، فعليه بمصاحبة نحو أهل اليمن علىٰ وجه الإيمان قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة: ١١٩][(١)]

٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"إِذَا سَمِعْتُمُ الإِقَامَةَ، فَامْشُوا إِلَى الصَّلاَةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ والوَقَارِ، وَلاَ تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا"**[(٢)].

قال النووي: قوله ﷺ: (وعليه السكينة والوقار) قيل: هما بمعنىٰ وجمع بينهما تأكيدًا والظاهر أن بينهما فرقًا وأن السكينة التأني في الحركات واجتناب العبث ونحو ذلك، والوقار في الهيئة وغض البصر وخفض الصوت والإقبال علىٰ طريقه بغير التفات ونحو ذلك والله أعلم[(٣)].

٥- قال تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نوح: ١٣].

قال الطبري: ما لكم لا تخافون لله عظمة، وذلك أن الرجاء قد تضعه العرب إذا صحبه الجحد في موضع الخوف[(٤)].

قال ابن القيم: من أعظم الظُّلم والجهل أن تطلب التَّعْظِيم والتوقير من النَّاس وقلبك خَال من تَعْظِيم الله وتوقيره فإنك توقّر المَخْلُوق وتجلّه أَن يراك فِي حَال لَا توقّر الله أَن يراك عَلَيْهَا، قَالَ تَعَالَىٰ "مَا لكم لَا تَرْجُونَ لله وَقَارًا" أَي: لَا تعاملونه مُعَاملَة مَنْ توقّرونه والتوقير والعَظَمَة وَمِنْه قَوْله تَعَالَىٰ: "وَتُوَقِّرُوه: قَالَ الحسن: مَا لكم لَا تعرفُون لله حَقًا وَلَا تشكرونه، وَقَالَ مُجَاهِد: لَا تبالون عَظمَة ربكُم، وَقَالَ ابن زيد: لَا تَرَوْنَ لله طَاعَة،

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٤٠٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٦)، صحيح مسلم (٦٠٢).

(٣) شرح النووي علىٰ مسلم (٥/ ١٠٠).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٣٤- ٦٣٥).

وَقَالَ ابن عَبَّاس: لَا تعرفُون حق عَظمته. وهٰذِه الأَقْوال ترجع إِلَىٰ معنىٰ واحِد وَهُوَ أَنهم لَو عظّموا الله وَعرفُوا حق عَظمته وحّدوه وأطاعوه وشكروه فطاعته سُبْحَانَهُ ٱجْتِنَاب مَعَاصيه والحيَاء مِنْهُ بِحَسب وقاره فِي القلب ولهٰذا قَالَ بعض السّلف: ليعظم وقار الله فِي قلب أحدكُم أَن يذكرهُ عِنْد مَا يستحي من ذكره فيقرن ٱسْمه بِهِ كَمَا تَقول قبّح الله الكَلْب والخِنْزِير والنَّتن وَنَحْو ذَلِك، فهٰذا من وقار الله وَمن وقاره أَن لَا تعدل بِهِ شَيْئا من خلقه لَا فِي اللَّفْظ بِحَيْثُ تَقول: وَالله وحياتك مَالِي إِلَّا الله وَأَنت وَمَا شَاءَ الله وشئت وَلَا فِي الحبّ والتعظيم والإجلال وَلَا فِي الطَّاعَة فتطيع المَخْلُوق فِي أمره وَنَهْيه كَمَا تطيع الله بل أعظم كَمَا عَلَيْهِ أَكثر الظلمَة والفجرة وَلَا فِي الخَوْف والرجاء ويجعله أَهْون الناظرين إِلَيْهِ وَلَا يستهين بِحقِّهِ وَيَقُول هُوَ مَبْنِيّ على المُسَامحَة وَلَا يَجعله على الفضلة ويقدّم حق المَخْلُوق عَلَيْهِ وَلَا يكون الله وَرَسُوله فِي حد وناحية والنَّاس فِي نَاحيَة وحد فَيكون فِي الحَد والشق الذِي فِيهِ النَّاس دون الحَد والشق الذِي فِيهِ الله وَرَسُوله وَلَا يُعْطي المخلوق فِي مخاطبته قلبه ولبه وَيُعْطِي الله فِي خدمته بدنه وَلسَانه دون قلبه وروحه وَلَا يَجْعَل مُرَاد نَفسه مقدما علىٰ مُرَاد ربه.

فهٰذا كُله من عدم وقار الله فِي القلب وَمن كَانَ كَذَلِك فَإِن الله لَا يلقِي لَهُ فِي قُلُوب النَّاس وقارًا وَلَا هَيْبَة بل يسْقط وقاره وهيبته من قُلُوبهم وَإِن وقّروه مَخَافَة شرّه فَذَاك وقار بغض لَا وقار حب وتعظيم. وَمن وقار الله أَن يستحي من ٱطِّلَاعه علىٰ سره وضميره فَيرىٰ فِيهِ مَا يكره. وَمن وقاره أَن يستحي مِنْهُ فِي الخلْوَة أعظم مِمَّا يستحي من أَكَابِر النَّاس[(١)].

أقوال السلف والعلماء في مدح (صفة الوقار):

* قَالَ ذُو النُّونِ: ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الوَقَارِ: تَعْظِيمُ الكَبِيرِ، والتَّرَحُّمُ عَلَى

(١) الفوائد لابن القيم (ص ١٨٧).

الصَّغِيرِ، والتَّحَلُّمُ عَلَى الوَضِيعِ[١].

* عن عمران بن مسلم أن عمر بن الخطاب ﵁ قال: تعلموا العلم وعلموه الناس وتعلموا له الوقار والسكينة وتواضعوا لمن يعلمكم عند العلم وتواضعوا لمن تعلموه العلم ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم[٢].

* الوَقَارُ مِنَ اللهِ فَمَنْ رَزَقَهُ اللهُ الوَقَارَ فَقَدْ وَسَمَهُ بِسِيمَا الخَيْرِ وَقَالُوا مَنْ تَكَلَّمَ بِالحِكْمَةِ لَاحَظَتْهُ العُيُونُ بِالوَقَارِ[٣].

نماذج لصفة الوقار:

١- في وصف أم معبد للنبي ﷺ: "**إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَا وَعَلَاهُ البَهَاءُ، أَجْمَلُ النَّاسِ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْلَاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلْوُ المَنْطِقِ، فَصْلٌ، لاَ نَزْرٌ وَلاَ هَذَرٌ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ يَنْحَدِرْنَ، رَبْعَةٌ**"[٤].

٢- وعَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: «**مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا، حَتَّىٰ أَرىٰ مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ**»[٥].

قال ابن حجر: والذي يظهر من مجموع الأحاديث: أنه ﷺ كان - في معظم أحواله - لا يزيد على التبسم، وربما زاد علىٰ ذلك، فضحك، والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار منه أو الإفراط فيه؛ لأنه يذهب الوقار[٦].

٣- عن سعيد بن المسيب قال: كان إبراهيم أول الناس أضاف الضيف،

---

(١) شعب الإيمان (١٣ / ٣٦٠)

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٦٥١).

(٣) الآداب الشرعية (٢ / ٣٢٧).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣ / ٩- ١٠)، وقال: إسناده صحيح.

(٥) أخرجه البخاري (٦٠٩٢)، وقد ذكر النووي هٰذا الحديث تحت باب الوقار والسكينة في كتابه رياض الصالحين.

(٦) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٥٠٥).

وأول الناس قص شاربه وقلم أظفاره واستحد، وأول الناس آختتن، وأول الناس رأى الشيب فقال: يا رب، ما هٰذا؟ قال: الوقار، قال: رب زدني وقارا[١].

٤- قال عمر رضي الله عنه: كان أبو بكر رضي الله عنه يوم السّقيفة أحلم منّي وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري. إلّا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتّىٰ سكت... الحديث[٢].

٥- وقال ابن المبارك يمدح الإمام مالك إمام دار الهجرة:

يأبى الجواب فما يراجع هيبة فالسائلون نواكس الأذقان

هدي الوقار وعز سلطان التقىٰ فهو المهيب وليس ذا سلطان[٣]

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة مصنفه (٩/٥٨) مرسلًا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٣٠) وهو جزء من حديث طويل.

(٣) من أعلام أهل السنة والجماعة عبد الله بن المبارك ١/٤١ .

٢٨- كتمان السر

المتطوع مؤتمن على الكثير من أسرار الناس، فقد يأتيه أحد المكلومين يشكو همًا ألم به أو فضيحة وقعت له، فلا يليق بالمتطوع أن ينشر سرًا، بل يحفظ ولا يجهر ويستر ولا يفضح .

الكتمان لغة:

مصدر قولهم: كتم يكتم، كتمًا وكتمانًا، وهو مأخوذ من مادّة (ك ت م) التي تدلّ على الإخفاء، ومن ذلك قولك: كتمت الحديث كتمًا وكتمانًا[(١)].

وقولهم: سرّ كاتم، أي مكتوم. ومكتّم (بالتّشديد) بولغ في كتمانه، واكتتمه مثل كتمه[(٢)].

الكتمان اصطلاحًا:

قال المناويّ: الكتمان: هو ستر الحديث[(٣)].

وعرفه الميداني بقوله: هو ضبط النفس ضد دوافع التعبير عما يختلج فيها[(٤)].

السّرّ لغة:

السّرّ في اللّغة: اسم لما يسرّ به الإنسان أي يكتمه، وهو مأخوذ من مادّة (س ر ر) التي تدلّ على إخفاء الشّيء[(٥)].

والإسرار خلاف الإعلان[(٦)].

---

(١) المفردات (٤٢٦). (٢) لسان العرب (كتم) (٣٨٢٢- ٣٨٢٤).

(٣) التوقيف (٢٨٠).

(٤) الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني (٢/ ٣٤٣).

(٥) مقاييس اللغة (٣/ ٦٧). (٦) المفردات (٢٢٨).

السّرّ اْصطلاحًا:

قال الرّاغب: السّرّ: هو الحديث المكتّم في النّفس[1].

علاقة كتمان السر بالعمل التطوعي:

إن أساس العمل التطوعي هو التعامل مع خلق الله ودعائمه التعرف علىٰ حاجاتهم ولوازمهم معرفة كثير من شئونهم وربما عوراتهم فمن لم يستطع تحمل أمانة كتمان سرهم، فأنّىٰ له أن يؤدي أمانة ربه فيهم.

الأدلة علىٰ صفة الكتمان من القرآن والسنة:

من القرآن:

١- قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُوا الله والرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ واعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ الله عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٧ - ٢٨]. كانوا يسمعون من النبي ﷺ الحديث فيفشونه حتىٰ يبلغ المشركين. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نهاكم أن تخونوا الله والرسول، كما صنع المنافقون[2].

٢- قال تعالىٰ حكاية عن كتمان يوسف عليه السلام للرؤيا التي رآها بأمر من أبيه: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾ [يوسف: ٥].

قال ابن كثير: يقول تعالىٰ مخبرًا عن قول يعقوب لابنه يوسف حين قص عليه ما رأىٰ من هٰذِه الرؤيا، التي تعبيرها خضوع إخوته له وتعظيمهم إياه تعظيمًا زائدًا، بحيث يخرون له ساجدين إجلالًا وإكرامًا واحترامًا فخشي يعقوب، عليه السلام، أن يحدث بهٰذا المنام أحدًا من إخوته فيحسدوه علىٰ ذلك،

(١) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة، الأصبهاني (١٩٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٤٢).

فيبغوا له الغوائل، حسدًا منهم له؛ ولهٰذا قال له: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ أي: يحتالوا لك حيلة يردونك فيها... ومن هٰذا يؤخذ الأمر بكتمان النعمة حتىٰ توجد وتظهر[1].

٣- وقال سبحانه في مؤمن آل فرعون الذي كتم إيمانه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر: ٢٨].

الأحاديث الواردة في كتمان السر:

١- عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى ٱمْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا**"[2].

قال النووي: في هٰذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين ٱمرأته من أمور الٱستمتاع ووصف تفاصيل ذلك وما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه، فأما مجرد ذكر الجماع فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه لأنه خلاف المروءة،[3].

٢- عن جابر رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ، قال: "**إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الحَدِيثَ ثُمَّ التَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ**"[4].

قال المُناوي في شرحه لهٰذا الحديث: (ثم التفت) أي: غاب عن المجلس أو التفت يمينًا وشمالاً فظهر من حاله بالقرائن: أن قصده أن لا

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٣٧١).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٣٧). (٣) شرح مسلم للنووي (١٠/ ٨).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٤)، وأبو داود (٤٨٦٨)، والترمذي (١٩٥٩) وحسنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٦).

يطلع علىٰ حديثه غير الذي حدثه به (فهي) أي: الكلمة التي حدثه بها (أمانة) عند المحدث أودعه إياها فإن حدث بها غيره فقد خالف أمر الله حيث أدى الأمانة إلىٰ غير أهلها فيكون من الظالمين فيجب عليه كتمها إذ التفاته بمنزلة ٱستكتامه بالنطق قالوا: وهٰذا من جوامع الكلم لما في هٰذا اللفظ الوجيز من الحمل علىٰ آداب العشرة وحسن الصحبة وكتم السر وحفظ الود والتحذير من النميمة بين الإخوان المؤدية للشنآن ما لا يخفىٰ[1].

٣- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"اسْتَعِينُوا عَلَىٰ إِنْجَاحِ الحَوائِجِ بِالكِتْمَانِ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ"**[2].

أي: كونوا لها كاتمين عن الناس واستعينوا بالله على الظفر بها ثم علل طلب الكتمان لها بقوله « فإن كل ذي نعمة محسود » يعني إن أظهرتم حوائجكم للناس حسدوكم فعارضوكم في مرامكم وموضع الخبر الوارد في التحدث بالنعمة ما بعد وقوعها وأمن الحسد وأخذ منه أن على العقلاء إذا أرادوا التشاور في أمر إخفاء التحاور فيه ويجتهدوا في طي سرهم[3].

من الآثار وأقوال العلماء الواردة في كتمان السر:

١- قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: سرّك أسيرك، فإن تكلّمت به صرت أسيره[4].

٢- قال عمرو بن العاص رضي الله عنه ما وضعت سرّي عند أحد أفشاه عليّ فلمته، أنا كنت أضيق به حيث ٱستودعته إيّاه[5].

---

(١) فيض القدير للمناوي (١/ ٣٢٩).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٤٣).

(٣) فيض القدير للمناوي (١/ ٤٩٣).

(٤) أدب الدنيا والدين، الماوردي (٢٩٥).

(٥) الصمت وآداب اللسان (٤٥١- ٤٥٢).

٣- عن الحسن رحمه الله قال: إنّ من الخيانة أن تحدّث بسرّ أخيك[١].

٤- عن سعيد بن المسيّب رحمه الله قال: كتب إليّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ: أن ضع أمر أخيك علىٰ أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من ٱمرىء مسلم شرّا وأنت تجد لها في الخير محملا، ومن عرّض نفسه للتّهم فلا يلومنّ إلّا نفسه. ومن كتم سرّه كانت الخيرة فىٰ يده. وما كافأت من عصىٰ الله تعالىٰ فيك بمثل أن تطيع الله تعالىٰ فيه... الأثر[٢].

٥- قال بعض الحكماء لابنه: يا بنيّ كن جوادا بالمال في موضع الحقّ. ضنينا بالأسرار عن جميع الخلق، فإنّ أحمد جود المرء، الإنفاق في وجه البرّ، والبخل بمكتوم السّرّ[٣].

٦- وقال بعض الفصحاء: ما لم تغيّبه الأضالع فهو مكشوف ضائع[٤].

٧- وقد قيل: الصّبر على القبض على الجمر أيسر من الصّبر علىٰ كتمان السّرّ[٥].

نماذج لكتمان السر:

كتمان السر عند النبي النبي ﷺ:

١- كان النبي ﷺ يكتم أسرار خططه في الغزوات، وكان من هديه إذا أراد غزوة ورىٰ بغيرها[٦].

٢- عن عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه، يَقُولُ: بَعَثَنِي

---

(١) الصمت وآداب اللسان (٤٥٠- ٤٥١).

(٢) شعب الإيمان (٨٣٤٥).

(٣) ، (٤) أدب الدنيا والدين (٢٩٥).

(٥) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة الأصفهاني (٢٩٨).

(٦) سيرة ابن هشام (١/ ٦٠٢).

رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا والزُّبَيْرَ، والمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ، قَالَ: "انْطَلِقُوا حَتَّىٰ تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا، فَانْطَلَقْنَا تَعَادىٰ بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى ٱنْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَىٰ أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا حَاطِبُ مَا هٰذا؟، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ ٱمْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ٱرْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَقَدْ صَدَقَكُمْ، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هٰذا المُنَافِقِ، قَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ ٱطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"[١].

من كتمان السر عند الصحابة:

١- عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، تُوُفِّيَ بِالمَدِينَةِ، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لاَ أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هٰذا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (١٦١).

عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ، إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا[(١)].

٢- عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ، لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ واحِدَةً، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي، مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا، فَقَالَ: "مَرْحَبًا بِابْنَتِي ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَىٰ جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: خصَّكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسِّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ؟ فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، سَأَلْتُهَا مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ أُفْشِي عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ، بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ، لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: أَمَّا الآنَ، فَنَعَمْ، أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي المَرَّةِ الأُولَىٰ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ القرآن فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ الآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لاَ أُرى الأَجَلَ إِلاَّ قَدِ ٱقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ واصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعْم السَّلَفُ أَنَا لَكِ " قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَىٰ جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضِيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هٰذِهِ الأُمَّةِ، قَالَتْ: فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الذِي رَأَيْتِ"[(٢)].

٣- عَنْ أَنَسٍ ﵁، قَالَ: أَتَىٰ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَىٰ حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَىٰ أُمِّي، فَلَمَّا

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١٥)، ومسلم (٢٤٥٠) واللفظ له.

جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدًا قَالَ أَنَسٌ: واللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ[(١)].

٤- عَنْ خَيْثَمَةَ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ المَدِينَةَ فَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُيَسِّرَ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَيَسَّرَ لِي أَبَا هُرَيْرَةَ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُيَسِّرَ لِي جَلِيسًا صَالِحًا فَوُفِّقْتَ لِي، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ، جِئْتُ أَلْتَمِسُ الخَيْرَ وَأَطْلُبُهُ، فَقَالَ: أَلَيْسَ فِيكُمْ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ مُجَابُ الدَّعْوَةِ، وابْنُ مَسْعُودٍ صَاحِبُ طَهُورِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَنَعْلَيْهِ، وَحُذَيْفَةُ صَاحِبُ سِرِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَمَّارٌ الذِي أَجَارَهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ، وَسَلْمَانُ صَاحِبُ الكِتَابَيْنِ؟[(٢)].

أخطاء شائعة حول كتمان السر

الكتمان المحرم:

إذا كان الكتمان أمرًا مطلوبًا، وحث عليه النبي ﷺ فإن هناك أمورًا لا يجوز للمسلم أن يكتم ما عنده فيها، بل عليه أن يُحَدِّث بكل ما يعرفه وإلا أثم وارتكب وزرًا، ومن هٰذِه الأمور:

١- كتمان الشهادة: فلا يجوز للمسلم أن يكتم الشهادة، بل عليه أن يؤديها كما رأىٰ، وقد أمر الله - تعالىٰ- بعدم كتمان الشهادة، فقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

٢- كتمان العيب في البيع والشراء: على البائع المسلم أن يبين ما في سلعته، وأن يصدق في بيعه، حتىٰ يبارك الله -عز وجل- له في تجارته. يقول

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨١١)، والحاكم (٣/ ٤٤٣)، قال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في تخريج المشكاة (٦٢٣٢).

النبي ﷺ: «البيّعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيّنا بُورِكَ لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحِقت بركة بيعهما»(١).

٣- كتمان العلم:

لا يجوز للمسلم أن يكتم العلم؛ لأن كتمانه ذنب عظيم يُعاقب عليه أشد العقاب، وكتمان العلم يؤدي إلىٰ لعنة الله علىٰ من يكتمه.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

من صور كتمان السر:

١- كتمان الطاعات:

المسلم لا بد أن يحرص علىٰ كتم أموره التعبدية دفعا للرياء وحب الظهور، قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

وذكر ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله « ورَجُلٌ تَصدَّقَ بِصَدَقةٍ فَأَخْفَاهَا، حتَّىٰ لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ »(٢).

٢ - كتمان الذنوب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إلاَّ المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَملاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣١).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ »[(١)].

٣ - كتمان قضاء الحاجات:

من يريد أن يقوم بعمل ما عليه أن يكتمه وأن لا يحدث به كل أحد حتىٰ يقوم بإكماله.

٤- كتمان الأسرار الزوجية.

٥ - كتمان الرؤيا المكروهة:

عن أبي سعيد الخدري: أنه سمع النبي ﷺ يقول: « **إِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا، وَإِذَا رَأَىٰ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ، فَإِنَّهَا لا تَضُرُّهُ** »[(٢)].

٦- كتمان أسرار الدولة:

اهتم الإسلام بأسرار الدولة الإسلامية وخاصة الأسرار الحربية، فقد كان النبي ﷺ يكتم أسرار خططه في الغزوات، فكان من هديه إذا كان يريد غزوة ورىٰ بغيرها.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٨٥).

٢٩ - الكرم

معنى الكرم لغة:

الكَرَمُ، محرَّكةً: ضِدُّ اللُّؤْم، كَرُمَ، بضم الراءِ، كرامةً وكرَمًا وكَرَمَةً، محرَّكَتَيْنِ، فهو كريمٌ وكريمَةٌ وكِرْمَةٌ، بالكسر[(١)].

معنى الكرم ٱصطلاحًا:

قال الجرجاني: الكرم هو الإعطاء بسهولة[(٢)].

وقال المُناوي: هو إفادة ما ينبغي لا لغرض[(٣)].

وقال القاضي عياض: هو الإنفاق بطيب نفس فيما يعظم خطره ونفعه[(٤)].

الأدلة على صفة الكرم من القرآن والسنة:

١- قال تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٦].

قال الرازي رحمه الله تعالىٰ: فالإكرام أولا ممن جاءه ضيف قبل أن يجتمع به ويسلم أحدهما على الآخر أنواع من الإكرام وهي اللقاء الحسن والخروج إليه والتهيؤ له ثم السلام من الضيف على الوجه الحسن الذي دل عليه النصب في قوله سلاما إما لكونه مؤكدا بالمصدر أو لكونه مبلغا ممن هو أعظم منه، ثم الرد الحسن الذي دل عليه الرفع ثم تعجيل القرى الذي دل عليه قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ﴾ [هُود: ٦٩] وقوله هاهنا فراغ فإن الروغان

---

(١) القاموس المحيط ص ١١٥٣

(٢) التعريفات للجرجاني (ص١٨٤).

(٣) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي (ص٢٨١).

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ للقاضي عياض (١/ ٢٣٠).

يدل على السرعة والروغ الذي بمعنى النظر الخفي أو الرواح المخفي أيضا كذلك، ثم الإخفاء فإن المضيف إذا أحضر شيئا ينبغي أن يخفيه عن الضيف كي لا يمنعه من الإحضار بنفسه حيث راغ هو ولم يقل هاتوا، وغيبة المضيف لحظة من الضيف مستحسن ليستريح ويأتي بدفع ما يحتاج إليه ويمنعه الحياء منه ثم ٱختيار الأجود بقوله سمين ثم تقديم الطعام إليهم لا نقلهم إلى الطعام بقوله فقربه إليهم لأن من قدم الطعام إلىٰ قوم يكون كل واحد مستقرا في مقره لا يختلف عليه المكان فإن نقلهم إلىٰ مكان الطعام ربما يحصل هناك ٱختلاف جلوس فيقرب الأدنىٰ ويضيق على الأعلىٰ ثم العرض لا الأمر حيث قال: ألا تأكلون ولم يقل كلوا ثم كون المضيف مسرورا بأكلهم غير مسرور بتركهم الطعام كما يوجد في بعض البخلاء المتكلفين الذين يحضرون طعاما كثيرا ويكون نظره ونظر أهل بيته في الطعام متىٰ يمسك الضيف يده عنه[(١)].

٢- قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

قال ابن كثير: هٰذا مدحٌ منه تعالىٰ للمنفقين في سبيله، وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليلٍ أو نهارٍ، والأحوال من سر وجهارٍ، حتىٰ إن النفقة على الأهل تدخل في ذلك أيضًا[(٢)].

وقال الرازي: الآية عامةٌ في الذين يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة تحرضهم على الخير، فكلما نزلت بهم حاجة محتاجٍ عجلوا قضاءها ولم يؤخروها ولم يعلقوها بوقتٍ ولا حالٍ[(٣)].

---

(١) مفاتح الغيب للرازي (٢٨/ ١٧٧) بتصرف يسير

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٧٠٧).

(٣) مفاتيح الغيب للرازي (٧/ ٧٠).

٣- قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩].

قال ابن كثير رحمه الله: يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب[١].

٤- وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧- ٢٦٨].

ومن الأحاديث النبوية:

١- عَنْ أَبِي ذَرّ رضي الله عنه قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: "**هُمُ الأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ**" قَالَ: فَجِئْتُ حَتَّىٰ جَلَسْتُ، فَلَمْ أَتَقَارَّ أَنْ قُمْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: "**هُمُ الأَكْثَرُونَ أَمْوالاً، إِلاَّ مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا - مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ، وَلاَ بَقَرٍ، وَلاَ غَنَم لاَ يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلاَّ جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ، وَأَسْمَنَهُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلاَفِهَا، كُلَّمَا نَفِدَتْ أُخْرَاهَا، عَادَتْ عَلَيْهِ أُولاَهَا، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ**"[٢].

قال المباركفوري: فقوله: (قال هكذا) الخ كناية عن التصدق العام في جميع جهات الخير[٣].

٢- عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفرٍ مع النبي ﷺ إذ

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٥٢٣).

(٢) البخاري (٦٦٣٨) ومسلم (٩٩٠).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري (٢/ ٩٢).

جاء رجلٌ علىٰ راحلةٍ له، قال: فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: « **مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لاَ زَادَ لَهُ** »[١].

قال النووي: في هٰذا الحديث الحث على الصدقة والجود والمواساة والإحسان إلى الرفقة والأصحاب والاعتناء بمصالح الأصحاب وأمر كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج وأنه يكتفي في حاجة المحتاج بتعرضه للعطاء وتعريضه من غير سؤالٍ)[٢].

٣- عن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ البَحْرَيْنِ لَقَدْ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا، وَقَالَ بِيَدَيْهِ جَمِيعًا، فَقُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ مَالُ البَحْرَيْنِ فَقَدِمَ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَهُ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَىٰ: مَنْ كَانَتْ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِ، فَقُمْتُ فَقُلْتُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ البَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا، فَحَثَىٰ أَبُو بَكْرٍ مَرَّةً، ثُمَّ قَالَ لِي: عُدَّهَا، فَعَدَدْتُهَا فَإِذَا هِيَ خَمْسُمِائَةٍ، فَقَالَ: خُذْ مِثْلَيْهَا** »[٣].

وفيه دليل علىٰ كرم النبي ﷺ حيث يحثو المال حثيا ولا يعده عدًا؛ لأنه قال بيديه وهٰذا يدل على الكرم وأن المال لا يساوي عنده شيئًا صلوات الله وسلامه عليه[٤].

٤- عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا** »[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٢٨).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٢/ ٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٩٧) ومسلم (٢٣١٤)، واللفظ للبخاري.

(٤) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٤/ ٥٢).

(٥) أخرجه الحاكم (١/ ٤٨) واللفظ له وقال: صحيح الإسناد. والطبراني في الكبير (٦/ ١٨١) و صححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٠١).

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **المُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ والفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ** »[١].

نماذج من كرم الأنبياء والمرسلين:

*** إبراهيم الخليل عليه السلام**

قال رسول الله ﷺ: كان أول من أضاف الضيف إبراهيم[٢].

*** من كرم النبي ﷺ:**

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: ذكرَ النَّبِيّ ﷺ فَقَالَ: كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ لَيْلَةً فَانْطَلَقُوا قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَىٰ فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَنْ تُرَاعُوا**" يَرُدُّهُمْ، ثُمَّ قَالَ، لِلْفَرَسِ: "**وَجَدْنَاهُ بَحْرًا**" أَوْ: "**إِنَّهُ لَبَحْرٌ**"[٣].

- عَن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القرآن فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِن الرِّيحِ المُرْسَلَةِ[٤].

- عن جَابِر رضي الله عنه يَقُولُ مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ لَا[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤١٨) وأبو داود (٤٧٩٠). واللفظ له، وقال الألباني: صحيح (٣/ ٩٠٩). الغر: الرجل غير المجرب، والخب: الرجل الخداع.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨٦٤١). قال البيهقي: الصحيح موقوف، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٤) أخرجه البخاري (٦).

(٥) أخرجه البخاري (٦٠٣٤).

من كرم الصحابة:

١- عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطاب، يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكرٍ إن سبقته يومًا، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **ما أبقيت لأهلك؟** » قلت: مثله، وأتىٰ أبو بكرٍ بكل ما عنده، فقال: « **يا أبا بكرٍ ما أبقيت لأهلك؟** » قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلىٰ شيءٍ أبدًا[١].

٢- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ للهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَىٰ أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ**"، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ[٢].

٣- وعن أبان بن عثمان قال: أَرَادَ رَجُلٌ أَنْ يَسُوءَ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ العَبَّاسِ فَذَهَبَ إِلَىٰ وُجُوهِ النَّاسِ، فَقَالَ: إِنَّ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ العَبَّاسِ يَقُولُ لَكُمْ: تَعَالَوْا تَغَدَّوْا عِنْدِي اليَوْمَ، فَأَتَاهُ النَّاسُ حَتَّىٰ مَلَئُوا دَارَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟،

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، والدارمي (١٦٦٠)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

فَقِيلَ: رَسُولُكَ أَتَاهُمْ فَعَرَفَ مِنْ أَيْنَ أَتَىٰ؟ فَأَمَرَ بِالبَابِ فَأُغْلِقَ وَأَرْسَلَ إِلَى السُّوقِ فَجَاءَ بِالفَاكِهَةِ كُلِّهَا، وَكَانَ فِيمَا أَكَلُوا أُتْرُجًّا بِعَسَلٍ، وَبَعَثَ قَوْمًا فَشَوَوْا وَخَبَزُوا فَأَتَوْا بِهِ فَأَكَلُوا، فَلَمَّا فَرَغُوا قَالَ: أَلَيْسَ هٰذَا كُلُّ مَا أَرَدْنَاهُ وَجَدْنَاهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: مَا أُبَالِي مَنْ أَتَانِي بَعْدَ هٰذَا[١].

من كرم السلف الصالح:

١- قال محمد بن صبيحٍ: لَمَّا قَدِمَ أَبُو الزِّنَادِ الكُوفَةَ عَلَى الصَّدَقَاتِ، كَلَّمَ رَجُلٌ حَمَّادَ بْنَ أَبِي سُلَيْمَانَ فِي رَجُلٍ يُكَلِّمُ لَهُ أَبَا الزِّنَادِ، يَسْتَعِينُ فِي بَعْضِ أَعْمَالِهِ، فَقَالَ حَمَّادٌ: كَمْ يُؤَمِّلُ صَاحِبُكَ مِنْ أَبِي الزِّنَادِ أَنْ يُصِيبَ مَعَهُ؟ قَالَ: أَلْفُ دِرْهَمٍ، قَالَ: فَقَدْ أَمَرْتُ لَهُ بِخَمْسَةِ آلافِ دِرْهَمٍ، وَلَا يُبْذَلُ وَجْهِي إِلَيْهِ، قَالَ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فهٰذَا أَكْثَرُ مِمَّا أَمَّلَ وَرَجَا، قَالَ عُثْمَانُ بْنُ زُفَرَ: وَقَالَ ابن السَّمَّاكِ: فَكَلَّمَهُ آخَرُ فِي ابنهِ أَنْ يُحَوِّلَهُ مِنْ كُتَّابٍ إِلَىٰ كُتَّابٍ، فَقَالَ لِلَّذِي يُكَلِّمُهُ: إِنَّمَا نُعْطِي المُعَلِّمَ ثَلاثِينَ كُلَّ شَهْرٍ، وَقَدْ أَجْرَيْنَاهَا لِصَاحِبِكَ مِائَةً، دَعِ الغُلَامَ مَكَانَهُ[٢].

٢- كان مورقٌ يتجر، فيصيب المال، فلا يأتي عليه جمعةٌ وعنده منه شيءٌ، وكان يأتي الأخ، فيعطيه الأربع مائةٍ والخمس مائةٍ، ويقول: ضعها لنا عندك. ثم يلقاه بعد، فيقول: شأنك بها، لا حاجة لي فيها[٣].

٣- كان هشام بن حسان إذا ذكر يزيد بن المهلب يقول: إن كادت السفن لتجري في جوده[٤].

٤- قال أبو السوار العدوي: كان رجالٌ من بني عدي يصلون في هٰذا

(١) مكارم الأخلاق للطبراني (١٨٨).

(٢) الكرم والجود وسخاء النفوس للبرجلاني (ص٥٧).

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ٢٤٨ - ٢٤٩).

(٤) الكرم والجود وسخاء النفوس للبرجلاني (ص٥٥).

المسجد، ما أفطر أحدٌ منهم علىٰ طعامٍ قط وحده، إن وجد من يأكل معه أكل، وإلا أخرج طعامه إلى المسجد، فأكله مع الناس، وأكل الناس معه[١].

من صور الكرم:

١ - العطاء من المال من كل ما يمتلك الإنسان من أشياء ينتفع بها، كالذهب والفضة، والخيل، والأنعام، والحرث، وكل مأكول، أو مشروب، أو ملبوس، أو مركوب، أو مسكون، أو يؤوي إليه، وكل آلة أو سبب أو وسيلة ينتفع بها، وكل ما يتداوىٰ به أو يقي ضرًا أو يدفع بأسًا، إلىٰ غير ذلك من أشياء يصعب إحصاؤها.

٢ - ومنها العطاء من العلم والمعرفة، وفي هٰذا المجال من يحبون العطاء، وفيه بخلاء ممسكون ضنينون، والمعطاء في هٰذا المجال هو الذي لا يدخر عنده علمًا ولا معرفة عمن يحسن الانتفاع بذلك، والبخيل هو الذي يحتفظ بمعارفه وعلومه لنفسه، فلا ينفق منها لمستحقيها، ضنًا بها ورغبة بالاستئثار.

٣ - ومنها عطاء النصيحة، فالإنسان الجواد كريم النفس لا يبخل علىٰ أخيه الإنسان بأي نصيحة تنفعه في دينه أو دنياه، بل يعطيه نصحه الذي نفعه مبتغيًا به وجه الله تعالىٰ.

٤ - ومنها العطاء من النفس، فالجود يعطي من جاهه، ويعطي من عطفه وحنانه، ويعطي من حلو كلامه وابتسامته وطلاقة وجهه، ويعطي من وقته وراحته، ويعطي من سمعه وإصغائه، ويعطي من حبه ورحمته، ويعطي من دعائه وشفاعته، وهكذا إلىٰ سائر صور العطاء من النفس.

---

(١) الكرم والجود وسخاء النفوس للبرجلاني (ص٥٣).

٥ - ومنها العطاء من طاقات الجسد وقواه، فالجواد يعطي من معونته، ويعطي من خدماته، ويعطي من جهده، فيعين الرجل في دابته فيحمله عليها أو يحمل له عليها، ويميط الأذىٰ عن طريق الناس وعن المرافق العامة، ويأخذ بيد العاجز حتىٰ يجتاز به إلىٰ مكان سلامته، ويمشي في مصالح الناس، ويتعب في مساعدتهم، ويسهر من أجل معونتهم، ومن أجل خدمتهم، وهكذا إلىٰ سائر صور العطاء من الجسد.

٦ - ويرتقي العطاء حتىٰ يصل علىٰ مستوى التضحية بالحياة كلها: كالمجاهد المقاتل في سبيل الله يجود بحياته لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه، ٱبتغاء مرضاة ربه، والذي يؤثر أخاه بشربة الماء، وهو علىٰ وشك الهلاك، لينقذ أخاه من الموت، يضحي ويجود بحياته من أجل غيره[1].

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن الميداني (٢/ ٣٦١ - ٣٦٣) بتصرف واختصار.

٣٠- الكلمة الطيبة

تعريف الكلم الطيب:

قال الكفويّ: الكلم الطّيّب: هو الذّكر والدّعاء وقراءة القرآن(١).

وقال القرطبيّ: الكلم الطّيّب هو التوحيد الصّادر عن عقيدة طيّبة، وقيل هو التّحميد والتّمجيد وذكر الله ونحو ذلك(٢).

أمّا الطّيّب من القول فقد قيل فيه إنّه القرآن، وقيل لا إلٰه إلّا الله، وقيل الأذكار المشروعة(٣).

ونستطيع أن نستنبط من هٰذا التّفسير أنّ المراد بالكلم الطّيّب أو القول الطّيّب: ما يطيب به خاطر المؤمن من تبرئة ساحته ودفع الرّيبة عنه وأنّ هٰذا حقيق بالمؤمنين.

الأدلة على الكلمة الطيبة من القرآن والسنة:

١- قال تعالىٰ: ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ [البقرة ٢٦٣].

قال الرازي رحمه الله: أما القول المعروف، فهو القول الذي تقبله القلوب ولا تنكره، والمراد منه هاهنا: أن يرد السائل بطريق جميل حسن، وقال عطاء: عدة حسنة، أما المغفرة ففيه وجوه أحدها: أن الفقير إذا رد بغير مقصوده شق عليه ذلك، فربما حمله ذلك علىٰ بذاءة اللسان، فأمر بالعفو عن بذاءة الفقير والصفح عن إساءته وثانيها: أن يكون المراد ونيل

---

(١) الكليات للكفوي (٤/ ٩٩).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٢٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٣).

مغفرة من الله بسبب الرد الجميل وثالثها: أن يكون المراد من المغفرة أن يستر حاجة الفقير ولا يهتك ستره، والمراد من القول المعروف رده بأحسن الطرق وبالمغفرة أن لا يهتك ستره بأن يذكر حاله عند من يكره الفقير وقوفه علىٰ حاله ورابعها: أن قوله قول معروف خطاب مع المسؤول بأن يرد السائل بأحسن الطرق، وقوله ومغفرة خطاب مع السائل بأن يعذر المسؤول في ذلك الرد، فربما لم يقدر علىٰ ذلك الشيء في تلك الحالة[1].

٢- قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤- ٢٧].

قال ابن القيّم رحمه الله تعالىٰ: شبّه سبحانه الكلمة الطّيّبة بالشّجرة الطّيّبة، لأنّ الكلمة الطّيّبة تثمر العمل الصّالح والشّجرة الطّيّبة تثمر الثّمر النّافع، وهٰذا ظاهر علىٰ قول جمهور المفسّرين الذين يقولون: الكلمة الطّيّبة: هي شهادة ألّا إلٰه إلّا الله، فإنّها تثمر جميع الأعمال الصّالحة، الظّاهرة والباطنة، فكلّ عمل صالح مرضيّ لله تعالىٰ فهو ثمرة هٰذه الكلمة[2].

٣- وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة: ٨٣].

قال ابن كثير: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ أي: كلموهم طيبا، ولينوا لهم جانبا، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١) مفاتيح الغيب (٧/ ٤٣).
(٢) التفسير القيم (٣٢٧).

بالمعروف، كما قال الحسن البصري في قوله: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فالحسن من القول: يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، ويحلم، ويعفو، ويصفح، ويقول للناس حسنا كما قال الله، وهو كل خلق حسن رضيه الله[(١)].

٤- قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾ [فاطر: ١٠].

قال الرازي رحمه الله: والمختار أن كل كلام هو ذكر الله أو هو لله كالنصيحة والعلم، فهو إليه يصعد[(٢)].

قال الفرّاء في قوله تعالىٰ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾: معناه: أنّ العمل الصّالح يرفع الكلام الطّيّب، أي يتقبّل الكلام الطّيّب إذا كان معه عمل صالح[(٣)].

الأحاديث الواردة في (الكلم الطيب):

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"كُلُّ سُلامَىٰ[(٤)] مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ"**[(٥)].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣١٧).

(٢) مفاتح الغيب (٢٦/ ٢٢٦).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٤٢٧).

(٤) السّلامىٰ: بضم السين وتخفيف اللام هو المفصل، وجمعه: سلاميات، بفتح الميم وتخفيف الياء. وفي القاموس: السلامىٰ: كحبارىٰ: عظام صغار طول الإصبع في اليد والرجل.

(٥) البخاري (٢٩٨٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٠٩)

ووجه تشبيهه ﷺ الكلمة الطيبة بالصدقة بالمال هو أن الصدقة بالمال تحيا بها نفس المتصدق عليه ويفرح بها، والكلمة الطيبة يفرح بها المؤمن ويحسن موقعها من قلبه فاشتبها من هٰذِه الجهة(١).

٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لَيسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلاَ اللَّعَّانِ، وَلاَ الفَاحِشِ، وَلاَ البَذِيءِ**"(٢).

٣- عَنْ أَبِي جُرَيٍّ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ: أَتَيْتُ المَدِينَةَ فَرَأَيْتُ رَجُلاً يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ قُلْتُ: مَنْ هٰذا؟ قَالُوا: هٰذا رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللهِ مَرَّتَيْنِ قَالَ: "**لاَ تقل عَلَيْك السَّلَام فَإِن عَلَيْكَ السَّلاَمُ تَحِيَّةُ المَيِّتِ قُلِ السَّلاَمُ عَلَيْكَ**" قلت: أَنْت رَسُول الله؟ قَالَ: "**أَنا رَسُول الله الذِي إذا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشفَهُ عَنْكَ وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَهَا لَكَ وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْض قفراء أَوْ فَلَاةٍ فَضَلَّتْ رَاحِلَتُك فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْك**". قُلْتُ: ٱعْهَدْ إِلَيَّ. قَالَ: "**لاَ تَسُبَّنَّ أَحَدًا**" قَالَ فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا وَلَا عَبْدًا وَلَا بَعِيرًا وَلَا شَاةً. قَالَ: "**وَلاَ تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ المَعْرُوفِ وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْت مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ المَعْرُوفِ وارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَىٰ نِصْفِ السَّاقِ فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الكَعْبَيْنِ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ المَخِيلَةِ وَإِنَّ الله لاَ يُحِبُّ المَخِيلَةَ وَإِنِ ٱمْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تعيره بِمَا تعلم فِيهِ فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ**"(٣).

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي وَقَرَّتْ عَيْنِي، فَأَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ؟ فَقَالَ: "**كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ**"

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٧٧)، والحاكم (٢٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٢ / ١٧٩)، و الترمذي (٢ / ١٢٠)، وصححه الألباني في المشكاة (١/ ٥٩٨).

قَالَ: قُلْتُ: أَنْبِئْنِي عَنْ أَمْرٍ إِذَا أَخَذْتُ بِهِ دَخَلْتُ الجَنَّةَ؟ قَالَ: **"أَفْشِ السَّلَامَ، وَأَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَصِلِ الأَرْحَامَ، وَقُمْ بِاللَّيْلِ والنَّاسُ نِيَامٌ، ثُمَّ ادْخُلِ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ"**(١).

٥- عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"اتَّقُوا النَّارَ ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ ثَلَاثًا، حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ"**(٢).

قال ابن بطال: وإذا كانت الكلمة الطيبة يتقىٰ بها النار، فالكلمة الخبيثة يستوجب بها النار(٣).

٦- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **"إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَىٰ ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا"**، فَقَالَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **"لِمَنْ أَلَانَ الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ للهِ قَائِمًا والنَّاسُ نِيَامٌ"**(٤).

نماذج من الكلمة الطيبة من سيرة النبي ﷺ:

١- عن عَائِشَةَ، ﷺ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ واللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"مَهْلاً يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ"** فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ"**(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٩٣)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٤/ ١٠٤): إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٠، ٦٥٦٣) واللفظ له، ومسلم (١٠١٦).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٤١٤).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٣) واللفظ له، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٥) أخرجه البخاري (٦٠٢٤).

٢- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَجُلاً ٱسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابن العَشِيرَةِ فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا ٱنْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"يَا عَائِشَةُ، مَتَىٰ عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ ٱتِّقَاءَ شَرِّهِ"**[1].

ومن السلف الصالح:

*** ابن عمر** رضي الله عنه:

قال ابن عمر رضي الله عنه: "البِرُّ شَيْءٌ هَيِّنٌ، وَجْهٌ طَلِيقٌ، وَكَلَامٌ لَيِّنٌ"[2].

*** سلمان وأبو الدرداء** رضي الله عنهما:

عن أبي البختريّ قال: جاء الأشعث ابن قيس وجرير بن عبد الله البجليّ إلىٰ سلمان، فقالا: جئناك من عند أخيك أبي الدّرداء، قال: فأين هديّته التي أرسلها معكما؟ قالا: ما أرسل معنا بهديّة. قال: ٱتّقيا الله، وأدّيا الأمانة، ما جاءني أحد من عنده إلّا جاء معه بهديّة. قالا: والله ما بعث معنا شيئًا إلّا أنّه قال: أقرئوه منّي السّلام. قال: فأيّ هديّة كنت أريد منكما غير هٰذه؟ وأيّ هديّة أفضل من السّلام تحيّة من عند الله مباركة طيّبة؟[3].

*** سفيان الثوري:**

قال الفضيل بن عياض: سمعت الثوريّ يقول: لو رميت رجلاً بسهم كان أحبّ إليّ من أن أرميه بلساني، لأنّ رمي اللّسان لا يكاد يخطىء[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٢).

(٢) شعب الإيمان (٦/ ٢٥٥).

(٣) الدر المنثور (٦/ ٢٢٦).

(٤) مكارم الأخلاق للخرائطي (١/ ٤٢٢).

ومن الأخطاء الشائعة حول صفة الكلم الطيب هو:

١- الخضوع بالقول سواء من النساء للرجال أو العكس، فذاك لا يسمىٰ كلمة طيبة بل هو ٱستهانة بتلك الحدود المفروضة في التعامل من الطرفين فلابد للكلمة الطيبة أيضا أن تكون بحدود معينة لا تخالف ما جاء في الكتاب والسنة.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣].

٢- الغلظة بالكلام مع السائل.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾﴾ [الضحىٰ: ١٠].

قال قتادة: يعني رد المسكين برحمة ولين[١].

قال أبو حيان: ﴿فَلَا تَنۡهَرۡ﴾: أَيْ: تَزْجُرْهُ، لكن أَعْطِهِ أَوْ رُدَّهُ رَدًّا جَمِيلاً[٢].

علاقة الكلم الطيب بالعمل التطوعي:

١- تسر السامع وتؤلف القلب.

٢- تحدث أثرا طيبًا في نفوس الآخرين.

٣- تثمر عملاً صالحًا في كل وقت بإذن الله.

٤- تفتح أبواب الخير، وتغلق أبواب الشر.

٥- كثيرا ما تكون بديلا يخفف به عن السائل عند عدم توافر ما يسدد به حاجته.

٦- بها تنادي المدعو وتدعوه بأحب الأسماء إليه وأوقعها في نفسه، فهو أسلوب محبب إلىٰ قلب المدعو.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٤٢٧). (٢) البحر المحيط (١٠/ ٤٩٨).

٧- بها تدع للمدعو إلى الاستجابة لأمر الله وأمر رسوله من خلال الترغيب في الخير والترهيب من الشر.

٨- بها تربط حياة المدعو بمعاني الإسلام قولاً وعملاً من خلال العيش معه عيشًا جماعيًا.

٩- سبيل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة.

١٠- بها تشكر كل من ساهم في نشر الخير والدعوة، ففي هٰذا الشكر تشجيع للعاملين للعمل الخيري والدعوي.

١١- تهدي ضالاً، وتعلم جاهلاً، وترشد تائهًا، وتذكر غافلاً.

١٢- بها تدعو كافرًا إلى الإسلام.

١٣- بها تنشر دعوة، تنشط خاملاً، وتنمي موهبة وتخطط مشروعًا.

١٤- بها تعلن عن محاضرة أو كتاب قيم.

١٥- يمنع كيد الشيطان في الإفساد بين المسلمين.

١٦- يطفيء نار الخصومة ولو مع الأعداء.

١٧- إن الحرمان مع الأدب خير من العطاء مع البذاذة.

٣١- المواساة

تعريف المواساة:

لغة:

المواساة مصدر قولهم: واسيته وهي لغة في آسيته.

يقول ابن فارس: الهمزة والسّين والواو أصل واحد يدلّ على المداواة والإصلاح.

يقال: أسوت الجرح إذا داويته، ولذلك يسمّى الطّبيب الآسي[١].

اصطلاحًا:

قال ابن مسكويه: المواساة: معاونة الأصدقاء والمستحقّين ومشاركتهم في الأموال والأقوات[٢].

وقال ابن حجر: المواساة: أن يجعل صاحب المال يده ويد صاحبه في ماله سواء[٣].

قال الجرجاني: المواساة: أن ينزل غيره منزلة نفسه في النفع له والدفع عنه[٤].

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ١٣٨- ١٣٩)، ولسان العرب (٨/ ٤٨٤٠)، والصحاح (٦/ ٢٥٢٤)، وتاج العروس (١٠/ ٣٩٠- ٣٩١) ومقاييس اللغة (١/ ١٠٧)، المفردات (١٨).

(٢) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه (٣/ ٣١).

(٣) الفتح (٧/ ٢٥).

(٤) التعريفات (١/ ٣٠٤).

فضل المواساة من القرآن والسنة:

١- المواساة سبب الفلاح.

قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩].

قال السعدي: وهٰذا دعاء شامل لجميع المؤمنين، السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهٰذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضا.

ولهٰذا ذكر الله في الدعاء نفي الغل عن القلب، الشامل لقليل الغل وكثيره، الذي إذا ٱنتفىٰ ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين.

فوصف الله من بعد الصحابة بالإيمان، لأن قولهم: ﴿سَبَقُونَا بِالْإِيمَٰنِ﴾ دليل على المشاركة في الإيمان، وأنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان وأصوله، وهم أهل السنة والجماعة، الذين لا يصدق هٰذا الوصف التام إلا عليهم، ووصفهم بالإقرار بالذنوب والاستغفار منها، واستغفار بعضهم لبعض، واجتهادهم في إزالة الغل والحقد عن قلوبهم لإخوانهم المؤمنين، لأن دعاءهم بذلك مستلزم لما ذكرنا، ومتضمن لمحبة بعضهم بعضا، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، وأن ينصح له حاضرًا وغائبًا، حيًا وميتًا، ودلت الآية الكريمة علىٰ أن هٰذا من جملة حقوق المؤمنين بعضهم لبعض[١].

---

(١) تفسير السعدي (٨٥١).

٢- المواساة سبب من أعظم أسباب دخول الجنة.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٦- ٩].

قال الرازي: ٱعلم أن مجامع الطاعات محصورة في أمرين التعظيم لأمر الله تعالىٰ، وإليه الإشارة بقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧] والشفقة علىٰ خلق الله، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾[1].

٣- بيان النبي ﷺ أن البركة تنزل مع المواساة والاجتماع على الطعام.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**طَعَامُ الاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ**"[2].

وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ: "**طَعَامُ الواحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ**".

قال ابن بطال: قال المهلب: والمراد بهٰذِه الأحاديث الحض على المكارمة في الأكل والمواساة والإيثار على النفس الذىٰ مدح الله به أصحاب نبيه، فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ولا يراد بها معنى التساوي في الأكل والتشاح... وقد هم عمر رضي الله عنه في سنة مجاعة أن يجعل مع كل أهل بيت مثلهم وقال: لن يهلك أحد عن نصف قوته[3].

وقال النووي: هٰذا فيه الحث على المواساة في الطعام وأنه وإن كان قليلا حصلت منه الكفاية المقصودة ووقعت فيه بركة تعم الحاضرين عليه[4].

---

(١) تفسير الرازي (٣٠/ ٧٤٦). (٢) أخرجه البخاري (٥٣٩٢).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٤٧١).

(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (١٤/ ٢٣).

٤- أظهر النبي ﷺ أن العبد يجد ثواب المواساة عند الله في يوم يحتاج إليه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابن آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابن آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابن آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي"**[١].

أنواع المواساة:

قال ابن القيم رحمه الله:

المُواسَاة لِلْمُؤمنِ أَنْواع:

١- مواساة بِالمَالِ.

٢- مواساة الجاه.

٣- مواساة بِالبدنِ والخدمة.

٤- مواساة بِالنَّصِيحَةِ والإرشاد.

٥- مواساة بِالدُّعَاءِ والِاسْتِغْفَار لَهُم.

٦- مواساة بالتوجع لَهُم.

علىٰ قدر الإيمَان تكون هٰذِه المُواسَاة فَكلما ضعف الإيمَان ضعفت المُواسَاة وَكلما قوي قويت[٢].

---

(١) أخرجه مسلم « ٢٥٦٩».

(٢) الفوائد لابن القيم (١/ ١٧١).

لمّا كانت المواساة لا تقتصر علىٰ مشاركة المسلم لأخيه في المال والجاه أو الخدمة والنّصيحة.. أو غير ذلك فإنّ من المواساة مشاركة المسلم في مشاعره خاصّة في أوقات حزنه، وعند تعرّضه لما يعكّر صفوه، وهنا فإنّ إدخال السّرور عليه وتطييب خاطره بالكلمة الطّيّبة، أو المساعدة الممكنة بالمال أو الجاه، أو المشاركة الوجدانيّة هو من أعظم المواساة وأجلّ أنواعها، وقد كان ﷺ يواسي بالقليل والكثير، وقد علّمنا أنّ من أقال مسلما من عثرته أقال الله عثرته، وأنّ الله ﷻ لا يزال في حاجة العبد مادام العبد في حاجة أخيه.

إنّ حاجة المسلم تتنوّع وتختلف من موقف إلىٰ آخر، فهناك من تكون حاجته إلى المال، وهناك من تكون حاجته إلىٰ عمل أو وظيفة، وهناك من تكون حاجته إلىٰ كلمة طيّبة، وهناك من تكون حاجته إلىٰ دفع الظّلم عنه، وهناك من تكون حاجته إلىٰ مشاركة النّاس له في أتراحه أو أفراحه، وهناك من تكون حاجته في وضع الدّين عنه أو إرجائه، إلىٰ غير ذلك من الحاجات وكلُّ ذلك يدخل في إطار القاعدة العامّة للمواساة، وهي أن يكون المسلم في حاجة أخيه، وعلى المسلم أن يعرف أنّ فائدة هٰذِه المواساة لا ترجع إلىٰ صاحب الحاجة (المواسىٰ) فقط، وإنّما تشمل أيضا المواسي؛ لأنّ الله ﷻ يقف إلىٰ جانبه ويكون في حاجته، هٰذا في الدّنيا، ويجازيه عليها أفضل جزاء يوم القيامة، وقد أخبر الصّادق المصدوق ﷺ أنّ من لقي أخاه بما يحبّ ليسرّه بذلك سرّه الله ﷻ يوم القيامة، لقد حفلت سير أعلام النّبلاء بنماذج مشرّفة من المواساة، ومن تأمّل هٰذِه الصّفحات المشرقة التي حفلت بها سير هٰؤلاء يتّضح أنّ مجالسة المساكين والتّحدّث معهم فيه جبر خاطرهم وإدخال السّرور عليهم، وإذا كان الإنسان واجدا فإنّه كان يتكفّل بنفقة هٰؤلاء وإعالتهم مع المحافظة علىٰ كرامتهم وتقديم المعونة لهم سرًّا[1].

---

(١) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٨/ ٣٤٦٠).

نماذج مشرقة في المواساة:

١- لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة.

عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبَّادَ بْنَ زَاهِرٍ أَبَا رُواعٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ يَخْطُبُ، فَقَالَ: إِنَّا واللهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي السَّفَرِ والحَضَرِ، فكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُواسِينَا بِالقَلِيلِ والكَثِيرِ، وَإِنَّ نَاسًا يُعْلِّمُونِي بِهِ، عَسَىٰ أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَآهُ قَطُّ[١].

٢- ولنا في أصحابه أسوة حسنة؛ فقد أثنى النبي ﷺ علىٰ أبي بكر بمواساته له بماله وفضله علىٰ غيره.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّىٰ أَبْدىٰ عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ فَسَلَّمَ"** وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابن الخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَىٰ عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: **يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثًا**، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَىٰ مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَّمَ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لاَ، فَأَتَىٰ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ، حَتَّىٰ أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، واللهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَواسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا"**[٢].

٣- وكذلك الأنصار في مواساتهم للمهاجرين:

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ أَتَاهُ المُهَاجِرُونَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلَا أَحْسَنَ مُواسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ

---

(١) أخرجه أحمد (٥٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦١).

نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَإِ حَتَّىٰ لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"لاَ مَا دَعَوْتُمُ الله لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ"**[(١)].

قال الكلاباذي رَحِمَهُ اللهُ: في هٰذا الحديث دلالة علىٰ أن الفقير يدرك بقوله ونيته ما يدرك الغني بفضول ماله، فإن الأنصار بذلوا أموالهم للفقراء المهاجرين، وقاسموهم أموالهم وآثروهم علىٰ أنفسهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ الآية، فهم بذلوا أموالهم، وقاسموهم إياها حتىٰ خاف المهاجرون أن يفضلوهم، ويفوتهم ما يعطى الأنصار علىٰ نفقاتهم وبذل أموالهم، وهٰذا معنىٰ قولهم: خفنا أن يذهبوا بالأجر كله؛ لأن الأجر هو الثواب، والله تعالىٰ واسع غني لا تفنىٰ خزائنه ولا ينقص أجره، وإنما معنىٰ ما قلنا أنهم يفضلوننا بأجور نفقاتهم، فيكون لهم ذلك دوننا، فقال لهم رسول الله ﷺ: لا أي: ليس ذلك كما تظنون، أي لا يفضلونكم ولا يفوتكم، فإن دعاءكم الله لهم، وثناءكم عليهم يقوم منكم مقام نفقاتهم منهم وبذل أموالهم، فتعطون على الدعاء والثناء من الأجر ما يعطون على النفقة والعطاء. فيه أيضا وجوب مكافأة المعطي ومجازاة المحسن، ومعرفة الفضل للمنعم، أعني فضل أي أفضالا، لا فضل الشرف بالمال، وإن كان المنفق والمعطي والمحسن لا ينبغي له أن يفضله بإحسانه، والله أعلم بالصواب[(٢)].

٤- عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ عَامَ الرَّمَادَةِ - وَكَانَتْ سَنَةً شديدةً مُلِمَّة بَعد ما ٱجتَهد عُمر فِي إمداد الأعرَاب بِالإبِل والقَمح والزَّيت مِن الأريافِ كُلِّها حَتىٰ بَلَحَت الأريَاف كُلُّها ممَا جَهدها ذَلك - فَقام

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٨٧) وقال: هٰذا حديث حسن صحيح غريب من هٰذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٢) بحر الفوائد المسمىٰ بمعاني الأخبار للكلاباذي (ص ٣٣٢).

عُمر يَدعو - فَقَالَ: (اللهُمَّ ٱجعَل رِزقَهُم عَلىٰ رُؤوسِ الجِبال). فَاسْتَجَابَ اللهُ لَه وَلِلْمُسْلِمِينَ، فَقال حِين نَزل بِهِ الغَيْثُ: (الحَمدُ لله فَوالله لَو أن الله لم يُفرجَها مَا تَركتُ أَهل بَيتٍ مِن المُسلمين لَهم سِعةً إلا أَدخلتُ مَعهم أعدادَهُم مِن الفُقراء فَلم يَكن ٱثْنَانِ يَهلكان مِن الطعَام عَلىٰ مَا يُقيم واحِدًا)[1].

٥- أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ المَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا، فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ، ثُمَّ تفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا، أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ، ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتِ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: كُلْنَ مِنْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "**التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ المَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الحُزْنِ**"[2].

٦- وأما الأشعريون فقال عنهم النبي ﷺ هم مني وأنا منهم.

عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ واحِدٍ، ثُمَّ ٱقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ واحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ[3].

قال البغوي قوله: أرملوا أي: فنيت أزوادهم، يقال: أرمل القوم، فهم مرملون[4].

وقال ابن عثيمين: وهٰذا الحديث أصلُ في **الجمعيات التعاونية** التي يفعلها بعض الناس اليوم، تجتمع القبيلة علىٰ أن يضعوا صندوقًا يجمعون فيه ما يريد الله ﷻ من المال؛ إما بالنسبة وإما بالاجتهاد والترشيح، فيكون مثلاً علىٰ كل

(١) الأدب المفرد (١/ ٢٨٨)، قال الألباني في صحيح الأدب المفرد: صحيح الإسناد (١/ ٢١١).
(٢) أخرجه البخاري (٥٤١٧)، ومسلم (٢٢١٦).
(٣) أخرجه البخاري (٢٤٨٦).
(٤) شرح السنة للبغوي (٨/ ٢١٥).

واحد منهم أن يدفع ٱثنين في المائة من راتبه أو من كسبه أو ما أشبه ذلك، ويكون هٰذا الصندوق معداً للحوائج والنكبات التي تحصل علىٰ واحد منهم.

فهٰذا أصله حديث أبي موسىٰ ﷺ الذي سبق، فإذا جمع الناس صندوقاً علىٰ هٰذا النحو ليتساعدوا فيه علىٰ نكبات الزمان من الحوادث وغيرها، فإن لذلك أصلاً في السنة، وهو من الأمور المشروعة.

ولٰكن ينبغي أن نعمل أن هٰذا الصندوق قد يكون لمن يقع عليه الحادث، وقد يكون لمن يقع منه الحادث.

أما الأول: فأن يوضع الصندوق للناس لمساعدة الناس الذين يحصل عليهم جوائح؛ مثل جوائح تتلف زروعهم ومواشيهم، أو أمطار تهدم بيوتهم، أو ما أشبه ذلك، أو حوادث تحدث علىٰ سياراتهم من غيرهم، فيحتاجون إلى المساعدة؛ فهٰذا طيب ولا إشكال فيه.

أما الثاني: فهو للحوادث التي تقع من الشخص، فإذا فعل شخص حادثاً مثل دعس أحد أو ما أشبه ذلك يساعد، فهٰذا ينبغي أن ينظر في هٰذا الأمر؛ لأننا إذا وضعنا صندوقاً لهٰذا فإن السفهاء قد يتهورون، ولا يهمهم أن تقع الحوادث منهم، فإذا قدر أننا وضعنا صندوقاً لهٰذا الشيء فليكن ذلك بعد الدراسة؛ دراسة ما حدث من الشخص دراسة عميقة، وأنه لم يحدث منه تهورٌ ولم يحدث منه تفريطٌ، وإلا فلا ينبغي أن توضع الصناديق لمساعدة هٰؤلاء السفهاء الذين يوماً يدعسون شخصاً، ويوماً يصدمون سيارة وما أشبه ذلك، وربما يقع ذلك عن حال غير مرضية كسُكرٍ، أو عن حال يفرط فيها الإنسان كالنوم وما أشبه ذلك.

والحاصل أن هٰذِه الصناديق تكون علىٰ وجهين:

الوجه الأول: مساعدة من يحصل عليه حادث، فهٰذا طيب ولا إشكال فيه.

والوجه الثاني: أن يكون ممن يحصل منه حادث، فهٰذا إن وضع- ولا أحبذ أن يوضع، لٰكن إن وضع - فإنه يجب التحرز والتثبت من كون هٰذا الرجل الذي حصل منه الحادث لم يحصل منه تفريط ولا تعدٍّ.

ثم إن هٰذا المال الذي يوضع في الصندوق ليس فيه زكاة مهما بلغ من القدر، وذلك لأنه ليس له مالك، ومن شروط وجوب الزكاة أن يكون المال له مالك، وهٰذا الصندوق ليس له مالك؛ بل من حصل عليه حادث فإنه يساعد منه، وأصحابه الذين وضعوا هٰذِه النقود في هٰذا الصندوق فإنهم لا يملكون أخذها؛ لأنهم قد أخرجوها من أموالهم لمال من؛ لا لأحدٍ وإنما هو للمساعدة، وعلىٰ هٰذا فلا يكون فيها زكاة.

ثم هاهنا مسألة يسأل عنها الكثير من الناس، وهي أنه يجتمع أناس من الموظفين مثلاً، ويقولون: سنخصم من كل راتب من رواتب هٰؤلاء النفر ألف ريال علىٰ كل واحد، أو عشرة في المائة من راتبه، يعني إما بالنسبة أو بالتعيين، ونعطيها واحداً منا، وفي الشهر الثاني نعطيها الثاني، وفي الشهر الثالث نعطيها الثالث، وفي الشهر الرابع نعطيها الرابع، حتىٰ تدور عليهم ثم ترجع للأول للمرة الثانية، فبعض الناس يسأل عنها.

والجواب علىٰ هٰذا أن نقول: إن هٰذا صحيحٌ ولا بأس به، وليس فيه حرج، ومن توهم أنه من باب القرض الذي جر نفعاً فقد وهم؛؛ لأني إذا سلفتُ أنا هٰؤلاء الإخوان الذين معي شيئاً فأنا لا آخذ أكثر مما أعطيت، وكونهم يقولون سوف يرجع إليه مال كثيرٌ نقول: نعم، ولٰكن لم يرجع عليه أكثر مما أعطىٰ، فغاية ما فيه أنه سلف بشرط أن يوفىٰ وليس في هٰذا شيء.

فهٰذا وهم من بعض الإخوان وهم بعض طلبة العلم الذين يظنون أن هٰذا من باب الربا؛ هٰذا ليس فيه ربا إطلاقاً، بل هو من باب التساعد والتعاون، وكثيراً ما يحتاج بعض الزملاء إلىٰ أموال حاضرة تفك مشاكله، ويسلم من أن يذهب إلىٰ أحد يتدين منه ويربي عليه، أو يذهب إلىٰ بنك يأخذ منه بالربا أو ما أشبه ذلك، فهٰذِه مصلحة وليس فيها مفسدة بأي وجه من الوجوه والله الموفق[1].

---

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٤٢٦).

٧- إبراهيم بن أدهم:

عن إِبْرَاهِيم بْن بَشَّارٍ، قال: أمسينا مع إبراهيم بن أدهم ذات ليلة وليس معنا شيء نفطر عليه ولا لنا حيلة، فرآني مغتما حزينا، قال: " يا إبراهيم بن بشار، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعم والراحة في الدنيا والآخرة لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة، ولا حج، ولا صدقة، ولا عن صلة رحم، ولا عن مواساة، وإنما يسأل ويحاسب عن هٰذا هٰؤلاء المساكين أغنياء في الدنيا، فقراء في الآخرة، أعزة في الدنيا، أذلة يوم القيامة، لا تغتم، ولا تحزن فرزق الله مضمون سيأتيك، نحن -والله- الملوك الأغنياء، نحن الذين تعجلنا الراحة في الدنيا، لا نبالي علىٰ أي حال أصبحنا وأمسينا إذا أطعنا الله "، ثم قام إلى الصلاة وقمت إلىٰ صلاتي فما لبثنا إلا ساعة وإذا نحن برجل قد جاء بثمانية أرغفة وتمر كثير، فوضعها بين أيدينا وقال: كلوا رحمكم الله، قال: فسلم ثم قال: " كل يا مغموم " فدخل سائل فقال: أطعمونا شيئا فأخذ ثلاثة أرغفة مع تمر فدفعها إليه وأعطاني ثلاثة وأكل رغيفين، وقال: "المواساة من أخلاق المؤمنين"[١].

٨- أصحاب زيد بن أسلم:

قال أبو الأعرج رضي الله عنه لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم رضي الله عنه أربعين فقيها أدنىٰ خصلة فينا التّواسي بما في أيدينا، وما رأيت في مجلسه ممارين ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا[٢].

٩- علي بن الحسين:

عن عمرو بن ثابت رحمه الله قال: لمّا مات عليّ بن الحسين وجدوا بظهره أثرًا ممّا كان ينقل الجرب باللّيل إلىٰ منازل الأرامل[٣].

---

(١) شعب الإيمان (١٢٧٣)، حلية الأولياء (٧/ ٣٧٠).

(٢) نزهة الفضلاء (١/ ٢١٦). (٣) نزهة الفضلاء (١/ ٤٠٦- ٤٠٧).

٣٢- الصدق

معنى الصدق لغة:

الصدق: لغة، مطابقة الحكم للواقع، ولا يشترط الاعتقاد[١].

والصّادُ والدّالُ والقافُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَىٰ قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ قَوْلاً وَغَيْرَهُ. مِنْ ذَلِكَ الصِّدْقُ: خِلافُ الكَذِبِ، سُمِّيَ لِقُوَّتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَلِأَنَّ الكَذِبَ لا قُوَّةَ لَهُ، هُوَ باطِلٌ[٢].

الصدق اصطلاحًا:

قال الراغب: الصدق والكذب أصلهما في القول ماضيًا كان أو مستقبلًا، وعدًا كان أو غيره. والصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معا، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقًا.

والصدق في اصطلاح أهل الحقيقة: قول الحق في مواطن الهلاك، وقيل هو أن تصدق في مكان لا ينجيك فيه إلا الكذب.

وقال القشيري: الصدق أن لا يكون في أحوالك شوب ولا في اعتقادك ريب ولا في أعمالك عيب. وقيل هو ترك الملاحظة ودوام المحافظة، وقيل استواء السر والجهر[٣].

دواعي الصدق:

قال الماوردي رحمه الله: أَمّا دَواعِي الصِّدْقِ.

---

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (ص ٢١٣).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٣٣٩).

(٣) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (ص ٢١٤).

فَمِنْها: العَقْلُ؛ لِأَنَّهُ مُوجِبٌ لِقُبْحِ الكَذِبِ، لا سِيَّما إذا لَمْ يَجْلِبْ نَفْعًا وَلَمْ يَدْفَعْ ضَرَرًا. والعَقْلُ يَدْعُو إِلَىٰ فِعْلِ ما كانَ مُسْتَحْسَنًا، وَيَمْنَعُ مِنْ إتْيانِ ما كانَ مُسْتَقْبَحًا.

وَمِنْها: الدِّينُ الوارِدُ بِاتِّباعِ الصِّدْقِ وَحَظْرِ الكَذِبِ؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ لا يَجُوزُ أَنْ يَرِدَ بِإِرْخاصِ ما حَظَرَهُ العَقْلُ، - الصحيح- بَلْ قَدْ جاءَ الشَّرْعُ زائِدًا عَلَىٰ ما ٱقْتَضاهُ العَقْلُ مِنْ حَظْرِ الكَذِبِ؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ وَرَدَ بِحَظْرِ الكَذِبِ وَإِنْ جرَّ نَفْعًا أَوْ دَفَعَ ضَرَرًا. والعَقْلُ إِنَّما حَظَرَ ما لا يَجْلِبُ نَفْعًا وَلا يَدْفَعُ ضَرَرًا.

وَمِنْها: المُرُوءَةُ فَإِنَّها مانِعَةٌ مِن الكَذِبِ باعِثَةٌ عَلَى الصِّدْقِ؛ لِأَنَّها قَدْ تَمْنَعُ مَنْ فَعَلَ ما كانَ مُسْتَكْرَهًا، فَأَوْلَىٰ مَنْ فَعَلَ ما كانَ مُسْتَقْبَحًا.

وَمِنْها: حُبُّ الثَّناءِ والِاشْتِهارِ بِالصِّدْقِ حَتَّىٰ لا يُرَدَّ عَلَيْهِ قَوْلٌ وَلا يَلْحَقُهُ نَدَمٌ. وَقَدْ قالَ بَعْضُ البُلَغاءِ: لِيَكُنْ مَرْجِعُك إِلَى الحَقِّ وَمَنْزَعُك إِلَى الصِّدْقِ، فالحَقُّ أَقْوىٰ مُعِينٍ، والصِّدْقُ أَفْضَلُ قَرِينٍ[١].

درجات الصدق:

الصِّدْقُ دَرَجاتٌ:

الأُولَىٰ: صِدْقُ اللِّسانِ: وَحَقٌّ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ أَنْ يَحْفَظَ أَلْفاظَهُ فَلا يَتَكَلَّمُ إِلّا بِالصِّدْقِ.

الدَّرَجَةُ الثّانِيَةُ: الصِّدْقُ فِي النِّيَّةِ والإرادَةِ: وَيَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى الإِخْلاصِ.

الثّالِثَةُ صِدْقُ العَزْمِ: وَهُوَ الجَزْمُ فِيهِ بِقُوَّةٍ، والصّادِقُ فِيهِ هُوَ الذِي تُصادِفُ عَزِيمَتُهُ فِي الخَيْراتِ كُلِّها قُوَّةً تامَّةً لَيْسَ فِيها مَيْلٌ وَلا ضَعْفٌ وَلا تَرَدُّدٌ.

الرّابِعَةُ فِي الوَفاءِ بِالعَزْمِ: فَإِنَّ النَّفْسَ قَدْ تَسْخُو بِالعَزْمِ فِي الحالِ إِذْ لا مَشَقَّةَ فِي الوَعْدِ والعَزْمِ، والمَؤُونَةُ فِيهِ خَفِيفَةٌ، فَإِذا حُقَّتِ الحَقائِقُ وَحَصَلَ التَّمَكُّنُ

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص ٢٦٣).

وَهاجَتِ الشَّهَواتُ ٱنْحَلَّتِ العَزِيمَةُ وَغَلَبَتِ الشَّهَواتُ وَلَمْ يَتَّفِقِ الوَفاءُ بِالعَزْمِ، وهٰذا يُضادُّ الصِّدْقَ فِيهِ.

الخامِسَةُ: الصِّدْقُ فِي الأَعْمالِ: وَهُوَ أَنْ يَجْتَهِدَ حَتَّىٰ لا تَدُلَّ أَعْمالُهُ الظّاهِرَةُ عَلَىٰ أَمْرٍ فِي باطِنِهِ لا يَتَّصِفُ هُوَ بِهِ.

الصدق السادس وهو أعلى الدرجات وأعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هٰذِه الأمور(١).

أهمية الصدق إجمالاً:

قال ابن القيم: وَمِنْ مَنازِلِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] مَنْزِلَةُ الصِّدْقِ وَهِيَ مَنْزِلَةُ القَوْمِ الأَعْظَمِ. الذِي مِنْهُ تَنْشَأُ جَمِيعُ مَنازِلِ السّالِكِينَ، والطَّرِيقُ الأَقْوَمُ الذِي مَنْ لَمْ يَسِرْ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنَ المُنْقَطِعِينَ الهالِكِينَ. وَبِهِ تَمَيَّزَ أَهْلُ النِّفاقِ مِنْ أَهْلِ الإيمانِ، وَسُكّانُ الجِنانِ مِنْ أَهْلِ النِّيرانِ. وَهُوَ سَيْفُ اللهِ فِي أَرْضِهِ الذِي ما وُضِعَ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلّا قَطَعَهُ. وَلا واجَهَ باطِلاً إِلّا أَرْداهُ وَصَرَعَهُ. مَنْ صالَ بِهِ لَمْ تُرَدَّ صَوْلَتُهُ. وَمَنْ نَطَقَ بِهِ عَلَتْ عَلَى الخُصُومِ كَلِمَتُهُ. فَهُوَ رُوحُ الأَعْمالِ، وَمَحَكُّ الأَحْوالِ، والحامِلُ عَلَى ٱقْتِحامِ الأَهْوالِ، والبابُ الذِي دَخَلَ مِنْهُ الواصِلُونَ إِلَىٰ حَضْرَةِ ذِي الجَلالِ. وَهُوَ أَساسُ بِناءِ الدِّينِ، وَعَمُودُ فُسْطاطِ اليَقِينِ. وَدَرَجَتُهُ تالِيَةٌ لِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ التِي هِيَ أَرْفَعُ دَرَجاتِ العالِمِينَ. وَمِنْ مَساكِنِهِمْ فِي الجَنّاتِ تُجْرى العُيُونُ والأَنْهارُ إِلَىٰ مَساكِنِ الصِّدِّيقِينَ. كَما كانَ مِنْ قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ قُلُوبِهِمْ فِي هٰذِه الدّارِ مَدَدٌ مُتَّصِلٌ وَمَعِينٌ.

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ سُبْحانَهُ أَهْلَ الإيمانِ: أَنْ يَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ. وَخَصَّ المُنْعَمِ عَلَيْهِمْ بِالنَّبِيِّيْنِ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَداءِ والصّالِحِينَ. فَقالَ تَعالَىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٩١) باختصار شديد.

ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩] وقالَ تعالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] فَهُمُ الرَّفِيقُ الأَعْلَىٰ ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] ولا يَزالُ اللهُ يَمُدُّهُمْ بِأَنْعُمِهِ وَأَلْطافِهِ وَمَزِيدِهِ إحْسانًا مِنْهُ وَتَوْفِيقًا. وَلَهُمْ مَرْتَبَةُ المَعِيَّةِ مَعَ اللهِ. فَإِنَّ اللهَ مَعَ الصّادِقِينَ، وَلَهُمْ مَنْزِلَةُ القُرْبِ مِنْهُ. إذْ دَرَجَتُهُمْ مِنْهُ ثانِي دَرَجَةِ النَّبِيِّينَ.

وَأَخْبَرَ تَعالَىٰ أَنَّ مَنْ صَدَقَهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. فَقالَ ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

وَأَخْبَرَ تَعالَىٰ عَنْ أَهْلِ البِرِّ. وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ بِأَحْسَنِ أَعْمالِهِمْ: مِنَ الإيمانِ، والإِسْلامِ، والصَّدَقَةِ، والصَّبْرِ. بِأَنَّهُمْ أَهْلُ الصِّدْقِ فَقالَ ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] وهٰذا صَرِيحٌ فِي أَنَّ الصِّدْقَ بالأَعْمالِ الظّاهِرَةِ والباطِنَةِ. وَأَنَّ الصِّدْقَ هُوَ مَقامُ الإسْلامِ والإيمانِ.

وَقَسَّمَ اللهُ سُبْحانَهُ النّاسَ إِلَىٰ صادِقٍ وَمُنافِقٍ. فَقالَ ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

والإِيمانُ أَساسُهُ الصِّدْقُ. والنِّفاقُ أَساسُهُ الكَذِبُ. فَلا يَجْتَمِعُ كَذِبٌ وَإِيمانٌ إلّا وَأَحَدُهُما مُحارِبٌ لِلآخَرِ.

وَأَخْبَرَ سُبْحانَهُ: أَنَّهُ فِي يَوْمِ القِيامَةِ لا يَنْفَعُ العَبْدَ وَيُنْجِيهِ مِنْ عَذابِهِ إلّا صِدْقُهُ. قالَ تَعالَىٰ ﴿هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩][١].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٥٧).

الحث على الصدق من القرآن:

١ - أمر الله تعالىٰ عموم المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين:

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. قال الشوكاني: قَوْلُهُ: وكونوا مع الصادقين هٰذا الأمر بالكون مع الصادقين بعد قصة الثلاثة فيه الإشارة إلىٰ أن هٰؤلاء الثلاثة حصل لهم بالصدق ما حصل من توبة الله، وظاهر الآية الأمر للعباد على العموم[١].

٢- الصدق صفة من صفات الله ﷻ:

قال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. قال ابن كثير: وَقَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ أَيْ: لا أَحَدَ أَصْدَقُ مِنْهُ فِي حَدِيثِهِ وَخَبَرِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، فَلا إِلٰه إِلّا هُوَ، وَلا رَبَّ سِواهُ[٢].

وقال السعدي: وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ إخبار بأن حديثه وأخباره وأقواله في أعلىٰ مراتب الصدق، بل أعلاها. فكل ما قيل في العقائد والعلوم والأعمال مما يناقض ما أخبر الله به، فهو باطل لمناقضته للخبر الصادق اليقين، فلا يمكن أن يكون حقًّا[٣].

٣- جعل الله تعالىٰ منزلة الصديقية بعد منزلة النبيين:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

قال ابن القيم رحمه الله: ولهٰذا أفضل مراتب الخلق بعد الرسالة والنبوة وهىٰ مرتبة الصديقية قرنهم الله في كتابه بالأنبياء فقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٧١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص ١٩١).

وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: ٦٩]، فجعل درجة الصديقية معطوفة علىٰ درجة النبوة وهٰؤلاء هم الربانيون، وهم الراسخون فى العلم، وهم الوسائط بين الرسول ﷺ وأمته، فهم خلفاؤه وأولياؤه وحزبه وخاصته وحملة دينه وهم المضمون لهم أنهم لا يزالون على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله وهم علىٰ ذلك، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ ﴾ [الحديد: ١٩][١].

٤- الصدق من أعظم ما ينفع يوم القيامة:

قال ﷻ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة: ١١٩].

قال الرازي: أجمعوا علىٰ أن المراد بهٰذا اليوم يوم القيامة، والمعنىٰ أن صدقهم في الدنيا ينفعهم في القيامة، والدليل علىٰ أن المراد ما ذكرنا: أن صدق الكفار في القيامة لا ينفعهم، ألا ترىٰ أن إبليس قال: إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم [إبراهيم: ٢٢] فلم ينفعه هٰذا الصدق، وهٰذا الكلام تصديق من الله تعالىٰ لعيسىٰ في قوله ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾ [المائدة: ١١٧][٢].

٥- الصادقون أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص ٣٥١).

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٢/ ٤٦٨).

قال ابن كثير: وَقَوْلُهُ: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أَيْ: هَيَّأَ لَهُمْ مِنْهُ لذنوبهم مغفرة وأجرا عظيما وهو الجنة(١).

الحث على الصدق من السنة النبوية:

١- الصدق يهدي إلى البر:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﷺ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَما يَزالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرى الصِّدْقَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيّاكُمْ والكَذِبَ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النّارِ، وَما يَزالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحرى الكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذّابًا"**(٢).

قال النووي: قالَ العُلَماءُ هٰذا فيه حث علىٰ تحري الصدق وهو قصده والاعتناء به وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه، فإنه إذا تساهل فيه كثر منه فعرف به وكتبه الله لمبالغته صديقا إن ٱعتاده أو كذابا إن ٱعتاده ومعنىٰ يكتب هنا يحكم له بذلك ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم أو صفة الكذابين وعقابهم والمراد إظهار ذلك للمخلوقين إما بأن يكتبه في ذلك ليشتهر بحظه من الصفتين في الملأ الأعلىٰ وإما بأن يلقي ذلك في قلوب الناس وألسنتهم كما يوضع له القبول والبغضاء وإلا فقدر الله تعالىٰ وكتابه السابق قد سبق بكل ذلك والله أعلم(٣).

٢- الصدق طمأنينة:

عَنْ أَبِي الحَوْراء السَّعْدِيِّ قالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: ما حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **"دَعْ ما يَرِيبُكَ إِلَىٰ ما لا**

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، واللفظ له.

(٣) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١٦٠).

يَرِيبُكَ، فَإنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ"(١).

قال ابن رجب رحمه الله: يشير إلىٰ أنه لا ينبغي الاعتماد علىٰ قول كل قائل كما قال في حديث وابصة: "**وإن أفتاك الناس وأفتوك**" وإنما يعتمد علىٰ قول من يقول الصدق، وعلامة الصدق أنه تطمئن به القلوب، وعلامة الكذب أنه تحصل به الريبة، فلا تسكن القلوب إليه، بل تنفر منه. ومن هنا كان العقلاء في عهد النبي ﷺ إذا سمعوا كلامه وما يدعو إليه، عرفوا أنه صادق، وأنه جاء بالحق، وإذا سمعوا كلام مسيلمة، عرفوا أنه كاذب، وأنه جاء بالباطل(٢).

٣- الصدق مما دعا إليه النبي ﷺ في مهد دعوته:

عن أبي سفيان رضي الله عنه في حديثه الطويل في قصة هرقل عظيم الروم قال هرقل: ماذا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: "**اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، واتْرُكُوا ما يَقُولُ آباؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنا بِالصَّلاةِ والزَّكاةِ والصِّدْقِ والعَفافِ والصِّلَةِ**"(٣).

٤-الصدق نجاة من النفاق:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: "**آيَةُ المُنافِقِ ثَلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإذا اؤْتُمِنَ خانَ**"(٤).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: "**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كانَ مُنافِقًا خالِصًا، وَمَنْ كانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفاقِ حَتَّىٰ يَدَعَها: إذا اؤْتُمِنَ خانَ، وَإذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإذا عاهَدَ غَدَرَ، وَإذا خاصَمَ فَجَرَ**"(٥).

٥- الصدق صفة النبي ﷺ:

عَنِ ابن عَبّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: لَمّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٨) وقال: صحيح. وصححه الألباني في الإرواء (١٢).
(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٨٥). (٣) أخرجه البخاري (٧).
(٤) أخرجه البخاري (٣٣). (٥) أخرجه البخاري (٣٤).

٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفا، فَجَعَلَ يُنادِي: "يا بَنِي فِهْرٍ، يا بَنِي عَدِيٍّ - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ -" حَتَّى ٱجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إذا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ ما هُوَ، فَجاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقالَ: "أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالوادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟" قالُوا: نَعَمْ، ما جَرَّبْنا عَلَيْكَ إلّا صِدْقًا، قالَ: "فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ" فَقالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذا جَمَعْتَنا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢][1] وفي لفظ: قالُوا: ما جَرَّبْنا عَلَيْكَ كَذِبًا[2].

٦- الصدق رخاء في الاقتصاد:

عن حَكِيم بْنِ حِزامٍ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "البَيِّعانِ بِالخِيارِ ما لَمْ يَتَفَرَّقا"، - أَوْ قالَ: "حَتَّىٰ يَتَفَرَّقا - فَإِنْ صَدَقا وَبَيَّنا بُورِكَ لَهُما فِي بَيْعِهِما، وَإِنْ كَتَما وَكَذَبا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِما"[3].

قال النووي: أي بين كل واحد لصاحبه ما يحتاج إلىٰ بيانه من عيب ونحوه في السلعة والثمن وصدق في ذلك وفي الإخبار بالثمن وما يتعلق بالعوضين ومعنىٰ محقت بركة بيعهما أي ذهبت بركته وهي زيادته ونماؤه[4].

أقوال السلف والعلماء في الصدق:

١- قال أبو بكر رضي الله عنه بعد توليه الخلافة: أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتىٰ أريح عليه حقه إن شاء الله. والقوي فيكم ضعيف عندي حتىٰ آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠).
(٢) مسلم (٢٠٨).
(٣) أخرجه البخاري (٢٠٧٩).
(٤) شرح النووي علىٰ مسلم (١٠/ ١٧٦).

الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم[١].

٢- وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢] أي لا تخلطوا الصدق بالكذب.

٣- وقيل في منثور الحكم: الكذاب لص؛ لأن اللص يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك. ٤- وقال بعض الحكماء: الخرس خير من الكذب وصدق اللسان أول السعادة.

٥- وقال بعض البلغاء: الصادق مصان خليل، والكاذب مهان ذليل. وقال بعض الأدباء: لا سيف كالحق، ولا عون كالصدق وقال بعض الشعراء:

وما شيء إذا فكرت فيه ... بأذهب للمروءة والجمال
من الكذب الذي لا خير فيه ... وأبعد بالبهاء من الرجال

والكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم لسوء عواقبه، وخبث نتائجه؛ لأنه ينتج النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة. ولذلك قيل: من قل صدقه قل صديقه[٢].

٦- وقال أبو حاتم: الصدق يرفع المرء في الدارين كما أن الكذب يهوىٰ به في الحالين ولو لم يكن الصدق خصلة تحمد إلا أن المرء إذا عرف به قبل كذبه وصار صدقا عند من يسمعه لكان الواجب على العاقل أن يبلغ مجهوده في رياضة لسانه حتىٰ يستقيم له على الصدق ومجانبة الكذب والعي في بعض الأوقات خير من النطق؛ لأن كل كلام أخطأ صاحبه موضعه فالعي خير منه[٣].

---

(١) الصحيح المسند من آثار الصحابة في الزهد والرقائق والأخلاق والأدب (١/ ٤٠).
(٢) أدب الدنيا والدين (ص ٢٦١).
(٣) روضة العقلاء (٥٤).

٣٣- نصرة المظلوم

نصرة المظلوم لغة:

قال الزبيدي: نَصَرَ المَظلومَ يَنْصُرهُ نَصْرًا ونُصورًا، كقُعود، ونُصْرَةً، والِاسْم النُّصْرَة: أَعانَهُ علىٰ عَدُوِّه وشَدَّ مِنْهُ[١].

معنى الظلم لغة:

يقال ظَلَمَه يَظْلِمُهُ ظَلْمًا وظُلْمًا ومَظْلِمةً، وأصل الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه[٢].

معنى الظلم اصطلاحًا:

هو: وضع الشيء في غير موضعه المختص به؛ إما بنقصان أو بزيادة؛ وإما بعدول عن وقته أو مكانه[٣].

أساس الظلم:

أساس الظلم هو تسلط الهوىٰ والغرض الفاسد والحقد والحسد على النفس، فتنحرف عن مدارك الحق ومشارق العرفان، فلا يمكن أن يكون للهداية موضع في النفس، فلا يهديه الله سبحانه، وإن الظلم بطبيعته يفسد الإدراك كله؛ لأن إدراك الحقائق يستلزم صدق النفس في طلبها، وصدق النفس في طلب الحقائق لا يمكن أن يكون مع الظلم. الذي يجعل الهوىٰ

(١) جمهرة اللغة (٢/ ٧٤٤).

(٢) المصباح المنير (ص١٤٦)، وانظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٧، ٣٤١)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ١٣٥، ٣/ ٢٩٣).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٥٣٧)، وروح البيان (٦/ ٣١٧).

مسيطرًا، فالظلم ظلمات في النفس، وظلمات يوم القيامة[(١)].

الحكمة من نصر المظلوم:

قال ابن الجوزي: وَأما نصر المَظْلُوم فلمعنيين: أَحدهما: إقامَة الشَّرْع بِإِظْهار العدْل. والثّانِي نصر الأَخ المُسلم أَو الدّفع عَن الكِتابِيّ وَفاء بِالذِّمةِ[(٢)].

وقال ابن دقيق العيد: "نصر المظلوم" من الفروض اللازمة علىٰ من علم بظلمه، وقدر علىٰ نصره وهو من فروض الكفايات، لما فيه من إزالة المنكر، ودفع الضرر عن المسلم[(٣)].

الحث على نصرة المظلوم من القرآن الكريم:

١- قال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥].

عَنْ مُجاهِدٍ قالَ: أمر الله المؤمنين أن يقاتلوا عن مستضعفي المؤمنين من الرجال والنساء والولدان[(٤)].

قال أبو حيان: هٰذا الاَسْتِفْهامُ فِيهِ حَثٌّ وَتَحْرِيضٌ عَلَى الجِهادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَعَلَىٰ تَخْلِيصِ المُسْتَضْعَفِينَ[(٥)].

٢- وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].

---

(١) زهرة التفاسير (٣/ ١٣٠٦).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٢٣٧).

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٢/ ٢٩٦).

(٤) تفسير مجاهد (ص ٢٨٦).

(٥) البحر المحيط في التفسير (٣/ ٧١٠).

قال القرطبي: قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ يريد إن دعوا هٰؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا من أرض الحرب عونكم بنفير أو مال لاستنقاذهم فأعينوهم، فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم. إلا أن يستنصروكم علىٰ قوم كفار بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم، ولا تنقضوا العهد حتىٰ تتم مدته.

٣- قال تعالىٰ: ﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾ [الحج: ٦٠].

قال ابن عجيبة: أي: من جازىٰ بمثل ما فُعل به من الظلم، ثم ظُلم، بعد ذلك، وبُغي عليه بعد ذلك، فحق علىٰ الله أن ينصره إنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ يمحو آثار الذنوب، غَفُورٌ يستر أنواع العيوب[1].

٤- قال تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٥-١٩]. قال ابن العربي: قَوْلُهُ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾ [القصص: ١٥] طَلَبَ غَوْثَهُ وَنُصْرَتَهُ، وَلِذَلِكَ قالَ فِي الآيَةِ بَعْدَها: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ [القصص: ١٨] وَإِنَّما أَغاثَهُ لِأَنَّ نَصْرَ المَظْلُومِ دِينٌ فِي المِلَلِ كُلِّها عَلَى الأُمَمِ، وَفَرْضٌ فِي جَمِيعِ الشَّرائِعِ[2].

وقال القاسمي: فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ أي يتنازعان هٰذا أي الواحد

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٥٤٨).

(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ٢٦٠).

مِنْ شِيعَتِهِ أي ممن يشايعه علىٰ دينه وهم بنو إسرائيل وهٰذا أي الآخر مِنْ عَدُوِّهِ أي ممن خالفه في دينه وهم القبط فاسْتَغاثَهُ أي سأله الإغاثة الذِي مِنْ شِيعَتِهِ لكونه مظلومًا عَلَى الذِي مِنْ عَدُوِّهِ لكونه ظالمًا. وإغاثة المظلوم واجبة فوجبت إغاثته من جهتين[(١)].

٥- قال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩].

قال الرازي: فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الأُخْرىٰ فَقاتِلُوا التِي تَبْغِي أَيِ الظّالِمُ يَجِبُ عَلَيْكُمْ دَفْعُهُ عَنْهُ، ثُمَّ إِنَّ الظّالِمَ إِنْ كانَ هُوَ الرَّعِيَّةَ، فالواجِبُ عَلَى الأَمِيرِ دَفْعُهُمْ، وَإِنْ كانَ هُوَ الأَمِيرَ، فالواجِبُ عَلَى المُسْلِمِينَ مَنْعُهُ بِالنَّصِيحَةِ فَما فَوْقَها، وَشَرْطُهُ أَنْ لا يُثِيرَ فِتْنَةً مِثْلَ التِي في ٱقتتال الطائفتين أو أشد منهما[(٢)].

٦- قال تعالىٰ في قصة عيسىٰ ﷺ: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣١- ٣٢].

قال القرطبي: أَيْ ذا بَرَكاتٍ وَمَنافِعَ فِي الدِّينِ والدُّعاءِ إِلَيْهِ وَمُعَلِّمًا لَهُ[(٣)].

قال التستري وقوله: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ يعني آمر بالمعروف، وأنهىٰ عن المنكر، وأرشد الضال، وأنصر المظلوم، وأغيث الملهوف[(٤)].

الترغيب في نصرة المظلوم من سنة النبي ﷺ:

١- عن البَراءِ بْنَ عازِبٍ رضي الله عنهما، قالَ: "**أَمَرَنا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ، وَنَهانا عَنْ سَبْعٍ فَذَكَرَ: عِيادَةَ المَرِيضِ، واتِّباعَ الجَنائِزِ، وَتَشْمِيتَ العاطِسِ، وَرَدَّ السَّلامِ،**

---

(١) محاسن التأويل (٧/ ٥١٦).
(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٨/ ١٠٤).
(٣) تفسير القرطبي (١١/ ١٠٣). (٤) تفسير التستري (ص ٩٩).

وَنَصْرَ المَظْلُومِ، وَإِجابَةَ الدّاعِي، وَإِبْرارَ المُقْسِمِ "[١] وفي لفظ: قالَ: "**وَعَوْنِ المَظْلُومِ**"[٢].

قال البدر العيني: قالَ العلماء: نصر المَظْلُوم فرض واجِب على المُؤمنِينَ على الكِفايَة، فَمن قامَ بِهِ سقط عَن الباقِينَ، وَيتَعَيَّن فرض ذَلِك على السُّلْطان، ثمَّ علىٰ من لَهُ قدرَة علىٰ نصرته إذا لم يكن هُناكَ من ينصره غَيره من سُلْطان وَشبهه[٣].

٢- وعن أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: « **انْصُرْ أَخاكَ ظالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَقالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إذا كانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إذا كانَ ظالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قالَ: تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ** »[٤].

قال ابن بطال: والنصرة عند العرب: الإعانة والتأييد، وقد فسره رسول الله أن نصر الظالم منعه من الظلم؛ لأنه إذا تركته علىٰ ظلمه ولم تكفه عنه أداه ذلك إلىٰ أن يقتص منه؛ فمنعك له مما يوجب عليه القصاص نصره، وهٰذا يدل من باب الحكم للشيء وتسميته بما يئول إليه، وهو من عجيب الفصاحة، ووجيز البلاغة[٥].

٣- عَنْ أَبِي مُوسَىٰ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: "**المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كالبُنْيانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصابِعِهِ**"[٦].

قال ابن علان: قال القرطبي: هٰذا تمثيل يفيد الحض علىٰ معاونة المؤمن للمؤمن ونصرته، وأن ذلك أمر متأكد لا بد منه، فإن البناء لا يتم ولا تحصل

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٥).
(٢) أخرجه البخاري (٦٢٣٥).
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٢/ ٢٩٠).
(٤) أخرجه البخاري (٦٩٥٢).
(٥) شرح صحيح البخارىٰ لابن بطال (٦/ ٥٧٢).
(٦) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]، فجعل درجة الصديقية معطوفة علىٰ درجة النبوة وهٰؤلاء هم الربانيون، وهم الراسخون فى العلم، وهم الوسائط بين الرسول ﷺ وأمته، فهم خلفاؤه وأولياؤه وحزبه وخاصته وحملة دينه وهم المضمون لهم أنهم لا يزالون على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله وهم علىٰ ذلك، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ﴾ [الحديد: ١٩][(١)].

٤- الصدق من أعظم ما ينفع يوم القيامة:

قال ﷻ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩].

قال الرازي: أجمعوا علىٰ أن المراد بهٰذا اليوم يوم القيامة، والمعنىٰ أن صدقهم في الدنيا ينفعهم في القيامة، والدليل علىٰ أن المراد ما ذكرنا: أن صدق الكفار في القيامة لا ينفعهم، ألا ترىٰ أن إبليس قال: إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم [إبراهيم: ٢٢] فلم ينفعه هٰذا الصدق، وهٰذا الكلام تصديق من الله تعالىٰ لعيسىٰ في قوله ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾ [المائدة: ١١٧][(٢)].

٥- الصادقون أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص ٣٥١).

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٢/ ٤٦٨).

قال ابن رجب: فإن الأخ من شأنه أن يوصل لأخيه النفع، ويكف عنه الضرر، ومن أعظم الضر الذي يجب كفه عن الأخ المسلم الظلم، وهٰذا لا يختص بالمسلم، بل هو محرم في حق كل أحد[١].

٦- محبة النبي ﷺ لأهل النصرة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ قالَ أَبُو القاسِمِ ﷺ: "**لَوْ أَنَّ الأَنْصارَ سَلَكُوا وادِيًا، أَوْ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ فِي وادِي الأَنْصارِ، وَلَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ ٱمْرُا مِنَ الأَنْصارِ**"، فَقالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: ما ظَلَمَ بِأَبِي وَأُمِّي، آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ، أَوْ كَلِمَةً أُخْرىٰ[٢].

قال الملا علي القاري: فيه بيان: أنهم بلغوا من الكرامة مبلغا لولا أنه ﷺ من المهاجرين إلى المدينة لعد نفسه من الأنصار لكرامتهم عند الله تعالىٰ، وتلخيصه: لولا فضلي على الأنصار بسبب الهجرة لكنت واحدا منهم، وهٰذا تواضع منه ﷺ وحث للناس علىٰ إكرامهم واحترامهم[٣].

٧- أخوة الإسلام توجب النصيحة والنصرة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لا تَحاسَدُوا، وَلا تَناجَشُوا، وَلا تَباغَضُوا، وَلا تَدابَرُوا، وَلا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبادَ اللهِ إِخْوانًا المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ وَلا يَخْذُلُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ التَّقْوىٰ هاهُنا وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرّاتٍ بِحَسْبِ ٱمْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرامٌ، دَمُهُ، وَمالُهُ، وَعِرْضُهُ**"[٤].

قال النووي: قال العلماء الخذل ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا ٱستعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي[٥].

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٧٣). (٢) أخرجه البخاري (٣٧٧٩).
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٤٠٠٨).
(٤) أخرجه مسلم (٢٥٦٤). (٥) شرح النووي علىٰ مسلم (١٦/ ١٢٠).

بعض صور الظلم بين العباد

أولاً: الظلم القولي:

التعرض للناس بالغيبة، والنميمة، والسباب والشتم، والاحتقار، والتنابز بالألقاب، والسخرية والاستهزاء والقذف والاتهام بالباطل. . . وغيرها.

ومثل هٰذا ينصر بالكلام والرد عنه في غيبته وهٰذا يدخل في عموم أحاديث النهي عن المنكر وفيه حديثٌ عَنْ أَسْماءَ بِنْتِ يَزِيدَ قالَتْ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالغِيبَةِ، كانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النّارِ**"(١).

وعَنْ أَبِي الدَّرْداءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: "**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النّارَ يَوْمَ القِيامَةِ**"(٢).

قال الصنعاني: فِي الحَدِيثَيْنِ دَلِيلٌ عَلَىٰ فَضِيلَةِ الرَّدِّ عَلَىٰ مَن ٱغْتابَ أَخاهُ عِنْدَهُ وَهُوَ واجِبٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بابِ الإنْكارِ لِلْمُنْكَرِ وَلِذا وَرَدَ الوَعِيدُ عَلَىٰ تَرْكِهِ(٣).

ثانيًا: الظلم الفعلي:

و له صور كثيرة منها ما يلي:

١ - القتل بغير حق:

قال تعالىٰ: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ التِي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي القَتْلِ إنَّهُ كانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

ونصرته بالقصاص له إن كان عمدًا وإعطاء الدية لأوليائه إن كان خطئًا أو قبلوا الدية من العمد.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٦٠٩)، وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير (٦٢٤٠): صحيح.

(٢) سنن الترمذي (١٩٣١)، وقال الترمذي: حديث حسن، وقال الألباني: صحيح.

(٣) سبل السلام (٢/ ٦٩٢).

٢ - الظلم الواقع على المسلمين لإيمانهم:

ونصرتهم بالجهاد في سبيل كما أمر الله تعالىٰ وقد سبق في أول البحث أن من هدف الجهاد أيضًا إنقاذ المستضعفين في الأرض ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

٣ - أخذ متاع الغير بغير حق:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قال ﷺ: « **مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا، فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ** »[١].

وهٰذا يقع بين الجيران في الأرض غالبًا وبين الشركاء كما يقع في الميراث ومن يغير منار الأرض وينقل الحدود والعلامات بحيث لا يستطيع صاحب الحق أن يثبت حقه.

عن علي بن أبي طالب ﷺ قالَ: قالَ ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ والِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوىٰ مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنارَ الأَرْضِ**»[٢]. المَنارُ: جَمْعُ مَنارَةٍ وَهِيَ العَلامَةُ تجْعَل بَين الحدين وتغييرها أَن يدخلها فِي أرضه[٣].

وقال الشيخ ابن عثيمين:

قال العلماء: منار الأرض حدودها؛ لأنه مأخوذ من " المنور" وهو العلامة، فإذا غير إنسان من هٰذِه الأرض، بأن أدخل شيئًا من هٰذِه الأرض إلىٰ أرض غيره، فإنه ملعون علىٰ لسان النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٨)، ومسلم (١٦١٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٣) حاشية السيوطي علىٰ سنن النسائي (٧/ ٢٣٢)، والتسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٢٩٤).

٤ - الظلم الواقع في الأُسر:

ومنه: - ظلم الأولاد لوالديهما بعقوقهما

- ظلم الأزواج لزوجاتهم في حقهن سواء كان صداقًا، أو نفقة، أو كسوة.
- ظلم الزوجات لأزواجهن في تقصيرهن في حقهم وتنكّر فضلهم.
- ظلم البنات بعضلهن عن الزواج.
- الدعاء على الأولاد والقسوة في التعامل معهم.
- تَفضيلُ بعض الأولاد علىٰ بعض.
- التظالم بين الإخوة والأخوات في الميراث وتوزيع التركات

٥- ظلم العمال:

ومنه:

- أن يعمل له عملًا ولا يعطيه أجره: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قالَ: "**قالَ اللهُ: ثَلاثَةٌ أَنا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَىٰ بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ باعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ ٱسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فاسْتَوْفَىٰ مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ**"(١).

- أن يبخسه حقوقَه أو أن يؤخرها عن وقتها:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**أَعْطُوا الأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ**"(٢).

- **تكليفه بأمور غير ما ٱتّفق عليها معه**، أو بأمور لم تجري العادة تكليفه بها: عَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قالَ: لَقِيتُ أَبا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَىٰ غُلامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقالَ: إِنِّي سابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: "**يا أَبا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ ٱمْرُؤٌ فِيكَ جاهِلِيَّةٌ، إِخْوانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمّا**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٤٤٣)، وصححه الألباني في الإرواء (١٤٩٨).

يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ "[(١)].

٦- ومن صور الظلم بين الناس أكل مال الغير بغير حق:

وهو أنواع ومنه:

- أكل أموال الناس بالباطل: قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء: ٢٩ - ٣٠].

- أكل أموال الضعفاء كاليتامىٰ: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

- الربا: قال تعالىٰ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء: ١٦٠ - ١٦١].

- السرقة: قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: ٣٨].

- الرشوة. - الغش في المعاملات.

- الميسر: قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١].

- أخذ مهر المرأة وعدم إعطائه لها.

- أخذ ميراث المرأة وحرمانها منه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠).

٣٤- الإنصاف

معنى الإنصاف لغة واصطلاحًا:

معنى الإنصاف لغة:

قال ابن فارس: (نصف) النون والصاد والفاء أصلانِ صحيحان: أحدهما يدلُّ علىٰ شَطْر الشَّيء، والأخرىٰ علىٰ جنسٍ من الخِدمة والاستعمال.فالأوَّل نِصْفُ الشيء ونَصِيفُه: شَطْرُه[١].

معنى الإنصاف اصطلاحًا:

قال المناوي: الإنصاف هو العدل في المعاملة بأن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا ما يعطيه، ولا ينيله من المضار إلا كما ينيله[٢].

قال الطبرى: الإنصاف إعطاء الحق لصاحبك كالذي تستحق لنفسك[٣].

قال النيسابورىٰ: حقيقة الإنصاف إعطاء النصف وفيه التسوية بين نفسه وبين صاحبه[٤].

الترغيب والحث على الإنصاف من القرآن الكريم:

١- قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]. قال الطبري: يعني بذلك جل ثناؤه: يا

---

(١) أنظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٤٣١).

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (٦٤).

(٣) أنظر: تفسير الطبرىٰ (٦/ ٤٧٩).

(٤) أنظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٢٧٨).

أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم، فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم، ولا تقصِّروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن ٱنتهوا في جميعهم إلىٰ حدِّي، واعملوا فيه بأمري.

وأما قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾، فإنه يقول: ولا يحملنكم عداوةُ قوم علىٰ ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة(١).

٢- قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥٢].

قال أبو جعفر: يعني تعالىٰ ذكره بقوله: (وَإِذا قُلْتُمْ فاعْدِلُوا)، وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم فقولوا الحق بينهم، واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا، ولو كان الذي يتوجه الحق عليه والحكم، ذا قرابة لكم، ولا تحملنكم قرابة قريب أو صداقة صديق حكمتم بينه وبين غيره، أن تقولوا غير الحق فيما ٱحتكم إليكم فيه(٢).

الترغيب والحث من السنة على الإنصاف:

(١) عَن المَعْرُورِ بنِ سُوَيْدٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قالَ: رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْدًا وَعَلَىٰ غُلامِهِ بُرْدًا فَقُلْتُ: لَوْ أَخَذْتَ هٰذا فَلَبِسْتَهُ كانَتْ حُلَّةً وَأَعْطَيْتَهُ ثَوْبًا آخَرَ فَقالَ كانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلامٌ وَكانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَنِلْتُ مِنْها فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقالَ لِي أَسابَبْتَ فُلانًا قُلْتُ نَعَمْ قالَ أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ قُلْتُ نَعَمْ قالَ إِنَّكَ ٱمْرُؤٌ فِيكَ جاهِلِيَّةٌ قُلْتُ عَلَىٰ حِينِ ساعَتِي هٰذِه مِنْ كِبَرِ السِّنِّ قالَ نَعَمْ هُمْ إِخْوانُكُمْ

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٩٥). (٢) تفسير الطبري (١٢/ ٢٢٥).

جَعَلَهُم اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ جَعَلَ اللهُ أَخاهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمّا يَلْبَسُ وَلا يُكَلِّفْهُ مِن العَمَلِ ما يَغْلِبُهُ فَإِنْ كَلَّفَهُ ما يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ(١).

(٢) عَنْ أَنَسٍ ﷺ قالَ: كانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدىٰ أُمَّهاتِ المُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيها طَعامٌ، فَضَرَبَتِ التِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِها يَدَ الخادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيها الطَّعامَ الذِي كانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: غارَتْ أُمُّكُمْ ثُمَّ حَبَسَ الخادِمَ حَتَّىٰ أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ التِي هُوَ فِي بَيْتِها، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى التِي كُسِرَتْ صَحْفَتُها، وَأَمْسَكَ المَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ التِي كَسَرَتْ(٢).

أقوال السلف والعلماء في الإنصاف:

* عَنْ عَمّارٍ قالَ: ثَلاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ جَمَعَ الإيمانَ: الإِنْصافُ مِنْ نَفْسِكَ، والإِنْفاقُ مِنَ الإِقْتارِ، وَبَذْلُ السَّلامِ لِلْعالَمِ(٣).

* قال ابن حزم: من أراد الإنصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه فإنه يلوح له وجه تعسفه(٤).

* قال الأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: ما عرضت الإنصاف علىٰ أحد فقبله إلا هبته، ولا أباه إلا طمعت فيه(٥).

وقالَ: الإِنْصافُ يُنْبِتُ المَوَدَّةَ، وَمَعَ كَرَمِ العِشْرَةِ تَطُولُ المَوَدَّةُ.

وَقال: ثَلاثُ خِصالٍ تُجْتَلَبُ بِهِنَّ المَحَبَّةُ: الإِنْصافُ فِي المُعاشَرَةِ، والمُواساةُ فِي الشِّدَّةِ، والاِنْطِواءُ عَلَى المَوَدَّةِ(٦).

---

(١) أخرجه البخاريٰ (٥٥٩٠)، مسلم (٣١٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٢٥).

(٣) ٱنظر: مصنف ابن أبىٰ شيبة (١١/ ٤٨).

(٤) ٱنظر: الأخلاق والسير لابن حزم (١/ ١٦٥).

(٥) ٱنظر: البصائر والذخائر (١/ ٢١٩).

(٦) ترتيب الأمالي الخميسية للشجري (٢/ ١٩٩).

وقال ابن القيِّم رحِمه الله: "والإنصافُ أن تكتالَ لمُنازِعِك بالصاع الذي تكتال به لنفسِك؛ فإنَّ في كل شيء وفاءً وتطفيفًا"(١).

نماذج من حياة الرسول ﷺ في الإنصاف:

١- إنصاف النبي مع الصحابة لما امتنع بعضهم من دفع الصدقة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُمَرَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَقِيلَ: مَنَعَ ابن جَمِيلٍ، وَخالِدُ بْنُ الوَلِيدِ، والعَبّاسُ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"ما يَنْقِمُ ابن جَمِيلٍ إلاّ أَنَّهُ كانَ فَقِيرًا فَأَغْناهُ اللهُ، وَأَمّا خالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خالِدًا، قَدِ احْتَبَسَ أَدْراعَهُ وَأَعْتادَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَمّا العَبّاسُ فَهِيَ عَلَيَّ، وَمِثْلُها مَعَها ثُمَّ قالَ: يا عُمَرُ، أما شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ؟"**(٢).

قال ابن حجر: وَهُوَ مُشْعِرٌ بِأَنَّها صَدَقَةُ الفَرْضِ لِأَنَّ صَدَقَةَ التَّطَوُّعِ لا يبْعَث عَلَيْها السعاة وَقالَ بن القَصّارِ المالِكِيُّ الأَلْيَقُ أَنَّها صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ لِأَنَّهُ لا يُظَنُّ بهؤلاء الصَّحابَةِ أَنَّهُمْ مَنَعُوا الفَرْضَ وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُمْ ما مَنَعُوهُ كُلُّهُمْ جَحْدًا وَلا عنادا أما بن جَمِيلٍ فَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ كانَ مُنافِقًا ثُمَّ تابَ بَعْدَ ذَلِكَ كَذا(٣).

٢- إنصاف عائشة رضي الله عنها:

إنصاف عائشة رضي الله عنه مع من هجاها ورماها، فمع أن حسان بن ثابت رضي الله عنه قد رماها بالفاحشة، لكن لم يمنعها هذا من أن تُقر له بالفضل الذي له وكانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان، وتقول إنه الذي يقول:

فإن أبي ووالده وعرضي   لعرض محمد منكم وقاء(٤)

---

(١) تهذيب السُّنن (١٢٢/ ١).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٨)، ومسلم (٩٨٣)

(٣) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٣٣)

(٤) أخرجه البخاري (٤١٤١).

أقوال في الإنصاف:

* قال بعض الحكماء: أحق الناس بالإحسان من أحسن الله إليه وأولاهم بالإنصاف من بسطت بالمقدرة يداه فاستدم ما أوتيت من النعمة بتأدية ما عليك من الحق(١).

* وقالوا: المروءة إنصاف الرجل من هو دونه والسمو إلىٰ من هو فوقه والجزاء بما أتىٰ إليه(٢).

* قال الحكماء: لا يكون الذم من الرعية لراعيها إلا لإحدىٰ ثلاث: كريم قصر به عن قدره فاحتمل لذلك ضغنًا، أو لئيم بلغ به إلىٰ ما لا يستحق فأورثه ذلك بطرًا، أو رجل منع حظه من الإنصاف فشكا تفريطا(٣).

قالَ بَعْضُ الحُكَماءِ: بِالعَدْلِ والإنْصافِ تكُونُ مُدَّةُ الأْئتِلافِ(٤).

وَقالَ ابن الرُّومِيِّ: هُم النّاسُ والدُّنْيا وَلا بُدَّ مِنْ قَذىٰ يُلِمُّ بِعَيْنٍ أَوْ يُكَدِّرُ مَشْرَبا وَمِنْ قِلَّةِ الإنْصافِ أَنَّك تَبْتَغِي المُهَذَّبَ فِي الدُّنْيا وَلَسْت المُهَذَّبا(٥)

قالَ ابن هُبَيْرَةَ الحَنْبَلِيُّ الوَزِيرُ: لِيَكُنْ غايَةُ أَمَلِكَ مِنْ عَدُوِّك الإنْصافَ فَمَتَىٰ طَلَبْته مِنْهُ كانَ سائِرُ الخَلْقِ عَوْنًا لَك، فَأَمّا أَخُوك وَصَدِيقُك فَعامِلْهُما بِالفَضْلِ والمُسامَحَةِ لا بِالعَدْلِ(٦).

ومن الآداب التي ينبغي أن تراعى لتحقيق الإنصاف:

١- يجب أن نبتعد عن الهوىٰ عند الكلام على المخالفين:

وذلك بأن يكون المرء أمينًا فيما يقول، أو يكتب، وخصوصًا إذا كان من

(١) أنظر: مكارم الأخلاق ومعاليها(١/ ٢٨).
(٢) أنظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١/ ٢٣١).
(٣) أنظر: العقد الفريد (١/ ١٢).
(٤) أنظر: أدب الدنيا والدين (١/ ١٧٠).
(٥) أنظر: أدب الدنيا والدين (١/ ٢١٦).
(٦) أنظر: الآداب الشرعية (٢/ ٧٦)

أهل العلم، فلا يغالي في أي شخص، ولا ينتقصه حقَّه، بقصد حُب الظهور، أو الأنتقام، أو الأنتصار للنَّفْس، أو للطائفة التي ينتمي إليها، بل لا بد أن يعرف قدر الشخص الذي يتحاور معه، وذلك عملا بقول النبي - ﷺ -: **"إنَّ مِنْ إجْلالِ اللهِ إكْرامَ ذى الشَّيْبَةِ المُسْلِم وَحامِلِ القرآن غَيْرِ الغالِىٰ فِيهِ والجافِىٰ عَنْهُ وَإكْرامَ ذى السُّلْطانِ المُقْسِطِ"**[1].

٢- يجب أن نتثبت قبل إصدار الأحكام:

وذلك أمتثالا لقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

قال ابن كثير: يأمر تعالىٰ بالتثبت في خبر الفاسق ليُحتاطَ له، لئلا يحكم بقوله، فيكون في نفس الأمر كاذبًا، أو مخطئًا، فيكون الحاكم بقوله قد أقتفىٰ وراءه، وقد نهىٰ الله عن أتباع سبيل المفسدين[2].

فالتروي والتأني قبل الحكم على الناس من الصفات التي يحبها الله جل وعلا كما قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس: إن فيك خَصْلتين يحبهما الله: الحِلم والأناة[3]. فمن الظلم المجازفة في إطلاق الأحكام على الناس بغير بينة، واتهامهم بالظن.

٣- حمل الكلام علىٰ أحسن الوجوه، وإحسان الظن بالمسلمين:

فالواجب على المسلم أن يحسن الظن بكلام أخيه المسلم، وأن يحمل العبارة المحتملة محملا حسنًا، عملا بقول النبي ﷺ: **"إيّاكُمْ والظَّنَّ فَإنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ"**[4]. وكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تظُنَّن بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيرًا، وأنت تجد لها في الخير محملا.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٨).
(٢) تفسير ابن كثير ٧/ ٣٧٠. (٣) أخرجه مسلم (١٧).
(٤) أخرجه البخاري (٤٨٤٩)، ومسلم (٢٥٦٣).

فمن الإنصاف أن تلتمس لأخيك العذر، ولا تتبع ذلاته، ولا تحمل كلامه إلا علىٰ أحسن الوجوه، فهٰذا مما يساعد علىٰ تحقيق هٰذِه الصفة.

٤- ألا ننشر أخطاء المخالفين مع غض الطرف عن صوابهم[١]:

فهٰذا هو الإنصاف، فليس من العدل أن ترخي الحبل للسانك ليخوض في أخطاء من خالفك، مع ترك ما أصاب فيه وأجاد، بل عليك أن تذكر ما أصاب فيه، وكان الحق معه، فبهذا يكون الإنصاف.

٥- يجب أن يكون النقد للرأي، لا للشخص:

فالنقد الموضوعي الصحيح هو الذي يتجه إلى الموضوع ذاته، لا إلىٰ صاحبه، وهٰذا كان منهج النبي ﷺ في معالجة القضايا إذا حدث خطأ من أحد أصحابه، أو من بعضهم، فإنه ﷺ لم يكن يُسمّيهم في الغالب، وإنما كان يقول: ما بالُ أقوام[٢].

قال النووي: هو موافق للمعروف من خُطَبه - ﷺ - في مثل هٰذا أنه إذا كره شيئًا فخطب له، ذكر كراهيته، ولا يُعَيِّن فاعله، وهٰذا من عظيم خُلقه - ﷺ - فإن المقصود من ذلك الشخص، وجميع الحاضرين، وغيرهم ممن يبلغه ذلك، ولا يحصل توبيخ صاحبه في الملإ[٣].

٦- الامتناع عن الجدال الذي يؤدي إلى النزاع:

فإذا تبين أن المناقشة ستؤدي إلى الجدال الذي لا جدوىٰ منه، مما قد يوقع الطرفين في منازعة، فحينئذ يجب الكف عن المناقشة حفاظا علىٰ أُخُوَّة الإسلام.

---

(١) وهٰذا الكلام في حق أهل العدل الذين بدرت منهم كلمات محتملة، أما أصحاب الأهواء ودعاة الضلالة فيجب تحذير الناس منهم لئلا يغتر بهم .

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٢١)، ومسلم (١٥٠٤).

(٣) شرح مسلم ١٧٦/٩.

وحتىٰ لا يصل النقاش إلىٰ هٰذِه الدرجة، يجب أن يكون المتحاور هيِّنا سهلا سمحًا كريمًا، لا يستعمل العبارات التي توغر الصدور، وتوقع العداوة والبغضاء بين المتحاورين، وذلك عملا بقول النبي - ﷺ -: "**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النّارُ، عَلَىٰ كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ**"(١).

وقد حذّر النبي ﷺ من الجدل المفضي إلى الخصومة فقال: "**أَبْغَضُ الرِّجالِ إِلَىٰ اللهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ**"(٢).

قال النووي: لأنه كلما ٱحتج عليه بحُجة أخذ في جانب آخر، وأما الخصِم فهو الحاذِق بالخصومة، والمذموم هو الخصومة بالباطل في رفع حق، أو إثبات باطل(٣).

وقال الأوْزاعي: عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوا لك القول، فليحذر كل مسئول ومناظر من الدخول فيما ينكره عليه غيره، وليجتهد في ٱتباع السنة، واجتناب المحدثات كما أمر.

٧- حمل كلام المخالف علىٰ ظاهره، مع عدم التعرض للنوايا:

فمما ٱبتلي به كثيرٌ من الناس في هٰذِه الأيام التعرّض لما في النوايا، والتعامل مع غيرهم علىٰ ما يعتقدونه في الضمائر، ويزداد الأمر سوءًا إذا كان هٰذا الشخص سيئ الظن بالناس، فهو لا يثق في أحد، ومن خطورة هٰذا الأمر أنه قد ينصرف إلىٰ أهل العلم والفضل والخير، فإن هٰذا مما يُحْزنهم، إذ كل ٱمرئ صالح يكره أن يظن به الناس شرًّا.

يجب أن نعلم أن ما في النوايا والضمائر لا يعلمه إلا الله جل وعلا ومن

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٨٨)، وابن حبان (٤٧٠) وقال الترمذي: حسن غريب، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٢٥)، ومسلم (٢٦٦٨).

(٣) شرح مسلم ١٦/ ٢١٩.

خلال الواقع المشاهد وجدنا أن غالب هٰذِه الظنون المبنية على ٱعتقاد معرفة ما في الضمائر تكون غير صحيحة، وهٰذا مما يؤدي إلىٰ فساد كبير في العلاقات الإنسانية.

وهٰذا ما بينه النبي ﷺ بقوله: "**إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النّاسِ وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ**"[1].

(١) أخرجه البخاري (٤٠٩٤)، ومسلم (١٠٦٤).

أخلاقيات مذمومة
لا تليق بالمتطوع

أخلاقيات مذمومة لا تليق بالمتطوع

تمهيد

إن العمل التطوعي الخيري المؤسسي يقوم علىٰ ثلاثة ركائز: الممول، والمستفيد، والعامل في المجال التطوعي.

والعامل هو حلقة الوصل بين الممول والمستفيد وهٰذا يعكس لنا أهمية هٰذا الدور الذي يقوم به المتطوع؛ فهو يقوم بجذب المتبرع، وتحفيزه للبذل، ثم يتولىٰ توزيع هٰذِه الأموال علىٰ مستحقيها بالعدل والميزان، وأي خلل في شخصية المتطوع لا بد أن يؤثر بالسلب على العلاقة بينه وبين الممول والمستفيد، فاتصافه بالقبيح من الأخلاق والسيئ من الآداب سيزهد الممولين في الإنفاق بل يصرفهم عن العمل الخيري، وأما المستفيد؛ فمع شدة ٱحتياجه للمال والمساعدة؛ فإنه سيتضجر من التعاون مع أمثال هٰؤلاء ممن ٱتصفوا بسوء الخلق والكبر والتطاول عليهم، وجفائهم وجَحدِهم حقوقَهم أو ٱختلاس الأموال لصالحهم، ففساد أخلاق المتطوع يعني سقوط العمل وفشله حتىٰ ولو كان الشعار عظيمًا والمال وفيرًا.

ولهٰذا فلابد للمتطوع من ٱتصافه بجميل الأخلاق والبعد عن مساوئها ومما يعين علىٰ هٰذا:

أولاً: إيمانه بالرسالة التي يؤديها حتىٰ يبذل غاية وسعه في سبيل نجاحها.

وثانيًا: أن يكون عنده الدافع الداخلي للعمل، والحرص عليه ليراقب نفسه على الدوام لإصلاح ما يقع من زلات.

وثالثًا: إحساسه: أن فساده في هٰذا الموقع يعني ضياع خير كبير ينفع المسلمين ولكن بسببه منعوا من هٰذا الخير المقدم لهم.

ولهٰذا سنضع أهم السلبيات الأخلاقية التي يجب على المتطوع التنزه عنها حتىٰ يحقق العمل التطوعي أهدافه والله الموفق.

١- الإهمال

الإهْمال لغة:

الإهْمال: التَّرْكُ عَنْ عَمْدٍ أَوْ نِسْيانٍ، وَيُقال: أَهْمَلَهُ إهْمالاً إذا خَلَّىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، أو تركه ولم يستعمله(١).

الإهمال اْصطلاحًا:

الإهمال هو: ألّا يرعى الإنسان ما تجب عليه رعايته على الوجه الأكمل بالتّخلية أو التّرك أو التّقصير(٢).

ذم الإهمال في نصوص القرآن والسنة النبوية:

١- قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦].

قال ابن كثير رحمه الله: قال السدي: يعني لا يبعث. وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني لا يؤمر ولا ينهىٰ، والظاهر أن الآية تعم الحالين أي ليس يترك في هٰذِه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهىٰ، ولا يترك في قبره سدىٰ لا يبعث بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور إلىٰ الله في الدار الآخرة(٣).

٢- وقال تعالىٰ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء: ٩].

لا يزال الكلام مع الأوصياء والأولياء الذين يقومون على اليتامىٰ. والقول

---

(١) كتاب الكليات (١/ ٢١١)، الصحاح (٥/ ١٨٥٤- ١٨٥٥)، لسان العرب (٨/ ٤٧٠١- ٤٧٠٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/ ٢٧٤)

(٢) مستفاد من مصادر اللغة والكليات للكفوي.

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٩١).

السديد منهم: أن يكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن، والترحيب ويدعوهم بقولهم: يا بنيّ، ويا ولدي ونحو ذلك، وقوله: تركوا، أي قاربوا أن يتركوا، وقوله: من خلفهم: أي من بعد موتهم، وقوله: خافوا عليهم، أي الإهمال والضياع[(١)].

٣- وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. والنبذ: الطرح والإلقاء، وهو هنا مستعار لعدم العمل بالعهد تشبيهًا للعهد بالشيء المنبوذ في عدم الانتفاع به.

ووراء الظهور هنا تمثيل للإضاعة والإهمال؛ لأن شأن الشيء المهتم به المتنافس فيه أن يجعل نصب العين ويحرس ويشاهد. قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]. وشأن الشيء المرغوب عنه أن يستدبر ولا يلتفت إليه، وفي هٰذا التمثيل ترشيح لاستعارة النبذ لإخلاف العهد)[(٢)].

ومن السنة:

١- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْها حَتَّىٰ ماتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيها النّارَ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْها وَلاَ سَقَتْها، إِذْ حَبَسَتْها، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْها تَأْكُلُ مِنْ خَشاشِ الأَرْضِ**»[(٣)].

وظاهر هٰذا الحديث أن المرأة عذبت بسبب قتل هٰذِه الهرة بالحبس، قال عياض: يحتمل: أن تكون المرأة كافرة فعذبت بالنار حقيقة، أو بالحساب؛ لأن من نوقش الحساب عُذب. ثم يحتمل: أن تكون المرأة كافرة فعذبت بكفرها وزيدت عذابًا بسبب ذلك، أو مسلمة وعذبت بسبب ذلك.

قال النووي: الذي يظهر أنها كانت مسلمة وإنما دخلت النار بهٰذِه

---

(١) تفسير المراغي (٤/ ١٩٣). (٢) التحرير والتنوير (٤/ ١٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٦٥)، ومسلم (٢٢٤٢).

المعصية[١].

وهٰذِه العقوبة نظير إهمالها دابة لم تطعمها ولم تتركها تأكل من رزق الله في الفضاء الواسع.

٢- عَنْ خَيْثَمَةَ، قالَ: كُنّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، إِذْ جاءَهُ قَهْرَمانٌ لَهُ فَدَخَلَ، فَقالَ: أَعْطَيْتَ الرَّقِيقَ قُوتَهُمْ؟ قالَ: لا، قالَ: فانْطَلِقْ فَأَعْطِهِمْ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "كَفَىٰ بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ"[٢].

الحديث دليل علىٰ وجوب النفقة على الإنسان لمن يقوته، فإنه لا يكون آثما إلا علىٰ تركه لما يجب عليه، وقد بولغ هنا في إثمه بأن جعل ذلك الإثم كافيا في هلاكه عن كل إثم سواه. والذين يقوتهم ويملك قوتهم: هم الذين يجب عليه الإنفاق عليهم وهم أهله وأولاده وعبيده علىٰ ما سلف تفصيله. ولفظ مسلم خاص بقوت المماليك ولفظ النسائي عام[٣].

٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ المُساوِرِ قالَ: سَمِعْتُ ابن عَبّاسٍ يُخْبِرُ ابن الزُّبَيْرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "لَيْسَ المُؤْمِنُ الذِي يَشْبَعُ وَجارُهُ جائِعٌ"[٤].

وفي الحديث دليل واضح علىٰ أنه يحرم على الجار الغني أن يدع جيرانه جائعين، فيجب عليه أن يقدم إليهم ما يدفعون به الجوع، وكذلك ما يكتسون به إن كانوا عراة، ونحو ذلك من الضروريات.

ففي الحديث إشارة إلىٰ أن في المال حقا سوى الزكاة، فلا يظنن الأغنياء أنهم قد برئت ذمتهم بإخراجهم زكاة أموالهم سنويا، بل عليهم حقوق أخرىٰ لظروف وحالات طارئة، من الواجب عليهم القيام بها، وإلا دخلوا في وعيد قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم

(١) فتح الباري (٦/ ٣٥٨).
(٢) أخرجه مسلم (٩٩٦).
(٣) سبل السلام (٢/ ٣٢٣).
(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٥٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٤٩).

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥](١).

٤- عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قالَ: قالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: **"لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ"**(٢). قال الطِيبي: المعروف ٱسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله تعالىٰ والإحسان إلى الناس وهو من الصفات الغالبة، أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لم ينكروه. ومن المعروف النصفة وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم، وتلقي الناس بوجه طلق (وإن لم يجد) أي أحدكم شيئًا من المعروف. قوله (فليلق أخاه بوجه طلق) ضد العبوس وهو الذي فيه البشاشة والسرور؛ فإنه يصل إلىٰ قلبه سرور، ولا شك أن إيصال السرور إلىٰ قلب مسلم حسنة(٣).

مضار الإهمال ووسائل التخلص منه:

للإهمال مضار عظيمة يجب معرفتها للتخلص من هٰذِه المضار ومنها:

(١) الإهمال يؤدّي إلىٰ ضياع الثّروة وإفقار الأمّة.

(٢) دليل على ٱنعدام الإحساس أو بلادته.

(٣) يؤدّي إلىٰ فتور العلاقات الٱجتماعيّة، وفتورها يستتبع تمزّقها.

(٤) يؤدّي إلىٰ شيوع الظّلم وزيادة صولة المستبدّين.

(٥) ينتهي بصاحبه إلى الطّرد من رحمة الله(٤).

---

(١) السلسلة الصحيحة (١٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).

(٣) تحفة الأحوذي (٥/ ٤٥٨).

(٤) نضرة النعيم (٩/ ٤٠٢٨).

٢- التنصل من المسؤولية

التعريف:

التّنصّل لغة:

مصدر قولهم: تنصّل من الشّيء: تبرّأ منه وهو مأخوذ من مادّة (ن ص ل) التي تدلّ علىٰ بروز شيء من كنّ أوستر أو مركب أو نحو ذلك، يقال: نصل الحافر أي خرج من موضعه، وتنصّل من ذنبه: تبرّأ منه[١].

المسئولية لغة:

لفظ المسئوليّة من الألفاظ المحدثة التي يراد بها التّبعة، يقال: أنا بريء من مسئوليّة هٰذا العمل أي من تبعته، وقيل: المسئوليّة ما يكون به الإنسان مسئولاً ومطالبًا عن أمور أو أفعال أتاها. والمسئوليّة عند أرباب السّياسة: هي الأعمال التي يكون الإنسان مطالبًا بها[٢].

المسئولية ٱصطلاحًا:

تعني المسئوليّة كون الفرد مكلّفًا بأن يقوم ببعض الأشياء وبأن يقدّم عنها حسابا إلىٰ غيره وينتج عن هٰذا التّحديد أنّ فكرة المسئوليّة تشتمل علىٰ علاقة مزدوجة من ناحية الفرد المسئول بأعماله وعلاقته بمن يحكمون علىٰ هٰذِه الأعمال، والمسئوليّة قبل كلّ شيء هي ٱستعداد فطريّ، إنّها هٰذِه المقدرة علىٰ أن يلزم الإنسان نفسه أوّلا، والقدرة علىٰ أن يفي بعد ذلك بالتزامه بوساطة جهوده الخاصّة[٣].

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٤٣٣).

(٢) ٱنظر: المعجم الوسيط ١/ ٤١٣، ومحيط المحيط (٣٩٠).

(٣) دستود الأخلاق فى القرآن (١٣٨).

التنصل من المسؤولية آصطلاحًا:

التّنصّل من المسئوليّة والتّهرّب منها يعني التّبرّؤ من الألتزام بما سبق للإنسان تحمّله من مسئوليّة والخروج من عهدة ذلك شيئًا فشيئًا.

ويمكن أن نقول أيضا: إنّ ذلك يعني التّخلّص التّدريجيّ ممّا سبق للشّخص أن تعهّد به والتماس عذر غير حقيقيّ للتبرّؤ من تبعة التّقصير في الأداء[1].

أنواع المسئولية:

١- المسئوليّة الدّينيّة: وهي التزام المرء بأوامر الله ونواهيه، وقبوله في حال المخالفة لعقوبتها، ومصدرها الدّين.

٢- المسئوليّة الأجتماعيّة: هي التزام المرء بقوانين المجتمع ونظمه وتقاليده.

وقيل: هي المسئوليّة الذّاتيّة عن الجماعة، وتتكوّن من عناصر ثلاثة هي: الأهتمام والفهم والمشاركة[2].

٣- المسئوليّة الأخلاقيّة: هي حالة تمنح المرء القدرة علىٰ تحمّل تبعات أعماله وآثارها، ومصدرها الضّمير[3].

الأدلة من القرآن حول ذم التنصل من المسؤولية:

من القرآن:

١- قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا

---

(١) نضرة النعيم (٩/ ٤٢٨١).

(٢) أنظر تفصيل ذلك: المسئولية الأجتماعية والشخصية المسلمة للدكتور أحمد سيد عثمان (٢٦٩).

(٣) أنظر: دستور الأخلاق في القرآن (١٤٨- ٢٢٢).

نُقَتِلُوٓاْ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

أي: فلما فرض عليهم القتال بعد سؤال النبي ذلك وبعث الملك- أعرضوا وتخلفوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله بعد مشاهدة العدوّ وشوكته، إلا قليلا منهم عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة كما سيأتىٰ بعد.

ذاك أن الأمم إذا قهرها العدو تهن قوّتها ويغلب عليها الجبن وتلبس ثوب الذل والمسكنة، فإذا أراد الله إحياءها بعد موتها نفخ روح الشجاعة والإقدام في خيارها وهم الأقلون، فيعملون ما لا يعمله الأكثرون[(١)].

٢- وقال تعالىٰ: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٢- ٢٤].

اعتذروا بأن في هٰذِه البلدة - التي أمرتنا بدخولها وقتال أهلها- قوما جبارين، أي: ذوي خلق هائلة، وقوىٰ شديدة، وإنا لا نقدر علىٰ مقاومتهم ولا مصاولتهم، ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها، فإن يخرجوا منها دخلناها وإلا فلا طاقة لنا بهم.

﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ وهٰذا نكول منهم عن الجهاد، ومخالفة لرسولهم وتخلف عن مقاتلة الأعداء[(٢)].

٣- وقال تعالىٰ ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

---

(١) تفسير المراغي (٢/ ٢١٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٧٥).

وَإذا فَعَلُوا فاحِشَةً فيمن عني بهٰذِه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة. والفاحشة: كشف العورة.

والثاني: أنهم الذين جعلوا السائبة والوصيلة والحام، وتلك الفاحشة.

والثالث: أنهم المشركون والفاحشة: الشرك.

قال الزجاج: فأعلمهم ﷻ أنه لا يأمر بالفحشاء؛ لأن حكمته تدل علىٰ أنه لا يفعل إلا المستحسن. والقسط: العدل. والعدل: ما ٱستقر في النفوس أنه مستقيم لا ينكره مميِّز، فكيف يأمر بالفحشاء، وهي ما عظم قبحه؟!(١).

٤- وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٤٦﴾ [التوبة: ٤٦].

ولو أراد هٰؤلاء المستأذنوك، يا محمد، في ترك الخروج معك لجهاد عدوّك، الخروجَ معك (لأعدوا له عدة)، يقول: لأعدوا للخروج عدة، ولتأهّبوا للسفر والعدوِّ أهْبَتهما ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾، يعني: خروجهم لذلك فثبطهم، يقول: فثقَّل عليهم الخروجَ حتى ٱستخفُّوا القعودَ في منازلهم خِلافك، واستثقلوا السفر والخروج معك، فتركو لذلك الخروج ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾، يعني: ٱقعدوا مع المرضىٰ والضعفاء الذين لا يجدون ما ينفقون، ومع النساء والصبيان، واتركوا الخروج مع رسول الله ﷺ والمجاهدين في سبيل الله(٢).

الأدلة من السنة حول ذم التنصل من المسؤولية:

١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ: أَنَّ رِجالًا مِنَ المُنافِقِينَ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كانَ إذا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإذا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ٱعْتَذَرُوا إِلَيْهِ،

---

(١) زاد المسير (٢/ ١١١).

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٢٧٧).

وَحلَفُوا وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَنَزَلَتْ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾(١).

المعنىٰ لا تظنن أيها الرسول الكريم: أن هٰؤلاء المنافقين الذين يفرحون بما فعلوه من التخلف عن الغزو معك، ومخادعتك بالأعذار والأيمان الكاذبة، ويحبون الحصول علىٰ ثنائك عليهم، دون عمل صالح يستحقون عليه هٰذا الثناء، لا تظنن أنهم بمنجاة من عذاب الله، فإنهم سيلقون عذابًا شديدًا بالنار وبئس القرار(٢).

٢- عن زيد بن أرقم ﷺ قال: قالَ: خَرَجْنا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ أَصابَ النّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ، فَقالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ لِأَصْحابِهِ: لاَ تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَقالَ: لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْها الأَذَلَّ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ فَسَأَلَهُ، فاجْتَهَدَ يَمِينَهُ ما فَعَلَ، قالُوا: كَذَبَ زَيْدٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمّا قالُوا شِدَّةٌ، حَتَّىٰ " أَنْزَلَ اللهُ ﷻ تَصْدِيقِي فِي: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون: ١] فَدَعاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، فَلَوَّوْا رُءُوسَهُمْ "، وَقَوْلُهُ: ﴿خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] قالَ: كانُوا رِجالًا أَجْمَلَ شَيْءٍ(٣).

من مضار التنصل من المسؤولية:

(١) هي صفة من صفات النّفاق وخصلة من خصال المنافقين.

(٢) فشوّ المفسدين في مجتمع المسلمين.

(٣) يحمل صاحبه على الكذب، والحلف الكاذب.

(٤) المتنصّل يستحقّ عذاب الله ومقته.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٧)، ومسلم (٢٧٧٧).

(٢) منار القاري (٥/ ٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٠٣)، ومسلم (٢٧٧٢).

(٥) المتنصّل من المسئوليّة مبغض عند الله وعند النّاس.

(٦) المتنصّل من المسئوليّة يستصغره النّاس ويحتقرونه.

(٧) التّنصّل من المسئوليّة مخالف لصفات الرّجولة ومخلّ بالمروءة.

(٨) داء التّنصّل من المسئوليّة من الأمراض الاجتماعيّة الخطيرة التي تفقد النّاس الثّقة فيما بينهم.

(٩) التنصّل من المسئوليّة والتّهرّب منها ينجم عنه الفوضىٰ والإخلال بالالتزامات الأدبيّة والمادّية وضياع الحقوق.

(١٠) التّنصّل من المسئوليّة يؤدّي إلىٰ تعطيل الأعمال وتأخير مواعيدها لأنّ البحث عن بديل للمتنصّل لا يتيسّر دائما أو في الوقت المناسب.

(١١) التّهرّب من المسئوليّة أو التّنصّل منها يتنافىٰ مع حمل الأمانة التي شرّف الله بها الإنسان[١].

أسباب التنصل من المسؤولية وعلاجها:

١- التقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- تفضيل واقع المجتمع علىٰ غيره.

إن المعيار الذي ينبغي أن نحتكم إليه هو المعيار الشرعي وليس الواقع، وقياسنا لتدين المجتمع يجب أن نعرفه من خلال الفارق بين الواقع وبين الصورة الشرعية المطلوبة من المجتمع.

٣- تضخيم الانحراف والفساد.

اعتناء الناس بالقدر الذي يطيقونه ويستطيعون أداءه، والنظرة البعيدة التي تتجاوز حدود الزمن القريب سوف يدفعهم للعمل والإصلاح رغم ما يرونه من ضخامة حجم الفساد، ومحدودية الطاقات والإمكانات التي يملكونها.

---

(١) نضرة النعيم (٩/ ٤٢٩٥).

٤- الأنشغال بالمصالح الخاصة.

حين تتعارض بعض المطالب الدعوية مع المصالح والمشاغل الشخصية للمرء فقد يعتذر بها، وينطلق في ذلك من منطلقات شرعية كالقيام بحق الأهل والأولاد، أو الصلة... إلخ.

وحين نتأمل سيرة النبي ﷺ وحياته نرىٰ أنه كان لا يتخلف عن غزوة في سبيل الله ﷻ إلا سعيا للرفق بالمسلمين، فقد قال ﷺ: "لولا أن أشق علىٰ أمتي ما تخلفت خلاف سرية تغزو في سبيل الله"[1].

كان يفعل ذلك ﷺ وعنده تسع نسوة كل منهن تطالبه بحقها.

٥- الأنشغال بالنقد عن العمل:

إننا لا نمانع من النقد الشرعي البنّاء، لكن النقد قد يكون في مصدره دفع المسؤولية عن النفس، فإن النفس تشعر بالتقصير حين ترىٰ ما يقدمه الآخرون من جهد وعمل، فحين ينتقد الشخص عملهم وجهدهم يبقىٰ في نظر نفسه سالمًا مما وقعوا فيه، لكنه ينسىٰ أن سكوته وتقصيره قد يكون أشد من خطأ من عمل وأخطأ عن اجتهاد وحسن نية.

٦- الأعتذار بالتقصير والوقوع في المعاصي:

وهٰذا الاحتجاج ليس وليد عصرنا، فقد قال سعيد بن جبير رحمه الله: لو لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر إلا من ليس فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهىٰ أحد عن منكر، فقال مالك رحمه الله: صدق، من ذا الذي ليس فيه شيء؟.

وقال الحسن البصري رحمه الله لأحدهم: عظ أصحابك. قال: أخاف أن أقول مالا أفعل. فقال له يرحمك الله، وأينا يفعل ما يقول؟. يود الشيطان لو أنه ظفر بهٰذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه أحد عن منكر.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٧)، ومسلم (١٨٧٦).

فلا يمكن أن يسلم أحد من الذنوب، حتى العلماء والدعاة كثيرا ما نسمعهم يعترفون بتقصيرهم وعدم رضاهم عن حالهم مع كونهم من أقل الناس تقصيرا، ولم يثنهم ذلك عن القيام بواجب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٧- الفهم الخاطئ لبعض النصوص الشرعية:

ومن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥].

وقد قال أبو بكر الصديق ﷺ: إنكم تقرءون قول الله تعالىٰ: "وذكر الآية السابقة" وتجعلونها في غير موضعها وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إنَّ النّاسَ إذا رَأَوْا المُنْكَرَ فَلَمْ يُغيِّرُوهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله بِعِقابِهِ**"[(١)].

٨- ٱنتظار فتح المجال أو التكليف:

إن طائفة يحرص على التنصل من أي مهمة، والاعتذار من أي تكليف وإحالة الأمر إلىٰ غيره، معتقدا أن ذلك سيعفيه من المسؤولية ويلقي الأمانة علىٰ غيره من الناس.

إن المسلم الغيور يشعر أن فتح الأبواب، والبحث عن المجالات المناسبة للعمل من مسؤوليته، وأنه حتىٰ لو أوصدت الأبواب أمامه فإن من مسؤوليته أن يسعىٰ لفتحها، والبحث عن البدائل، فضلا عن أن ينتظر حتىٰ تفتح له.

٩- الٱعتذار بعدم وجود الثمرة:

ولهؤلاء وأمثالهم يقال:

أولاً: ليست جميع نتائج الدعوة مما يظهر لصاحبها، فكثير من الجهود

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٠٥)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٠٩٢)، وأحمد (١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٧٤).

الدعوية لايدرك صاحبها أثرها، أو لاتؤتي أثرها إلا بعد حين.

ثانيًا: أن مناط التكليف في الدعوة هو القيام بالواجب الدعوي، وليس ٱستجابة الناس، فمتىٰ قام الداعية بالواجب في دعوته فقد تحقق الأمر، وسقط عنه التكليف، واستحق الثواب، سواء ٱستجاب الناس أم لم يستجيبوا.

ثالثًا: أن الواقع أننا نرىٰ أن كثيرًا من الأعمال الدعوية تظهر ثمرتها ويراها أصحابها، بل إنها لا تقارن بالجهود المبذولة.

رابعًا: أن ضعف الثمرة في بعض الأعمال قد يكون مرده الخلل فيها، وليس بالضرورة صدود الناس وإدبارهم عن الحق[١].

---

(١) التهرب من المسؤولية للدكتور محمد بن عبدالله الدويش.

٣- الجفاء

الجفاء لغة:

جفوت الرّجل أجفوه جفاء فهو مجفوّ، ولا تقل جفيت، ويقول الفيّوميّ: وجفوت الرّجل أجفوه، أعرضت عنه، وهو مأخوذ من جفاء السّيل وهو ما نفاه السّيل، وقد يكون مع بغض(١).

الجفاء اصطلاحًا:

قال المناويّ: الغلظ في العشرة والخرق في المعاملة وترك الرّفق في الأمور(٢).

الأدلة من القرآن على ذم الجفاء:

١- قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: ٧٤].

قال الزجاج: تأويل قست في اللغة أي غلظت ويبست، فتأويل القسوة في القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع. وقوله: مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ، قد قيل: من بعد إحياء الميت، ويحتمل بعد الآيات التي ذكرت، نحو مسخ القردة والخنازير ورفع الجبل وتفجير الأنهار من الحجر وغير ذلك. وقال بعض الحكماء: معنىٰ قوله: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ، أي يبست. ويبس القلب أن ييبس عن ماءين أحدهما: ماء خشية الله والثاني: ماء شفقة الخلق.

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٣٠٣)، وانظر: المصباح المنير (١/ ٣٠)، ولسان العرب (١٤/ ١٤٧- ١٤٩).

(٢) التوقيف (١٢٧)، شمس العلوم (١/ ١١٢٢).

ثم قال تعالىٰ: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾، وكل قلب لا يكون فيه خشية الله تعالىٰ فهو كالحجارة. أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً، قال بعضهم: بل أشد قسوة مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] بمعنىٰ بل يزيدون، وكقوله: ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]، أي: بل هو أدنىٰ. وقال بعضهم: معناه وأشد قسوة الألف زائدة. وقال الزجاج: أو للتخيير يعني إن شئتم شبهتم قسوتها بالحجارة أو بما هو أشد قسوة فأنتم مصيبون كقوله تعالىٰ: ﴿كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩][1].

٢- وقال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

يعني بـ"الفظ" الجافي، وبـ"الغليظ القلب"، القاسي القلب، غير ذي رحمة ولا رأفة. وكذلك كانت صفته ﷺ، كما وصفه الله به: (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [سورة التوبة: ١٢٨].فتأويل الكلام: فبرحمة الله، يا محمد، ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك"لنت لهم"، لتابعك وأصحابك، فسُهلت لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقك، حتى ٱحتملت أذىٰ من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمَه، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك ولم يتَّبعك ولا ما بُعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم، فبرحمة من الله لنت لهم[2].

٣- وقال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة: ١٣].

أَي: جافة غير لينَة لا تدْخلها الرَّحْمَة، وتقرأ: " قسية " قيل: مَعْنَاهُ:

---

(١) تفسير السمرقندي (١/ ٦٥). (٢) تفسير الطبري (٧/ ٣٤١).

قاسية، فعيل بِمَعْنىٰ فاعل، وَقيل: مَعْناهُ: أن قُلوبهم لَيست بخالصة الإيمان؛ عاشوا بها بَين الكفْر والنفاق، وَمِنْه " الدَّراهِم القسية " وَهِي المغشوشة[١].

٤- وقال تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦].

قالَ ابن عَبّاسٍ: مالُوا إلَى الدُّنْيا وَأَعْرَضُوا عَنْ مواعظ الله، والمَعْنَىٰ: أَنَّ الله ﷻ يَنْهَى المُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا فِي صُحْبَةِ القرآن كاليَهُودِ والنَّصارى الذِينَ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ لَمّا طالَ عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ[٢].

٥- قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨].

الإعراض علىٰ جهة الكبر. يعني: لا تعرض بوجهك عن الناس متكبرًا. وقال مقاتل: لا تعرض وجهك عن فقراء المسلمين، وهكذا قال الكلبي. وقال العتبي: أصله الميل. ويقال: رجل أصعر إذا كان به داء، فيميل رأسه وعنقه من ذلك إلىٰ أحد الجانبين. ويقال: معناه لا تكلم أحدًا وأنت معرض عنه، فإن ذلك من الجفاء والإيذاء[٣].

الأدلة من السنة على ذم الجفاء:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"مَنْ بَدا جَفا، وَمَنْ تَبعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتىٰ أَبْوابَ السُّلْطانِ ٱفْتُتِنَ، وَما ٱزْدادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطانِ قُرْبًا، إلاّ ٱزْدادَ مِنَ اللهِ ﷻ بُعْدًا"**[٤].

---

(١) تفسير السمعاني (٢/ ٢١).

(٢) تفسير البغوي (٥/ ٣٠). (٣) تفسير السمرقندي (٣/ ٢٦).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٠)، وإسحاق بن راهويه (١/ ٣٩٤)، والقضاعي في مسند الشهاب (٣٣٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٧٢).

قال ابن كثير: لما كانت الغلظة والجفاء في أهل البوادي، لم يبعث الله منهم رسولاً؛ وإنما كانت البعثة من أهل القرىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يوسف: ١٠٩][(١)].

٢- عن أبي بكرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: "**الحَياءُ مِنَ الإيمانِ، والإيمانُ فِي الجَنَّةِ، والبَذاءُ من الجفاء، والجفاء في النار**"[(٢)].

٣- عن أبي مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: "**الإيمانُ هاهُنا الإيمانُ هاهُنا، وَإِنَّ القَسْوَةَ وَغِلَظَ القُلُوبِ فِي الفَدّادِينَ عِنْدَ أُصُولِ أَذْنابِ الإبِلِ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنا الشَّيْطانِ فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ**"[(٣)].

قال ابن حجر رحمه الله: وقوله: والجفاء وغلظ القلوب. قال القرطبي: هما شيئان لمسمىٰ واحد كقوله: إنما أشكو بثي وحزني إلىٰ الله. والبث هو الحزن ويحتمل أن يقال: المراد بالجفاء أن القلب لا يلين بالموعظة ولا يخشع لتذكرة، والمراد بالغلظ أنها لا تفهم المراد ولا تعقل المعنىٰ وقد مضىٰ في الرواية التي في بدء الخلق بلفظ القسوة بدل الجفاء[(٤)].

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: "**تُفْتَحُ أَبْوابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بالله شَيْئًا، إلاّ رَجُلًا كانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْناءُ، فَيُقالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحا**"[(٥)].

(حتىٰ يصطلحا) أي: يتصالحا، ويزول عنهما الشحناء فلا يفيد التصالح للسمعة والرياء، والظاهر أن مغفرة كل واحد متوقفة علىٰ صفائه، وزوال

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٣١٤)، وأحمد (٢/ ٥٠١)، والترمذي (٢٠٠٩) وصححه، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٨٧).

(٤) فتح الباري (٦/ ٥٣١).

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٦٥).

عداوته سواء صفا صاحبه أم لا والله أعلم.

قال الطيبي: وأتىٰ باسم الإشارة بدل الضمير لمزيد التمييز والتعيين(١).

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: "**لا تَهَجَّرُوا، وَلا تَدابَرُوا، وَلا تَحَسَّسُوا، وَلا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبادَ اللهِ إِخْوانًا**"(٢).

التدابر المعاداة، وقيل: المقاطعة لأن كل واحد يولي صاحبه دبره، والحسد تمني زوال النعمة وهو حرام ومعنىٰ كونوا عباد الله إخوانا: أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال.

قال بعض العلماء: وفي النهي عن التباغض إشارة إلى النهي عن الأهواء المضلة الموجبة للتباغض(٣).

أقوال السلف حول ذم الجفاء:

١- بعث أبو موسى الأشعري إلىٰ قراء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرءوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم، فاتلوه، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة، كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة، فأنسيتها، غير أني قد حفظت منها: "**لو كان لابن آدم واديان من مال، لابتغىٰ واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب**"، وكنا نقرأ سورة، كنا نشبهها بإحدى المسبحات، فأنسيتها، غير أني حفظت منها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾، فتكتب شهادة في أعناقكم، فتسألون عنها يوم القيامة"(٤).

---

(١) مرقاة المفاتيح (٨/ ٣١٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٥٨).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ١١٦).

(٤) أخرجه مسلم (١٠٥٠).

٢- قالَ طاووس: مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُوَقَّرَ أَرْبَعَةٌ: العالِمُ، وَذُو الشَّيْبَةِ، والسُّلْطانُ، والوالِدُ، قالَ: وَيُقالُ: إنَّ مِنَ الجَفاءِ أَنْ يَدْعُوَ الرَّجُلُ والِدَهُ باسْمِهِ[١].

٣- قال مالِكَ بْنَ أَنَسٍ: ما قَلَّتِ الآثارُ فِي قَوْمٍ إلّا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الأَهْواءُ، وَلا قَلَّتِ العُلَماءُ إلّا ظَهَرَ فِي النّاسِ الجَفاءُ[٢].

---

(١) الجامع لمعمر بن راشد (١١/ ١٣٧).

(٢) ذم الكلام (٥/ ٧٩).

٤- أكل الحرام

تعريف أكل الحرام:

هو تناول ما يثاب علىٰ تركه تقرّبًا لله تعالىٰ من الأطعمة، ونحوها ممّا ثبت المنع عنه[(١)].

الفرق بين أكل الحرام واستحلال الحرام:

هناك فارق بين فعل الكبيرة واستحلالها ففعل الكبيرة كأكل الحرام صاحبها متوعد بالعقوبة سواء في الدنيا أو في الآخرة لكنه باق على الإسلام، بخلاف ٱستحلال الحرام أي ٱعتقاد حله وأنه ليس بحرام فمثل هٰذا يخرج من دائرة الإسلام.

قال الطحاوي رحمه الله: ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله[(٢)].

ذم أكل الحرام في القرآن:

١- قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة: ١٨٨].

والأكل بِالباطِلِ نَوْعانِ:

---

(١) الكليات (٤٠٠).

(٢) قال الألباني في تعليقه علىٰ متن الطحاوية (١/ ٦٠)، قلت: يعني ٱستحلالًا قلبيًا ٱعتقاديًا وإلا فكل مذنب مستحل لذنبه عمليًا أي مرتكب له ولذلك فلا بد من التفريق بين المستحل ٱعتقادًا فهو كافر إجماعًا وبين المستحل عملًا لا ٱعتقادًا فهو مذنب يستحق العذاب اللائق به إلا أن يغفر الله له ثم ينجيه إيمانه خلافًا للخوارج والمعتزلة الذين يحكمون عليه بالخلود في النار.

أحدهما: أن يكون بطرِيق الغَصْب والنهب والظّلم.

والآخر: بطرِيق اللَّهْو مثل القمار والرهان وَأُجْرَة المُغنِي وَنَحْو ذَلِك[(١)].

والمعنىٰ ولا يأكل بعضُكم مالَ بعض بالباطل. فجعل تعالىٰ ذكره بذلك آكلَ مال أخيه بالباطل، كالآكل مالَ نَفسه بالباطل.

والمعنىٰ ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ أي بالظلم وشهادة الزور. وَتُدْلُوا بِها إِلَى الحُكّامِ، يقول تلجؤوا بالخصومة إلى الحكام. وقال الزجّاج: تعملون بما يوجبه ظاهر الحكم، وتتركون ما علمتم أنه الحق. لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا، يعني طائفة مِنْ أَمْوالِ النّاسِ بِالإِثْمِ، أي باليمين الكاذبة وشهادة الزور. ويقال: بالإثم أي بالجور. وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أنه جور. ويقال: إنكم تعلمون أنكم تأخذون بالباطل[(٢)].

٢- قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء: ٢٩]. (بالباطل) بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ إلا أن تقع تجارة أي إلا أن تكون التجارة تجارة ﴿عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾ صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراض بالعقد أو بالتعاطي والاستثناء منقطع معناه ولكن ٱقصدوا كون تجارة عن تراضٍ أو ولكن كون تجارة عن تراضٍ غير منهي عنه وخص التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها[(٣)].

٣- قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٢- ٦٣].

---

(١) تفسير السمعاني (١/ ١٩٠).
(٢) تفسير السمرقندي (١/ ١٢٦).
(٣) تفسير النسفي (١/ ٣٥١).

كان من أكلهم أموال الناس بالباطل، ما كانوا يأخذون من أثمان الكتب التي كانوا يكتبونها بأيديهم، ثم يقولون: "هٰذا من عند الله"، وما أشبه ذلك من المآكل الخسيسة الخبيثة. فعاقبهم الله علىٰ جميع ذلك، بتحريمه ما حرَّم عليهم من الطيبات التي كانت لهم حلالا قبل ذلك.

وإنما وصفهم الله بأنهم أكلوا ما أكلوا من أموال الناس كذلك بالباطل؛ لأنهم أكلوه بغير ٱستحقاق، وأخذوا أموالهم منهم بغير ٱستيجاب(١).

٤- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٥].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ أي: إنما يأكلون ما يأكلونه في مقابلة كتمان الحق نارًا تأجج في بطونهم يوم القيامة(٢).

٥- قال تعالىٰ: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴿١٦٠﴾ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٠- ١٦١].

﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ﴾ وقد نهوا عنه أي: أن الله قد نهاهم عن الربا فتناولوه وأخذوه، واحتالوا عليه بأنواع من الحيل وصنوف من الشبه، وأكلوا أموال الناس بالباطل(٣).

﴿وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ﴾ من الرشا في الحكم، والمآكل التي يصيبونها من عوامهم، عاقبناهم بأن حرمنا عليهم طيبات، فكانوا كلما ٱرتكبوا كبيرة حرم عليهم شيء من الطيبات التي كانت حلالا لهم، قال الله تعالىٰ: ﴿ذلكَ جَزَيناهم ببغْيهم وإنَّا لصادقون﴾(٤).

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٣٩٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٤).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٤٦٧).

(٤) تفسير البغوي (٢/ ٣٠٩).

ذم أكل الحرام في السنة:

١- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو بمكّة عام الفتح: "**إنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الخَمْرِ، والمَيْتَةِ والخِنْزِيرِ والأَصْنامِ، فَقِيلَ: يا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ المَيْتَةِ، فَإِنَّها يُطْلَىٰ بِها السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِها الجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِها النّاسُ؟ فَقالَ: لاَ، هُوَ حَرامٌ، ثُمَّ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: قاتَلَ اللهُ اليَهُودَ إنَّ اللهَ لَمّا حَرَّمَ شُحُومَها جَمَلُوهُ، ثُمَّ باعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ**"[١].

قولهم: أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلىٰ بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس أي: فهل يحل بيعها؟ لما ذكر من المنافع: فإنها مقتضية لصحة البيع. قوله: فقال: لا؛ هو حرام أي: البيع. هكذا فسره بعض العلماء كالشافعي، ومن ٱتبعه ومنهم من حمل قوله، وهو حرام على الأنتفاع فقال: يحرم الأنتفاع بها، وهو قول أكثر العلماء فلا ينتفع من الميتة أصلاً عندهم إلا ما خص بالدليل وهو الجلد المدبوغ[٢].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: "**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النّاسِ زَمانٌ، لاَ يُبالِي المَرْءُ بِما أَخَذَ المالَ، أَمِنْ حَلاَلٍ أَمْ مِنْ حَرامٍ**"[٣].

هٰذا يكون لضعف الدين وعموم الفتن، وقد أخبر عليه السلام: أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، وأنذر كثرة الفساد، وظهور المنكر، وتغير الأحوال، وذلك من علامات نبوته عليه السلام[٤].

"لا يبالي المرء ما أخذ منه" أي لا تهمه الوسيلة التي ٱكتسب بها المال، والطريق الذي أخذه منه "**أمن الحلال**" أي سواء كان من كسب حلال كالبيع

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣٦)، ومسلم (١٥٨١).

(٢) فتح الباري (٤/ ٤٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٥٩).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٢٠١).

المبرور وعمل اليد " أم من الحرام " كالاختلاس والربا والقمار والرشوة، لأن المصلحة المادية هي الهدف الوحيد، والغاية الرئيسية لكل معاملاته[(١)].

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**أَيُّها النّاسُ، إنَّ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاّ طَيِّبًا، وَإِنَّ الله أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِما أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ، فَقالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] **وَقالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّماءِ، يا رَبِّ، يا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجابُ لِذَلِكَ؟**"[(٢)].

هٰذا الكلام أشار فيه ﷺ إلىٰ آداب الدعاء، وإلى الأسباب التي تقتضي إجابته، وإلىٰ ما يمنع من إجابته، فذكر من الأسباب التي تقتضي إجابة الدعاء أربعة:

أحدها: إطالة السفر، والثاني: حصول التبذل في اللباس والهيئة بالشعث والاغبرار، الثالث: مد يديه إلى السماء، والرابع: الإلحاح علىٰ الله بتكرير ذكر ربوبيته، وأما ما يمنع إجابة الدعاء، فقد أشار ﷺ إلىٰ أنه التوسع في الحرام أكلاً وشربًا ولبسًا وتغذية، فأكل الحلال وشربه ولبسه والتغذي به سبب موجب لإجابة الدعاء[(٣)].

٤- عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ: ٱسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الأَسْدِ، يُقالُ لَهُ: ابن اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمّا قَدِمَ قالَ: هٰذا لَكُمْ، وهٰذا لِي، أُهْدِيَ لِي، قالَ: فَقامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَقالَ: "**ما بالُ عامِلٍ أَبْعَثُهُ، فَيَقُولُ: هٰذا لَكُمْ، وهٰذا أُهْدِيَ لِي، أَفَلا**

---

(١) منار القاري (٣/ ٢٥٧).
(٢) أخرجه مسلم (١٠١٥).
(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٧٤) باختصار.

قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ، حَتَّىٰ يَنْظُرَ أَيُهْدىٰ إِلَيْهِ أَمْ لا؟ والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لا يَنالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْها شَيْئًا إِلاّ جاءَ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ عُنُقِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَها خُوارٌ، أَوْ شاةٌ تَيْعِرُ "، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّىٰ رَأَيْنا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قالَ: اللهُمَّ، هَلْ بَلَّغْتُ؟ مَرَّتَيْنِ "[1].

في هٰذا بيان أن هدايا العمال سحت وأنه ليس سبيلها سبيل سائر الهدايا المباحة وإنما يهدىٰ إليه المحاباة وليخفف عن المهدي ويسوغ له بعض الواجب عليه وهو خيانة منه وبخس للحق الواجب عليه ٱستيفاؤه لأهله[2].

٦- عَنْ خَوْلَةَ الأَنْصارِيَّةِ ﷺ، قالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: "**إِنَّ رِجالاً يَتَخَوَّضُونَ فِي مالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النّارُ يَوْمَ القِيامَةِ**"[3].

(يتخوضون): قال الراغب: الخوض هو الشروع في الماء، والمرور فيه، ويستعار في الأمور، وأكثر ما ورد فيما يذم الشروع فيه نحو قوله تعالىٰ: ﴿ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] وفى التفعل مبالغة، والمعنىٰ يشرعون ويدخلون ويتصرفون. (في مال الله): أي ما في بيت المال من الزكاة والخراج والجزية والغنيمة وغيرها[4].

مال الله: مظهر أقيم مقام المضمر إشعارًا بأنه لا ينبغي التخوض في مال الله ورسوله ﷺ والتصرف فيه بمجرد التشهي. وقوله ليس له يوم القيامة إلا النار: حكم مرتب على الوصف المناسب وهو الخوض في مال الله؛ ففيه إشعار بالغلبة[5].

(بغير حق): أي بغير إذن من الإمام، فيأخذون منه أكثر من أجرة عملهم وقدر ٱستحقاقهم (فلهم النار يوم القيامة): خبر (إنَّ)[6].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٩٧)، ومسلم (١٨٣٢) واللفظ له.
(٢) معالم السنن (٣/ ٨).
(٣) أخرجه البخاري (٣١١٨).
(٤) مرقاة المفاتيح (٦/ ٢٤٣٣).
(٥) فتح الباري (٦/ ٢١٩).
(٦) مرقاة المفاتيح (٦/ ٢٤٣٣).

٧- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﵂، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قالَ: "**إنَّما أَنا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَىٰ نَحْوِ ما أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْ، فَإِنَّما أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النّارِ**"[(١)].

لا يجوز للمقضي له بالشيء أخذه إذا علم: أنه لا يحل له فيما بينه وبين الله، ألا تراه يقول: فلا يأخذ منه شيئًا فإنما أقطع له قطعة من النار. وقد يدخل في هٰذا الأموال والدماء والفروج كان ذلك كله حق أخيه وقد حرم عليه أخذه[(٢)].

أقوال السلف حول أكل الحرام:

٢- قال ابن مهرانَ: لا يسْلَمُ للرجلِ الحلال حتىٰ يجعلَ بينه وبين الحرامِ حاجزًا من الحلالِ[(٣)].

٣- قال سهل التستري: "من أكل الحلال أطاع الله شاء أم أبىٰ، ومن أكل الحرام عصىٰ الله شاء أم أبىٰ"[(٤)].

٤- وقال سفيان الثوري ﵁: من أنفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب النجس بالبول، والثوب النجس لا يطهره إلا الماء والذنب لا يكفره إلا الحلال.

٥- قال ابن رجب: أكل الحرام وشربه ولبسه والتّغذّي به سبب موجب لعدم إجابة الدّعاء[(٥)].

٦- ومن غريب ما حكي عن الشيخ الصالح محمد بن منصور بن يحيى الشيخ أبي القاسم القباري الأسكندراني: أنه باع دابة له من رجل، فلما كان

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٨)، ومسلم (١٧١٣).

(٢) معالم السنن (٤/ ١٦٣).

(٣) حلية الأولياء (٤/ ٨٤).

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠١).

(٥) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠١).

بعد أيام جاء الرجل الذي ٱشتراها، فقال: يا سيدي! إن الدابة التي ٱشتريتها منك لا تأكل عندي شيئا!

فنظر إليه الشيخ فقال له: ماذا تعاني من الأسباب؟ فقال: رقاص عند الوالي!

فقال له: إن دابتنا لا تأكل الحرام، ودخل منزله فأعطاه دراهم، ومعها دراهم كثيرة قد ٱختلطت بها فلا تميز، فاشترى الناس من الرقاص كل درهم بثلاثة؛ لأجل البركة، وأخذ دابته. وَلَمّا تُوُفِّيَ ترك من الأساس ما يساوىٰ خمسين درهما فبيع بِمَبْلَغِ عِشْرِينَ أَلْفًا[1].

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٢٨٢).

٥- أكل مال اليتيم

معنى أكل مال اليتيم ولماذا عبر به هكذا؟

وأكل مال اليتيم يعني: التغذي به، وعبر بالأكل؛ لأنه أعم وجوه الأنتفاع.

فأكل مال اليتيم ليس لازمًا أن يأكله في بطنه، بل لو أخذه وانتفع به فبنىٰ به بيتًا أو ٱشترىٰ به أثاثًا أو ٱشترىٰ به أي حاجة ينتفع بها فهو في حكم الأكل، فإذا ٱنتفع به بأي وجه من وجوه الأنتفاع فهو آكل له شرعًا، وإنما عبر بالأكل لأن هٰذا هو الغالب الذي يقصد به في الغالب.

قال الذهبي: الكبيرة الثامنة: أكل مال اليتيم ظلمًا.

قالَ العلماء فكل ولي ليتيم إذا كانَ فَقِيرا فَأكل من ماله بِالمَعْرُوفِ بِقدر قِيامه عَلَيْهِ فِي مَصالِحه وتنمية ماله فَلا بَأْس عَلَيْهِ وَما زاد على المَعْرُوف فسحت حرام[١].

وَفِي الأكل بِالمَعْرُوفِ أَرْبَعَة أَقْوال:

أَحدها: أَنه الأَخْذ علىٰ وَجه القَرْض.

والثّانِي: الأكل بِقدر الحاجة من غير إسْراف.

الثّالِث: أَنه أَخذ بِقدر إذا عمل للْيَتِيم عملاً.

والرّابع: أَنه الأَخْذ عِنْد الضَّرُورَة فَإن أيسر قَضاهُ وَإن لم يوسر فَهُوَ فِي حل[٢]. وهٰذِه الأَقْوال ذكرها ابن الجَوْزِيّ فِي تَفْسِيره[٣].

---

(١) ، (٢) الكبائر الذهبي (١/ ١٥١).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٧٣).

تحريم أكل مال اليتيم في القرآن:

١- قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧﴾ [الفجر: ١٧].

(لا تُكْرِمُونَ اليَتِيمَ) فِيهِ قَولانِ: أَحدهما: هُوَ أكل مالهم أَي: اليَتامَىٰ. والقَوْل الثّانِي: أَنه ترك الإحْسان إِلَيْهِم[١].

وكذلك كانت عادة الجاهلية لا يورِّثون النساء ولا الصبيان[٢].

والمعنىٰ: بل إنما أهنت من أهَنت من أجل أنه لا يكرم اليتيم، فأخرج الكلام على الخطاب، فقال: بل لستم تكرمون اليتيم، فلذلك أهنتكم[٣].

٢- وقال تعالىٰ: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾ [النساء: ٢].

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: الحرام بالحلال.

الثاني: هو أن يجعل الزائف بدل الجيد، والمهزول بدل السمين ويقول درهم بدرهم، وشاة بشاة، الثالث: هو ٱستعجال أكل الحرام قبل إتيان الحلال.

الرابع: أن أهل الجاهلية كانواْ لا يورثون الصغار والنساء ويأخذه الرجل الأكبر، فكان يستبدل الخبيث بالطيب لأن نصيبه من الميراث طيب، وأخذه الكل خبيث.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ أي مع أموالكم، وهو أن يخلطوها بأموالهم لتصير في ذمتهم فيأكلوا ربحها .﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ والحُوب: الإثم[٤].

٣- وقال تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ [الماعون: ١- ٢]. والمعنىٰ أي ٱرقب فيه هٰذِه الخلال السيئة تجدها، ودع اليتيم: دفعه بعنف.

---

(١) تفسير السمعاني (٦/ ٢٢١).
(٢) زاد المسير (٤/ ٤٤٣).
(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٤١٤).
(٤) تفسير الماوردي (١/ ٤٤٧).

وذلك إما أن يكون المعنىٰ عن إطعامه والإحسان إليه.

وإما أن يكون عن حقه وماله، فهٰذا أشد(١).

٤- وقال تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧].

معناه: النهي عما كانت العرب تفعله من ضم اليتيمة الجميلة الغنية بدون ما تستحقه من المهر، ومن عضل الدميمة الفقيرة أبدا، والدميمة الغنية حتىٰ تموت فيرثها العاضل، ونحو هٰذا مما يقصد به الولي منفعة نفسه لا نفع اليتيمة، والذي كتب الله لهن هو توفية ما تستحقه من مهر، وإلحاقها بأقرانها، وذلك: أن العرب كانت لا تورث الصبية ولا الصبي الصغير، وكان الكبير ينفرد بالمال، وكانوا يقولون: إنما يرث المال من يحمي الحوزة، ويرد الغنيمة، ويقاتل عن الحريم، ففرض الله لكل أحد حقه.

والقسط العدل، وباقي الآية وعد علىٰ فعل الخير بالجزاء الجميل، بيّن(٢).

٥- وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: إلا علىٰ وجه التجارة لينمو مال اليتيم بالأرباح، أو ينمو علىٰ وجه المضاربة حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ يعني: حتىٰ يَبْلُغَ ويتم خلقه.

وقال القتبي: أشد الرجل، غير أشد اليتيم، وإن كان لفظهما واحدًا، لأن قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأحقاف: ٢٥] إنّما هو الاكتهال، وذلك

---

(١) تفسير ابن عطية (٥/ ٥٢٧).

(٢) تفسير ابن عطية (٢/ ١١٨).

ثلاثون سنة. وأشد الغلام أن يشتد خلقه، وذلك ثمان عشرة سنة[١].

٦- وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء: ١٠].

قال ابن زيد: نزلت في الكفار الذين كانوا لا يورثون النساء والصغار، ويأكلون أموالهم، وقال أكثر الناس: نزلت في الأوصياء الذين يأكلون ما لم يبح لهم من مال اليتيم، وهي تتناول كل آكل وإن لم يكن وصيا، وسمي آخذ المال علىٰ كل وجوهه آكلا لما كان المقصود هو الأكل وبه أكثر الإتلاف للأشياء، وفي نصه على البطون من الفصاحة تبيين نقصهم، والتشنيع عليهم بضد مكارم الأخلاق، من التهافت بسبب البطن، وهو أنقص الأسباب وألأمها حتىٰ يدخلوا تحت الوعيد بالنار، وظُلْمًا معناه: ما جاوز المعروف مع فقر الوصي، وقال بعض الناس: المعنىٰ: أنه لما يؤول أكلهم للأموال إلىٰ دخولهم النار قيل: يَأْكُلُونَ النار، وقالت طائفة: بل هي حقيقة أنهم يطعمون النار[٢].

أكل مال اليتيم في السنة:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: **"اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ، قالُوا: يا رَسُولَ اللهِ وَما هُنَّ؟ قالَ: الشِّرْكُ باللهِ، والسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ التِي حَرَّمَ اللهُ إلاّ بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبا، وَأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَناتِ المُؤْمِناتِ الغافِلاتِ"**[٣].

قوله: (وأكل مال اليتيم)، المقصود به: أن يأخذ الإنسان مال اليتيم سواء ٱشترىٰ به لباسًا أو سيارة أو أي شيء، فصاحبه مرتكب كبيرة، ولكنه عبر بالأكل أيضًا لأنه أعم وجوه الٱنتفاع، وأكثر وجوه الٱنتفاع، وإلا فالحكم

---

(١) تفسير السمرقندي (٢/ ٣١١). (٢) تفسير ابن عطية (٢/ ١٤).

(٣) البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

يعم جميع وجوه الأنتفاع[١].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: **"اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ، والمَرْأَةِ"**[٢].

قوله: (إني أحرج) بالحاء المهملة من التحريج أو الإحراج، أي: أضيق على الناس في تضييع حقهما وأشدد عليهم في ذلك والمقصود إشهاده تعالىٰ في تبليغ ذلك الحكم إليهم، وفي الزوائد: المعنىٰ أحرج عن هٰذا الإثم بمعنىٰ أن يضيع حقها وأحذر من ذلك تحذيرًا بليغًا وأزجر عنه زجرًا أكيدًا، قاله النووي[٣].

٣- عن عبد الله عمرو رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقالَ: إِنِّي فَقِيرٌ لَيْسَ لِي شَيْءٌ وَلِي يَتِيمٌ. قالَ: فَقالَ: **"كُلْ مِنْ مالِ يَتِيمِكَ غَيْرَ مُسْرِفٍ، وَلا مُبادِرٍ، وَلا مُتَأَثِّلٍ"**[٤]. قوله: غير متأثل أي غير متخذ منه أصل مال. واثلة الشيء أصله.

ووجه إباحته الأكل من مال اليتيم أن يكون ذلك علىٰ معنىٰ ما يستحقه من العمل فيه والاستصلاح له وأن يأخذ منه بالمعروف علىٰ قدر مثل عمله.

وقد أختلف الناس في الأكل من مال اليتيم فروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: يأكل منه الوصي إذا كان يقوم عليه، وإليه ذهب أحمد بن حنبل.

وقال الحسن والنخعي يأكل ولا يقضي، وقال عبيدة السلماني وسعيد بن جبير ومجاهد يأكل ويؤديه إليه إذا كبر وهو قول الأوزاعي[٥].

---

(١) شرح سنن أبي داود للعباد (١٥/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (٨/ ٢٥٤)، وابن ماجه (٣٦٧٨)، والحاكم (١/ ١٣١) وقال: علىٰ شرط مسلم. وصححه الألباني في الصحيحة (١٠١٥).

(٣) حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه (٢/ ٣٩٣).

(٤) أخرجه أبوداود (٢٨٧٤)، والنسائي (٣٦٦٨)، وابن ماجه (٢٧١٨)، وأحمد (٢/ ٢١٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٥) معالم السنن (٤/ ٨٦).

٤- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قالَ: "يا أبا ذَرٍّ، إنِّي أراكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ ما أُحِبُّ لِنَفسِي، لا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلا تَوَلَّيَنَّ مالَ يَتِيمٍ"(١).

٥- عن عروة بن الزّبير رضي الله عنهما، أَنَّهُ سَأَلَ عائِشَةَ رضي الله عنها، عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعالَىٰ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ [النساء: ٣] إِلَىٰ ﴿وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣]، فَقالَتْ: يا ابن أُخْتِي هِيَ اليَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجْرِ وَلِيِّها تُشارِكُهُ فِي مالِهِ، فَيُعْجِبُهُ مالُها وَجَمالُها، فَيُرِيدُ وَلِيُّها أَنْ يَتَزَوَّجَها، بِغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ فِي صَداقِها، فَيُعْطِيها مِثْلَ ما يُعْطِيها غَيْرُهُ، فَنُهُوا أَنْ يُنْكِحُوهُنَّ إِلّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ، وَيَبْلُغُوا بِهِنَّ أَعْلَىٰ سُنَّتِهِنَّ مِنَ الصَّداقِ، وَأُمِرُوا أَنْ يَنْكِحُوا ما طابَ لَهُمْ مِنَ النِّساءِ سِواهُنَّ قالَ عُرْوَةُ: قالَتْ عائِشَةُ: ثُمَّ إِنَّ النّاسَ اسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدَ هٰذِه الآيَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ١٢٧] إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧] والَّذِي ذَكَرَ اللهُ أَنَّهُ يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الكِتابِ الآيَةُ الأُولَى، التِي قالَ فِيها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]، قالَتْ عائِشَةُ: وَقَوْلُ اللهِ فِي الآيَةِ الأُخْرىٰ: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧] يَعْنِي هِيَ رَغْبَةُ أَحَدِكُمْ لِيَتِيمَتِهِ التِي تَكُونُ فِي حَجْرِهِ، حِينَ تَكُونُ قَلِيلَةَ المالِ والجَمالِ، فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوا ما رَغِبُوا فِي مالِها وَجَمالِها مِنْ يَتامَى النِّساءِ إِلّا بِالقِسْطِ، مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُنَّ(٢).

وتأويل الآية أن الله تعالىٰ خاطب أولياء اليتامىٰ فقال: وإن خفتم من أنفسكم المشاحة في صدقاتهن وأن لا تعدلوا فتبلغوا بهن صداق أمثالهن فلا تنكحوهن وأنكحوا غيرهن من الغرائب اللواتي أحل الله لكم خطبتهن

(١) صحيح مسلم (١٨٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٩٤)، ومسلم (٣٠١٨).

من واحدة إلىٰ أربع، وإن خفتم أن تجوروا إذا نكحتم من الغرائب أكثر من واحدة فانكحوا منهن واحدة أو ما ملكتم من الإماء[(١)].

فإذا كان عند الواحد منكم ٱمرأة هو وليها أو هو ابن عمها ولها مال وهي جميلة وأراد أن يتزوجها ولا يريد أن يتزوجها غيره فإنه إذا تزوجها وكان ذلك بموافقتها أن يعطيها المهر كاملاً ولا ينقصها، وكما أنها لو كانت غير ذات مال وغير ذات جمال يرغب عنها فكذلك إذا رغب فيها؛ عليه أن يعطيها ما تستحق، وإلا فاتركوهن وتزوجوا ما طاب لكم من النساء ٱثنتين، أو ثلاثًا، أو أربعًا[(٢)].

أقوال السلف حول أكل مال اليتيم:

١- عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: إنّي أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة وليّ اليتيم، إن ٱستغنيت ٱستعففت، وإن ٱحتجت أخذت منه بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت[(٣)].

٢-جاء رجل إلى ابن عبّاس فقال: إنّ في حجري أيتامًا، وإنّ لهم إبلاً فماذا يحلّ لىٰ من ألبانها؟

فقال: إن كنت تبغي ضالّتها، وتهنا جرباها، وتلوط حوضها، وتسعىٰ عليها فاشرب غير مضرّ بنسل ولا ناهك في الحلب[(٤)].

٣- عن ابن عبّاس في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الآية [النساء: ٦]. قال: وليّ اليتيم إن كان غنيًّا فليستعفف، وإن كان فقيرًا أخذ من فضل اللّبن وأخذ بالقوت لا يجاوزه، وما يستر

(١) معالم السنن (٣/ ١٩٠).

(٢) شرح سنن أبي داود للعباد (١٠/ ٤٧٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢ / ٣٢٤)، والطبري (٧ / ٥٨٢).

(٤) صحيح أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٥٢٣)، وعبدالرزاق في التفسير (١/ ٤٣٥).

عورته من الثّياب، فإن أيسر قضاه، وإن أعسر فهو في حلّ[١].

٤- وعن سعيد بن جبيرحول الآية السابقة قال: قرضا وإذا حضرته الوفاة ولم يجد ما يؤدي فليستحله من اليتيم، وإن كان صغيرًا فليستحله من وليه[٢]

٥- عن ابن عبّاس في قوله تعالىٰ: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ أي: يدفعه عن حقّه[٣].

(١) تفسير مجاهد (١/ ٢٦٧).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٠).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٦٨).

٦- الخيانة

الخيانة لغة:

مصدر قولهم: خان يخون، وهو مأخوذ من مادة (خ ون) التي تدلّ على التّنقّص، يقال: خانه يخونه خونا، وذلك نقصان الوفاء، وتخوّنني فلان أي تنقّصني، ونقيض الخيانة الأمانة، يقال خنت فلانًا، وخنت أمانة فلان[١].

الخيانة اصطلاحًا:

قال الجاحظ: الخيانة هي الاستبداد بما يؤتمن الإنسان عليه من الأموال والأعراض والحرم، وتملّك ما يستودع ومجاحدة مودعه، وفيها أيضا: طيّ الأخبار إذا ندب لتأديتها، وتحريف الرّسائل إذا تحمّلها فصرفها عن وجوهها[٢].

وقال المناويّ: الخيانة: هي التّفريط في الأمانة، وقيل: هي مخالفة الحقّ بنقض العهد في السّرّ[٣].

ذكر الخيانة في القرآن:

١- قال تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فإن قال لنا قائل: وما هٰذِه الخيانة التي كانَ القوم يختانونها أنفسهم، التي تابَ الله منها عليهم فعفا عنهم؟

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٢٣٠)، ولسان العرب (١٣/ ١٤٤)، والنهاية(٢/ ٨٩)، وجمهرة اللغة (٢/ ٢٤٤)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٥٨٢).

(٢) تهذيب الأخلاق (٣١).

(٣) التوقيف (١٦٢).

قيل: كانت خيانتُهم أنفسَهم التي ذكرها الله في شيئين، أحدهما: جماع النساء، والآخر: المطعم والمشربُ في الوقت الذي كانَ حرامًا ذلك عليهم(١).

٢- قال تَعالَىٰ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء: ١٠٨].

يَعْنِي جَلَّ ثَناؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١٠٨] يستخفي هؤلاء الذين يختانون أنفسهم ما أوتوا من الخيانة، وركبوا من العار والمعصية من الناس الذي لا يقدرون لهم علىٰ شيء إلا ذكرهم بقبيح ما أوتوا من فعلهم وشنيع ما ركبوا من جرمهم إذا أطلعوا عليه حياء منهم، وحذرا من قبيح الأحدوثة.

﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٨] الذي هو مطلع عليهم، لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالهم، وبيده العقاب والنكال وتعجيل العذاب، وهو أحق أن يستحيا منه من غيره، وأولىٰ أن يعظم بأن لا يراهم حيث يكرهون أن يراهم أحد من خلقه ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨] يعني: والله شاهدهم ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ [النساء: ١٠٨] يقول حين يسوون ليلا ما لا يرضىٰ من القول فيغيرونه عن وجهه، ويكذبون فيه(٢).

٣- قال تَعالَىٰ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال: ٥٨].

وإما تخافن يا محمد من عدو لك بينك وبينه عهد وعقد أن ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك، وذلك هو الخيانة والغدر. ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ﴾ [الأنفال: ٥٨] يقول: فناجزهم بالحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٣٣).
(٢) تفسير الطبري (٧/ ٤٧٢).

منهم، حتىٰ تصير أنت وهم علىٰ سواء في العلم بأنك لهم محارب، فيأخذوا للحرب آلتها، وتبرأ من الغدر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨] الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر، فيحاربه قبل إعلامه إياه أنه له حرب وأنه قد فاسخه العقد(١).

٤- قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١].

يقول تعالىٰ ذكره لنبيه: وإن يرد هٰؤلاء الأسارى الذين في أيديكم خيانتك: أي الغدر بك والمكر والخداع، بإظهارهم لك بالقول خلاف ما في نفوسهم ﴿فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ [الأنفال: ٧١] يقول: فقد خالفوا أمر الله ممن قبل وقعة بدر، وأمكن منهم ببدر المؤمنين. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٩٥] بما يقولون بألسنتهم ويضمرونه في نفوسهم، ﴿حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩] في تدبيرهم وتدبير أمور خلقه سواهم(٢).

٥- قال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ [الحج: ٣٨].

إنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوّانٍ للأمانة كَفُورٍ كفور لربه ولنعمه. وقال أهل اللغة: الخوان الفعال من الخيانة، وهو المبالغة في الخيانة، فمن ذكر ٱسمًا غير ٱسم الله تعالىٰ وتقرب إلى الأصنام بذبيحته، فهو خوان كفور(٣).

٦- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦﴾ [النساء: ١٠٥- ١٠٦].

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٢٣٨).

(٢) تفسير الطبري (١١/ ٢٨٧).

(٣) تفسير السمرقندي (٢/ ٤٦١).

﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥] يقول: ولا تكن لمن خان مسلما أو معاهدا في نفسه أو ماله، خصيما تخاصم عنه، وتدفع عنه من طالبه بحقه الذي خانه فيه[1].

ذم الخيانة في السنة:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: "**أَدِّ الأَمانَةَ إِلَىٰ مَنِ ٱئْتَمَنَكَ، وَلا تَخُنْ مَنْ خانَكَ**"[2].

قالَ القاضِي: أي: لا تعامل الخائن بمعاملته، ولا تقابل خيانته بالخيانة، فتكون مثله، ولا يدخل فيه أن يأخذ الرجل مثل حقه من مال الجاحد، فإنه ٱستيفاء وليس بعدوان والخيانة عدوان، قال الطيبي رحمه الله: الأولىٰ أن ينزل الحديث علىٰ معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤] يعني إذا خانك صاحبك فلا تقابله بجزاء خيانته، وإن كان ذاك حسنا، بل قابله بالأحسن الذي هو عدم المكافأة، والإحسان إليه أي: أحسن إلىٰ من أساء إليك[3].

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قالَ: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ وَمِنَ الخِيانَةِ فَإِنَّها بِئْسَتِ البِطانَةُ[4].

(ومن الخيانة) مخالفة الحق بنقض العهد في السر (فإنها بئست البطانة) بالكسر أي بئس الشيء الذي يستبطنه من أمره ويجعله بطانة. قال في المغرب: بطانة الرجل أهله وخاصته مستعار من بطانة الثوب. وقال الراغب: تستعار

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٤٥٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)، وقال: حديث حسن، وقال الألباني: صحيح لغيره. ٱنظر: الصحيحة (٤٢٣)

(٣) مرقاة المفاتيح (٥/ ١٩٦٧).

(٤) أخرجه النسائي (٥٤٦٩)، وأبو داود (١٥٤٧)، وابن ماجه (٣٣٥٤)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٨٣).

البطانة لمن تخصه بالاطلاع عليه باطن أمرك. وقال القاضي: البطانة أصلها في الثوب فاستعيرت لما يستبطن الرجل من أمره ويجعله بطانة حاله، والخيانة تكون في المال والنفس والعداد والكيل والوزن والزرع وغير ذلك(١).

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: "**آيَةُ المُنافِقِ ثَلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإذا اؤْتُمِنَ خانَ**"(٢).

٤- عَنْ عِياضِ بْنِ حِمارٍ المُجاشِعِيِّ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قالَ ذاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: "**أَلا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ ما جَهِلْتُمْ، مِمّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هٰذا..**".

قال: "**وَأَهْلُ النّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الذِي لا زَبْرَ لَهُ، الذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلا مالاً، والخائِنُ الذِي لا يَخْفَىٰ لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إلاّ خانَهُ، وَرَجُلٌ لا يُصْبِحُ وَلا يُمْسِي إلاّ وَهُوَ يُخادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمالِكَ**"(٣).

قال القاضي: أي: لا يخفىٰ عليه شيء مما يمكن أن يطمع فيه (وإن دق) بحيث لا يكاد أن يدرك (إلا خانه) أي: إلا وهو يسعىٰ في التفحص عنه، والتطلع عليه حتىٰ يجده فيخونه، وهٰذا هو الإغراق في الوصف بالخيانة. قلت: (النووي): بل هو إغراق في وصف الطمع، والخيانة تابعة له، والمعنىٰ أنه لا يتعدىٰ عن الطمع، ولو ٱحتاج إلى الخيانة، ولهٰذا قال الحسن البصري: الطمع فساد الدين والورع صلاحه(٤).

٥- عن عمران بن حصين ﵄ قال: قالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ - قالَ عِمْرانُ: لاَ أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً - قالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**"(٥).

(ويخونون ولا يتمنون) هكذا في أكثر النسخ يتمنون بتشديد النون وفي

---

(١) فيض القدير (٢/ ١٢٣).
(٢) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).
(٣) مسلم (٢٨٦٥).
(٤) مرقاة المفاتيح (٧/ ٣١٠٨).
(٥) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

بعضها يؤتمنون ومعناه يخونون خيانة ظاهرة بحيث لا يبقىٰ معها أمانة بخلاف من خان بحقير مرة واحدة فإنه يصدق عليه أنه خان ولا يخرج به عن الأمانة في بعض المواطن[١].

٦- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنّ النّبيّ ﷺ قال: **"لا تَجُوزُ شَهادَةُ خائِنٍ وَلا خائِنَةٍ"**[٢].

(شهادة خائن، ولا خائنة): أي: المشهور بالخيانة في أمانات الناس دون ما ٱئتمن الله عليه عباده من أحكام الدين، كذا قاله بعض علمائنا من الشراح. قال القاضي: ويحتمل أن يكون المراد به الأعم منه، وهو الذي يخون فيما ٱئتمن عليه سواء ما ٱئتمنه الله عليه من أحكام الدين، أو الناس من الأموال[٣].

٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قالَ: **"قالَ اللهُ: ثَلاثَةٌ أَنا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَىٰ بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ باعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ ٱسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فاسْتَوْفَىٰ مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ"**[٤].

(رجل أعطىٰ بي) أي أعطى الأمان باسمي أو بذكري أو بما شرعته من الدين كأن يقول: عليك عهد الله أو ذمته (ثم غدر) أي نقض العهد الذي عاهد عليه؛ لأنه جعل الله كفيلا له فيما لزمه من وفاء ما أعطىٰ، والكفيل خصم المكفول به للمكفول له[٥].

٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: **بَيْنَما النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جاءَهُ أَعْرابِيٌّ فَقالَ: مَتَى السّاعَةُ؟ فَمَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقالَ بَعْضُ**

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٨٨).
(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٠١)، وابن ماجه (٢٣٦٦)، وحسنه الألباني في الإرواء (٢٦٦٩).
(٣) مرقاة المفاتيح (٦/ ٢٤٥٠).
(٤) البخاري (٢٢٢٧).
(٥) فيض القدير (٣/ ٣١٥).

القَوْم: سَمِعَ ما قالَ فَكَرِهَ ما قالَ. وَقالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّىٰ إذا قَضَىٰ حَدِيثَهُ قالَ: "**أَيْنَ - أُراهُ - السّائِلُ عَنِ السّاعَةِ**"، قالَ: ها أَنا يا رَسُولَ اللهِ، قالَ: "**فَإِذا ضُيِّعَتِ الأَمانَةُ فانْتَظِرِ السّاعَةَ**"، قالَ: كَيْفَ إضاعَتُها؟ قالَ: "**إذا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ فانْتَظِرِ السّاعَةَ**"[1].

قال ابن بطال: معنىٰ أسند الأمر إلىٰ غير أهله أن الأئمة قد ٱئتمنهم الله علىٰ عباده وفرض عليهم النصيحة لهم فينبغي لهم تولية أهل الدين فإذا قلدوا غير أهل الدين فقد ضيعوا الأمانة التي قلدهم الله تعالىٰ إياها[2].

أقوال السلف حول الخيانة:

- عن عديّ بن حاتم قال: أتينا عمر في وفد، فجعل يدعو رجلاً رجلاً ويسمّيهم. فقلت: أما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال: بلىٰ، أسلمت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وعرفت إذ أنكروا. فقال عديّ رضي الله عنه: فلا أبالي إذًا)[3].

- عن نافع، قال: لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية، جمع ابن عمر حشمه وولده، فقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة .وإنا قد بايعنا هٰذا الرجل علىٰ بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدرا أعظم من أن يبايع رجل علىٰ بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحدًا منكم خلعه، ولا بايع في هٰذا الأمر، إلا كانت الفيصل بيني وبينه[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩).
(٢) فتح الباري (١١/ ٣٣٤).
(٣) أخرجه البخاري (٤٣٩٤) ومسلم (٢٥٢٣).
(٤) أخرجه البخاري (٧١١١).

٧- الخداع

الخداع لغة:

مصدر قولهم: خدع يخدع خدعًا وخداعًا، وهو مأخوذ من مادّة (خ د ع) التي تدلّ علىٰ إخفاء الشّيء، من ذلك: خدعت الرّجل: خذلته، والخدعة: الرّجل يخدع النّاس، وخدعة يخدعه النّاس، ودينار خادع أي ناقص الوزن وكأنّه أرى التّمام وأخفى النّقصان حتّىٰ أظهره الوزن(١).

الخداع اصطلاحًا:

قال الرّاغب: الخداع: إنزال الغير عمّا هو بصدده بأمر يبديه علىٰ خلاف ما يخفيه(٢).

وقال المناويّ: إظهار خير يتوسّل به إلىٰ إبطان شرّ يؤول إليه أمر ذلك الخير المظهر.

وقيل: هو إظهار ما يخالف الإضمار(٣).

والخداع ورد فى القرآن علىٰ **أربعة أوجه:**

الأوّل: خداع الكفار رسول الله ﷺ بأن يعقدوا معه عهدًا في الظّاهر وينقضوه في الباطن ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأنفال: ٦٢].

الثّاني: خداع اليهود مع أهل الإيمان يصالحونهم فى الظّاهر ويتهيّئون لحربهم فى الباطن ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ [البقرة: ٩].

الثالث: خداع المنافقين مع المؤمنين بإظهار الإيمان وإبطان الكفر ﴿إِنَّ

---

(١) المفردات (١٤٣). (٢) المصدر السابق (١٤٣).

(٣) انظر: التوقيف علىٰ مهمات التعاريف لابن المناوي (١٥٣).

﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

الرّابع: خداع الله الكفّار والمنافقينَ بإسبال النِّعمة عليهم فى الدّنيا. وادّخار أَنواع العقوبة لهم في العُقْبَىٰ ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ وقيل فىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أىٰ يخادعون رسول الله وأَولياءَه. ونُسب ذلك إلىٰ الله من حيث إنَّ معاملة الرّسول ﷺ كمعاملته، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] وجُعل ذلك خداعًا تفظيعًا لفعلهم، وتنبيهًا علىٰ عظم الرَّسول ﷺ وعظم أَوليائه(١).

ذم الخداع في القرآن:

١- قال تعالىٰ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [البقرة: ٩].

خداع المنافق ربه والمؤمنين إظهاره بلسانه من القول والتصديق خلاف الذي في قلبه من الشك والتكذيب ليدرأ عن نفسه بما أظهر بلسانه حكم الله ﷻ، اللازم من كان بمثل حاله من التكذيب لو لم يظهر بلسانه ما أظهر من التصديق والإقرار، من القتل والسباء، فذلك خداعه ربه وأهل الإيمان بالله(٢).

والمعنىٰ ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ يعني المنافقين يخادعون رسول الله ﷺ والمؤمنين، بأن يُظهروا من الإيمان خلاف ما يبطنون من الكفر؛ لأن أصل الخديعة الإخفاء، ومنه مخدع البيت، الذي يخفىٰ فيه، وجعل الله خداعهم لرسوله خداعًا له، لأنه دعاهم برسالته(٣).

٢- وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

---

(١) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٥٢٩).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٨٠).

(٣) تفسير الماوردي (١/ ٧٣).

وَهُوَ خادِعُهُمْ أي يجازيهم جزاء خداعهم، وذلك أنهم على الصراط يعطون نورًا كما يعطي المؤمنين، فإذا مضوا على الصراط يسلبهم ذلك النور ويبقى المؤمنون ينظرون بنورهم فينادون المؤمنين ٱنْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ، فيناديهم الملائكة على الصراط ٱرْجِعُوا وَراءَكُمْ فالتَمِسُوا نُورًا. وقد علموا: أنهم لا يستطيعون الرجوع فيشفق المؤمنون حينئذ من نورهم أن يطفئ فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ وَإِذا قامُوا يعني تهيّأوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالىٰ يعني متثاقلين، يعني لا يريدون بها وجه الله فإن رآهم أحد صلّوا وإلّا ٱنصرفوا ولم يصلّوا يُراؤُنَ النّاسَ يعني المؤمنين بالصلاة وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلّا قَلِيلاً[١].

ذم الخداع في السنة:

١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينارٍ، قالَ: سَمِعْتُ ابن عُمَرَ ﵄، قالَ: قالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي أُخْدَعُ فِي البُيُوعِ، فَقالَ: "**إذا بايَعْتَ فَقُلْ: لاَ خِلاَبَةَ**"[٢].

ومعنىٰ لا خلابة لا خديعة أي لا تحل لك خديعتي أو لا يلزمني خديعتك وهٰذا الرجل هو حبان بفتح الحاء وبالباء الموحدة بن منقد بن عمرو الأنصاري والد يحيىٰ وواسع بني حبان شهدا أحدا[٣].

٢- عن قيس بن سعد بن عبادة﵁ قال: لولا أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**المكر والخديعة في النّار**" لكنت من أمكر النّاس[٤].

قَوْله: الخديعة فِي النّار، أَي: صاحب الخديعة فِي النّار، وَيحْتَمل أَن

---

(١) تفسير الثعلبي (٣/ ٤٠٥).
(٢) أخرجه البخاري (٢١١٧). و مسلم (١٥٣٣).
(٣) شرح النووي (١٠/ ١٦٧)
(٤) ذكره البخاري معلقًا ووصله البيهقي في الشعب (٤/ ٣٢٤)، ٱنظر: الصحيحة (١٠٥٧).

يكون فعيلاً بِمَعْنى الفاعِل، والتّاء للّمُبالَغَة نَحْو: رجل عَلاّمَة[١].

٣- عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**المُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، والفاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ**"[٢].

معنىٰ هٰذا الكلام أن المؤمن المحمود هو من كان طبعه وشيمته الغرارة وقلة الفطنة للشر وترك البحث عنه، وإن ذلك ليس منه جهلاً لكنه كرم وحسن خلق، وإن الفاجر من كانت عادته الخب والدهاء والوغول في معرفة الشر وليس ذلك منه عقلاً لكنه خب ولؤم[٣].

٤- عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: "**نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الحَصاةِ، وَعَنْ بَيْعِ الغَرَرِ**"[٤].

وأما النهي عن بيع الغرر فهو أصل عظيم من أصول كتاب البيوع؛ ولهٰذا قدمه مسلم ويدخل فيه مسائل كثيرة غير منحصرة كبيع الآبق والمعدوم والمجهول وما لا يقدر علىٰ تسليمه وما لم يتم ملك البائع عليه وبيع السمك في الماء الكثير واللبن في الضرع وبيع الحمل في البطن وبيع بعض الصبرة مبهما وبيع ثوب من أثواب وشاة من شياه ونظائر ذلك وكل هٰذا بيعه باطل لأنه غرر من غير حاجة[٥].

أقوال السلف حول الخداع:

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج- وكان أبو بكر يأكل من خراجه- فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام:

---

(١) عمدة القاري (١١/ ٢٦٣).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤١٨)، وأبو داود (٤٧٩٠)، والترمذي (١٩٦٤)، ٱنظر: الصحيحة (٩٣٥).

(٣) معالم السنن (٤/ ١٠٨).

(٤) أخرجه مسلم (١٥١٣).

(٥) شرح النووي لصحيح مسلم (١٠/ ١٥٦).

آتدري ما هٰذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهّنت لإنسان في الجاهليّة وما أحسن الكهانة، إلّا أنّي خدعته فأعطاني بذلك، فهٰذا الذي أكلت منه. فأدخل أبو بكر يده فقاء كلّ شيء في بطنه[١].

- قال ابن أبي أوفى: النّاجش آكل ربا خائن[٢].

(١) أخرجه البخاري (٣٨٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٧٥).

٨- الرياء

الرياء لغة:

مصدر قولهم: راءاه يرائيه رياء ومراءاة، وهو مأخوذ من مادّة (رأىٰ) التي تدلّ- كما يقول ابن فارس- علىٰ نظر وإبصار بعين أو بصيرة، يقال من ذلك: راءىٰ فلان، وفعل ذلك رئاء النّاس (ورياء النّاس)، وهو أن يفعل شيئا ليراه النّاس[١].

الرياء اصطلاحًا:

قال الجرجانيّ: الرّياء: ترك الإخلاص في العمل بمراعاة غير الله فيه[٢].

وقال التّهانويّ: حدّ الرّياء: فعل الخير لإراءة الغير، وقيل: هو فعل لا تدخل فيه النّيّة الخالصة، ولا يحيط به الإخلاص[٣].

وقال الغزاليّ: أصل الرّياء: طلب المنزلة في قلوب النّاس بإيرائهم خصال الخير، واسم الرّياء مخصوص- بحكم العادة- بطلب المنزلة في القلوب بالعبادة وإظهارها، ومن ثمّ يكون الرّياء (المذموم شرعا) إرادة العباد بطاعة الله[٤].

وقال ابن حجر: الرّياء إظهار العبادة لقصد رؤية النّاس لها فيحمدوا صاحبها[٥].

---

(١) الصحاح (٦/ ٢٣٤٨- ٢٣٤٩)، ولسان العرب (١٤/ ٢٩٦)، والنهاية لابن الأثير(٣/ ١٧٨).

(٢) التعريفات (ص ١١٩).

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ٦٠٧- ٦٠٨).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٩٧).

(٥) فتح الباري ١١/ ٣٤٤)

أقسام الرياء:

ذكر الغزاليّ: أنّ الرّياء بحسب ما يراءي به خمسة أقسام:

الأوّل: الرّياء في الدّين بالبدن، وذلك بإظهار النّحول والصّفار ليوهم بذلك شدّة الٱجتهاد، وعظم الحزن علىٰ أمر الدّين وغلبة خوف الآخرة.

أمّا رياء أهل الدّنيا فيكون بإظهار السّمن وصفاء اللّون واعتدال القامة، وحسن الوجه ونظافة البدن وقوّة الأعضاء.

الثّاني: الرّياء بالهيئة والزّيّ، وذلك بتشعيث شعر الرّأس، وإبقاء أثر السّجود على الوجه، وغلظ الثّياب وتقصير الأكمام وترك تنظيف الثّوب وتركه مخرّقا، كلّ ذلك لإظهار أنّه متّبع للسّنّة.

أمّا مراءاة أهل الدّنيا فبالثّياب النّفيسة، والمراكب الرّفيعة وأنواع التّوسّع والتّجمّل في الملبس والمسكن.

الثّالث: الرّياء بالقول، ويكون من أهل الدّين بالوعظ والتّذكير والنّطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار لإظهار غزارة العلم، ومن ذلك تحريك الشّفتين بالذّكر في محضر النّاس، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر أمامهم.

وأمّا أهل الدّنيا فيكون رياؤهم بحفظ الأشعار والأمثال، والتّفاصح بالعبارات، وحفظ الغريب من النّحو واللّغة للإغراب علىٰ أهل الفضل.

الرّابع: الرّياء بالعمل، وذلك كمراءاة المصلّي بطول القيام والرّكوع والسّجود ونحو ذلك. أمّا أهل الدّنيا فمراءاتهم بالتّبختر والاختيال وغيرهما ممّا يدلّ على الجاه والحشمة.

الخامس: المراءاة بالأصحاب والزّائرين، كأن يطلب المرائي من عالم أن يزوره ليقال: إنّ فلانا قد زار فلانا، ومن ذلك كثرة ذكر الشّيوخ.قال الغزاليّ: فهٰذِه الخمسة هي مجامع ما يرائي[1].

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٣١٠- ٣١٤).

حكم الرياء:

ذكر الذّهبيّ الرّياء ضمن الكبائر، وذكر أدلّة ذلك من الكتاب والسّنّة وآثار السّلف الصّالح، وعدّه ابن حجر الكبيرة الثّانية بعد الشّرك بالله، وقال:

شهد بتحريمه الكتاب والسّنّة وانعقد عليه إجماع الأمّة، وبعد أن أشبع القول في ذكر أدلّة تحريمه قال: المعنىٰ في تحريمه وكونه كبيرة وشركًا مقتضيًا للّعن أنّ فيه ٱستهزاء بالحقّ تعالىٰ، ومن ثمّ كان الرّياء من كبائر الكبائر المهلكة، وفي الرّياء أيضا تلبيس على الخلق لإيهام المرائي لهم أنّه مخلص مطيع لله تعالىٰ وهو بخلاف ذلك(١).

الأدلة من القرآن على حرمة الرياء:

١- قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤].

المشرك إذا تصدق، فأبطل الشرك صدقته، كما أبطل المن والأذىٰ صدقة المؤمن، ثم ضرب لهما مثلاً جميعًا لصدقة المؤمن الذي يمن وبصدقة المشرك. فقال تعالىٰ: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ.قال القتبي: الصفوان الحجر الذي لا ينبت عليه شيء، يعني كمثل حجر صلب عليه تراب. فَأَصابَهُ وابِلٌ يعني المطر الشديد فَتَرَكَهُ صَلْدًا يعني المطر ترك الصفا نقيًا أجرد أملس ليس عليه شيء من تراب فكذلك نفقة صاحب الرياء، ونفقة المشرك لم يبق لهما ثواب(٢).

٢- وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا

---

(١) الزواجر(٢/ ٤٤).

(٢) تفسير السمرقندي (١/ ١٧٦).

بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾ [النساء: ٣٨- ٣٩].

﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ، كما تبطل صدقة من راءىٰ بها الناس، فأظهر لهم: أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة، ليشكر بين الناس، أو يقال: إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالىٰ وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه[(١)].

٣- وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧].

وهٰذا تقدُّمٌ من الله جل ثناؤه إلى المؤمنين به وبرسوله، أن لا يعملوا عملاً إلا لله خاصة، وطلب ما عنده، لا رئاء الناس، كما فعل القوم من المشركين في مسيرهم إلىٰ بدر طلبَ رئاء الناس. وذلك أنهم أخبروا بفَوْت العِير رسولَ الله ﷺ وأصحابه، وقيل لهم: "انصرفوا فقد سلمت العير التي جئتم لنصرتها! "، فأبوا وقالوا: "نأتي بدرًا فنشرب بها الخمر، وتعزف علينا القِيان، وتتحدث بنا العرب فيها"، فَسُقوا مكان الخمر كؤوس المنايا[(٢)].

٤- وقال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤- ٧].

الذين هم لا يخلصون لله عملا، ولا يطالبون أنفسهم بحقيقة الإخلاص، ولا يرد عليهم من ربهم وارد يشغلهم عن رؤية الخلق والتزين لهم، يعلمون أنهم في أعين الناس بمقدار ما وضع الله لهم في أعينهم من المقدار[(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٦٩٤).
(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٥٧٨).
(٣) تفسير السلمي (٢/ ٤٢١).

الأدلة من السنة على حرمة الرياء:

١- عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"منْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرائِي يُرائِي اللهُ بِهِ"**[(١)].

قال العلماء: معناه من رايا بعمله وسمَّعَهُ النّاس لِيُكْرِمُوهُ ويعظموه ويعتقدوا خيره سمَّعَ اللهُ به يوم القيامة الناس وفضحه وقيل معناه: من سَمَّعَ بعيوبه وأذاعها أظْهَر الله عيوبه وقيل: أسْمَعَهُ المكروه، وقيل: أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حَسْرة عليه وقيل: معناه من أراد بعمله النّاس أَسْمَعَهُ الله النّاس وكان ذلك حظَّهُ منه[(٢)].

قال الخطابي: معناه من عمل عملًا علىٰ غير إخلاص وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزي علىٰ ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه. وقيل من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه الله فإن الله يجعله حديثا عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم ولا ثواب له في الآخرة ومعنىٰ يرائي يطلعهم علىٰ أنه فعل ذلك لهم لا لوجهه[(٣)].

٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **"يَكْشِفُ رَبُّنا عَنْ ساقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَىٰ كُلُّ مَنْ كانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيا رِياءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا واحِدًا"**[(٤)].

أي يستوي فقار ظهره فلا ينثني للسجود وفي لفظ لمسلم فلا يبقىٰ من كان يسجد من تلقاء نفسه إلا أذن له في السجود أي سهل له وهون عليه ولا يبقىٰ من كان يسجد ٱتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقًا واحدًا كلما أراد أن يسجد خر لقفاه[(٥)].

---

(١) البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧).

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (١٨/ ١١٦).

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٣٦)

(٤) أخرجه البخاري (٤٩١٩).

(٥) فتح الباري (١١/ ٤٥١)

٣- عَنْ أَبِي مُوسَىٰ ﷺ، قالَ: جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقالَ: **"الرَّجُلُ يُقاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، والرَّجُلُ يُقاتِلُ لِلذِّكْرِ، والرَّجُلُ يُقاتِلُ لِيُرىٰ مَكانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قالَ: مَنْ قاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ"**[(١)].

قال المهلب: من قاتل فىٰ سبيل الله ونوىٰ بعد إعلاء كلمة الله ما شاء فهو فىٰ سبيل الله، والله أعلم بمواقع أجورهم، ولا يصلح لمسلم أن يقاتل إلا ونيته مبنية على الغضب لله، والرغبة فىٰ إعلاء كلمته، ويدل علىٰ ذلك: أنه قد يقاتل من لا يرجو أن يسلبه من عريان، ولا شيء معه، فيغرر مهجته مستلذًا لذلك، ولو أعطىٰ ملء الأرض علىٰ أن يغرر مهجته فىٰ غير سبيل الله ما غرر، ولكن سهل عليه ركوب ذلك ٱستلذاذا بإعلاء كلمة الله، ونكاية عدوه والغضب لدينه[(٢)].

٤- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قالَ: أُمِرْنا بِالصَّدَقَةِ، قالَ: كُنّا نُحامِلُ، قالَ فَتَصَدَّقَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِصْفِ صاعٍ، قالَ: وَجاءَ إِنْسانٌ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْهُ، فَقالَ المُنافِقُونَ: إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هٰذا، وَما فَعَلَ هٰذا الآخَرُ إِلّا رِياءً، فَنَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩][(٣)].

وهٰذِه أيضا من صفات المنافقين: لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال، حتىٰ ولا المتصدقون يسلمون منهم، إن جاء أحد منهم بمال جزيل قالوا: هٰذا مراء، وإن جاء بشيء يسير قالوا: إن الله لغني عن صدقة هٰذا[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤).

(٢) شرح البخاري لابن بطال (٥/ ٢٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٦٨)، ومسلم (١٠١٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ١٨٤).

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**قالَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ: أَنا أَغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**"[1].

لابد من هذين الشرطين، وهما مقتضىٰ شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله، فإن الإخلاص لله هو مقتضىٰ شهادة أن لا إلٰه إلا الله؛ لأن معنىٰ لا إلٰه إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، فالعبادة يجب أن تكون خالصة لله، وإذا أشرك مع الله غيره فيها فإنه لا عبرة بها، ولا قيمة لها، وترد علىٰ صاحبها، فلا بد أن يكون العمل خالصًا لله حتىٰ يكون معتبرًا، ومقتضىٰ شهادة أن محمدًا رسول الله عليه الصلاة والسلام: ألا يعبد الله إلا طبقًا لما جاء به عليه الصلاة والسلام، فلا يعبد بالبدع والمحدثات والمنكرات التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي هي مخالفة لما كان عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام[2].

٦- عن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إِنَّ أَوَّلَ النّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ القِيامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ ٱسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فِيها؟ قالَ: قاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى ٱسْتُشْهِدْتُ، قالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قاتَلْتَ لِأَنْ يُقالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فِيها؟ قالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقالَ: عالِمٌ، وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقالَ: هُوَ قارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطاهُ مِنْ أَصْنافِ المالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فِيها؟ قالَ: ما تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيها إِلاّ أَنْفَقْتُ فِيها لَكَ،**

---

(١) صحيح مسلم (٢٩٨٥). (٢) شرح الأربعين النووية للعباد (١٢/ ٣).

قالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقالَ: هُوَ جَوادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النّارِ"[1].

أقوال السلف حول الرياء:

١- ضرب عمر رضي الله عنه رجلا بالدّرّة، ثمّ قال له: ٱقتصّ منّي. فقال: لا، بل أدعها لله ولك. فقال له عمر: ما صنعت شيئًا، إمّا أن تدعها لي فأعرف ذلك، أو تدعها لله وحده. فقال: ودعتها لله وحده. فقال: فنعم إذا[2].

٢- أتىٰ أبو أمامة الباهليّ رضي الله عنه علىٰ رجل في المسجد وهو ساجد يبكي ويدعو، فقال: أنت أنت! لو كان هٰذا في بيتك[3].

٣- عن العرباض بن سارية السّلميّ رضي الله عنه، أنّه قال: لولا أن يقال: فعل أبو نجيح، لألحقت مالي سبلة، ثمّ لحقت واديًا من أودية لبنان عبدت الله حتّىٰ أموت[4].

٤- عن عبدة بن أبي لبابة قال: لوددت أنّ حظّي من أهل الزّمان أنّهم لا يسألوني عن شيء، ولا أسألهم، إنّهم يتكاثرون بالمسائل كما يتكاثر أهل الدّراهم بالدّراهم[5].

٥- قال الفضيل بن عياض: كانوا يراءون بما يعملون، وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون[6].

٦- قال أبو سليمان الدّرانيّ رضي الله عنه: إذا أخلص العبد ٱنقطعت عنه كثرة الوساوس والرّياء[7].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥).
(٢) الإحياء (٣/ ١٩٦).
(٣) نزهة الفضلاء (١/ ٢٨١)، وإحياء علوم الدين(٣/ ٢٩٦).
(٤) نزهة الفضلاء (١/ ٢٩٣).
(٥) نزهة الفضلاء (١/ ٤٨٥).
(٦) الإحياء (٣/ ٢٩٦، ٢٩٧).
(٧) مدارج السالكين (٢/ ٩٦).

٩- السرقة

السرقة لغة:

مصدر قولهم: سرق الشّيء يسرقه سرقة أي أخذه خفية.

السّرقة: وهو مأخوذ من مادّة (س ر ق) التي تدلّ علىٰ ذات المعنىٰ، يقول ابن فارس: السّين والرّاء والقاف أصل يدلّ علىٰ أخذ شيء في خفاء وستر[١].

السرقة اصطلاحًا:

قال الرّاغب: السّرقة في الشّرع: تناول المرء الشّيء (الّذي ليس له خفية) من موضع مخصوص وقدر مخصوص[٢].

وقال الكفويّ: السّرقة: أخذ مال معتبر من حرز أجنبيّ لا شبهة فيه خفية وهو قاصد للحفظ، في نومه أو غفلته[٣].

ذم السرقة في نصوص القرآن:

١- قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

كان ابن مسعود يقرؤها: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما). وهٰذه قراءة شاذة، وإن كان الحكم عند جميع العلماء موافقا لها، لا بها، بل هو مستفاد من دليل آخر. وقد كان القطع معمولا به في الجاهلية، فقرر في

(١) المقاييس (٣/ ١٥٤)، والصحاح (٤/ ١٤٩٦)، واللسان (٣/ ١٩٩٨)، والتاج (١٣/ ٢١٥)، والمفردات (٢٣١).

(٢) المفردات (٢٣١) بتصرف يسير، وعنه أخذ المناوي، انظر: التوقيف (١٩٣).

(٣) الكليات (٥١٤).

الإسلام وزيدت شروط أخر[1].

فالسنة قيدت عموم هذه الآية من عدة أوجه:

منها: الحرز، فإنه لا بد أن تكون السرقة من حرز، وحرز كل مال: ما يحفظ به عادة. فلو سرق من غير حرز فلا قطع عليه.

ومنها: أنه لا بد أن يكون المسروق نصابا، وهو ربع دينار، أو ثلاثة دراهم، أو ما يساوي أحدهما، فلو سرق دون ذلك فلا قطع عليه[2].

٢- وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾ [يوسف: ٧٠- ٧٢].

هٰذا من الكيد الذي يسره الله ليوسف عليه السلام، وذلك أنه كان في دين يعقوب أن يستبعد السارق، وكان في دين مصر أن يضرب، ويضعف عليه الغرم، فعلم يوسف أن إخوته لثقتهم ببراءة ساحتهم سيدعون في السرقة إلىٰ حكمهم، فتحيل لذلك، واستسهل الأمر علىٰ ما فيه من رمي أبرياء وإدخال الهم علىٰ يعقوب وعليهم لما علم في ذلك من الصلاح في الآجل، وبوحي لا محالة، وإرادة من الله محنتهم بذلك[3].

٣- وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: ١٢].

﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ أي: أموال الناس الأجانب، فأما إذا كان الزوج مقصرًا في نفقتها، فلها أن تأكل من ماله بالمعروف، ما جرت به عادة أمثالها، وإن كان بغير علمه، عملاً بحديث هند بنت عتبة أنها قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٧).
(٢) تفسير السعدي (١/ ٢٣٠). (٣) تفسير الثعالبي (٣/ ٣٣٩).

رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني، فهل علي جناح إن أخذت من ماله بغير علمه؟ فقال رسول الله ﷺ: "خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك"[١].

ذم السرقة في السنة:

١- عن عبادة بن الصامت، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس، فقال: "**تُبايِعُوني عَلَىٰ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا باللهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَىٰ مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنْ أَصابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيا فَهُوَ كَفّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُ فَأَمْرُهُ إِلَىٰ اللهِ، إِنْ شاءَ عاقَبَهُ، وَإِنْ شاءَ عَفا عَنْهُ، فَبايَعْناهُ عَلَىٰ ذَلِكَ**"[٢]. قال القاضي عياض: قال أكثر العلماء: الحدود كفارة ٱستدلالاً بهٰذا الحديث[٣].

٢- عَنْ صَفْوانَ بْنِ أُمَيَّةَ، أَنَّ رَجُلًا سَرَقَ بُرْدَةً لَهُ، فَرَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَرَ بِقَطْعِهِ فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، قَدْ تَجاوَزْتُ عَنْهُ، فَقالَ: "**أَبا وَهْبٍ أَفَلا كانَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنا بِهِ، فَقَطَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ**"[٤].

(قبل أن تأتيني به) أي لم لا تركت حقك عليه وعفوت عنه قبل إتيانك به إلي، وأما الآن فقطعه واجب ولا حق لك فيه، بل هو من الحقوق الخالصة للشرع ولا سبيل فيها إلى الترك، وفيه أن العفو جائز قبل أن يرفع إلى

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٩٩)، والحديث أخرجه البخاري (٧١٨٠)، ومسلم (١٧١٤).

(٢) صحيح البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (١١/ ٢٢٤).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٣٩٦)، والنسائي (٤٨٧٩)، وابن ماجه (٢٥٩٥)، وأحمد (٣/ ٤٠١) وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الدارقطني (٣/ ٢٠٤)، والحاكم (٤/ ٤٢٢)، وقال: صحيح الإسناد. قال الألباني في الإرواء (٢٣١٧): رجاله كلهم ثقات من رجال الشيخين.

الحاكم[١].

٣- عَنْ عائِشَةَ ﵂، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ التِي سَرَقَتْ، فَقالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيها رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلّا أُسامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسامَةُ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ، ثُمَّ قامَ فاخْتَطَبَ، ثُمَّ قالَ: إِنَّما أَهْلَكَ الذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كانُوا إِذا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَها"**[٢].

وإنما خص ﷺ فاطمة ابنته بالذكر؛ لأنها أعز أهله عنده ولأنه لم يبق من بناته حينئذ غيرها فأراد المبالغة في إثبات إقامة الحد علىٰ كل مكلف وترك المحاباة في ذلك ولأن ٱسم السارقة وافق ٱسمها عليها السلام فناسب أن يضرب المثل بها[٣].

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قالَ: جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقالَ: إِنَّ فُلانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ، فَإِذا أَصْبَحَ سَرَقَ قالَ: **"إِنَّهُ سَيَنْهاهُ ما تَقُولُ"**[٤].

قال ابن حجر: فمثل هٰذِه الصلاة لا محالة تنهاه فيتوب عن السرقة قريبًا، فالسين علىٰ أصلها من التنفيس؛ إذ لا بد من مزاولة الصلاة زمنًا حتىٰ يجد منها حالة في قلبه تمنعه من الإثم[٥].

٥- عن أبي هريرة﵁ أنّ رسول الله ﷺ قال: **"لاَ يَزْنِي الزّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النّاسُ إِلَيْهِ فِيها أَبْصارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُها وَهُوَ**

---

(١) مرقاة المفاتيح (٦/ ٢٣٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

(٣) فتح الباري (١٢/ ٩٥).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٧)، والبزار (١٦/ ١٣٠) ٱنظر: الصحيحة (٣٤٨٢).

(٥) مرقاة المفاتيح (٣/ ٩٣١).

مُؤْمِنٌ "[١].

٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: **"لَعَنَ اللهُ السّارِقَ، يَسْرِقُ البَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ"**.

قالَ الأَعْمَشُ: كانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ بَيْضُ الحَدِيدِ، والحَبْلُ كانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْها ما يَسْوىٰ دَراهِمَ"[٢].

قال ابن الأنباري: مراد الحديث أن السارق يعرض قطع يده بما لا غنىٰ له به لأن البيضة من السلاح لا يستغني بها أحد وحاصله: أن المراد بالخبر: أن السارق يسرق الجليل فتقطع يده ويسرق الحقير فتقطع يده فكأنه تعجيز له وتضعيف لاختياره لكونه باع يده بقليل الثمن وكثيره[٣].

أقوال السلف في ذم السرقة:

١- أن عبد الله بن عمرو بن الحضرمي، جاء بغلام له إلىٰ عمر بن الخطاب، فقال له: اُقطع يد غلامي هٰذا، فإنه سرق، فقال له عمر: ماذا سرق؟ فقال: سرق مرآة لامرأتي ثمنها ستون درهمًا، فقال عمر: أرسله، فليس عليه قطع، خادمكم سرق متاعكم[٤]

٢- عن عكرمة بن خالد، قال: كان علي لا يقطع سارقًا حتىٰ يأتي بالشهداء، فيوقفهم عليه، ويسجنه، فإن شهدوا عليه، قطعه، وإن نكلوا تركه، قال: فأتي مرة بسارق، فسجنه، حتىٰ إذا كان الغد، دعا به، وبالشاهدين، فقيل: تغيب الشهيدان فخلىٰ سبيل السارق، ولم يقطعه[٥].

---

(١) صحيح البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧).

(٢) هٰذِه الزيادة تفرد بها البخاري في حديثه دون مسلم.

(٣) فتح الباري (١٢/ ٨٣).

(٤) أخرجه مالك (٢٤٣٣) وعنه الشافعي في المسند (٢٦٨).

(٥) أخرجه عبد الرزاق (١٠/ ١٩٠).

٣- عن أبي الهياج قال: رأيت شيخًا يطوف بالبيت وهو يقول: "رب قني شح نفسي، رب قني شح نفسي"، لا يزيد عليه، فسألت عنه، فقيل: عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فأتيته فذكرت ذلك له، فقال: "إني إذا وقيت شح نفسي وقيت السرقة والخيانة، وغير ذلك"[١].

٤- عن أبي مسلم الخولاني، قال: "أربع لا يقبلن في أربع: مال اليتيم، والغلول، والخيانة، والسرقة، لا يقبلن في حج، ولا عمرة ولا جهاد، وذكر حرفا آخر"[٢].

٥- عن الحسن قال: إذا دخلت سوق المدينة فاشتر ما وجدت، ما لم تعلم أنه خيانة أو سرقة[٣].

٦- قال أحمد: إذا اشترى الرّجل من رجل شيئًا وهو يعلم: أنّه سرقه فقد شاركه[٤].

٧- قال ابن كثير: كان قطع يد السّارق معمولا به في الجاهليّة، فقرّر في الإسلام وزيدت شروط أخر. وقيل: إنّ أوّل من قطع الأيدي في الجاهليّة قريش، فقطعوا رجلاً كان سرق كنز الكعبة[٥].

(١) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (١/ ٢٢٨).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٠٦).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٤٥٣).
(٤) مسائل الإمام أحمد، رواية البغوي (٦٨١).
(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٥).

١٠- سوء الظن

سوء الظن لغة:

الظّنّ لغة: مصدر قولهم ظنّ يظنّ ظنّا وهو مأخوذ من مادّة (ظ ن ن) التي تدلّ علىٰ معنيين: أحدهما: اليقين والآخر الشّكّ.

فأمّا اليقين فقول القائل: ظننت ظنّا أي أيقنت قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾.

أراد -والله أعلم-: يوقنون.

والأصل الآخر: الشّكّ: يقال: ظننت الشّيء، إذا لم تتيقّنه، وقال الرّاغب: الظّنّ: ٱسم لما يحصل عن أمارة ومتىٰ قويت أدّت إلى العلم ومتىٰ ضعفت جدّا لم تتجاوز حدّ التّوهّم[1].

سوء الظّنّ ٱصطلاحًا:

قال الكفويّ: الظّنّ: أخذ طرفي الشّكّ بصفة الرّجحان وقال أيضا: والرّاجح إن قاربه إمكان المرجوح يسمّىٰ ظنّا، أو هو التّردّد الرّاجح بين طرفى الٱعتقاد غير الجازم[2].

وقال ابن العربيّ: الظّنّ تجويز أمرين في النّفس لأحدهما ترجيح على الآخر[3].

وعلىٰ هٰذا فسوء الظّنّ هو: ٱعتقاد جانب الشّرّ وترجيحه علىٰ جانب

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٤٦١)، ٱنظر: الصحاح للجوهري (٦/ ٢٢٦٠)، والتعريفات للجرجاني (١٤٤)، لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٢٧٢)

(٢) كليات أبي البقاء الكفوي (١/ ٨٩، ٩٠، ٣/ ٦٢، ١٧٤).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٧١٢).

الخير فيما يحتمل الأمرين معا[١].

أقسام سوء الظن:

وقد قسّم سوء الظّنّ إلىٰ قسمين كلاهما من الكبائر وهما:

١- سوء الظّنّ بالله، قال: وهو أبلغ في الذّنب من اليأس والقنوط (وكلاهما كبيرة) وذلك لأنّه يأس وقنوط وزيادة، لتجويزه علىٰ الله - تعالىٰ - أشياء لا تليق بكرمه وجوده[٢].

٢- سوء الظّنّ بالمسلمين: هو أيضا من الكبائر وذلك أنّ من حكم بشرّ علىٰ غيره بمجرّد الظّنّ حمله الشّيطان على ٱحتقاره وعدم القيام بحقوقه والتّواني في إكرامه وإطالة اللّسان في عرضه، وكلّ هٰذِه مهلكات، وكلّ من رأيته سيّىء الظّنّ بالنّاس طالبًا لإظهار معايبهم فاعلم أنّ ذلك لخبث باطنه وسوء طويّته؛ فإنّ المؤمن يطلب المعاذير لسلامة باطنه، والمنافق يطلب العيوب لخبث باطنه[٣].

قال ابن قدامة المقدسيّ رحمه الله: فليس لك أن تظنّ بالمسلم شرّا، إلّا إذا ٱنكشف أمر لا يحتمل التّأويل، فإن أخبرك بذلك عدل. فمال قلبك إلىٰ تصديقه، كنت معذورًا، لأنّك لو كذّبته كنت قد أسأت الظّنّ بالمخبر، فلا ينبغي أن تحسن الظّنّ بواحد وتسيئه بآخر، بل ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة وحسد؟ فتتطرّق التّهمة حينئذ بسبب ذلك. ومتىٰ خطر لك خاطر سوء علىٰ مسلم، فينبغي: أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير، فإنّ ذلك يغيظ الشّيطان ويدفعه عنك، فلا يلقي إليك خاطر السّوء خيفة من ٱشتغالك بالدّعاء والمراعاة، وإذا تحقّقت هفوة مسلم، فانصحه في السّرّ. واعلم: أنّ من ثمرات سوء الظّنّ التّجسّس، فإنّ القلب لا يقنع بالظّنّ، بل يطلب

---

(١) نضرة النعيم (١٠/ ٤٦٥٢)

(٢) الزواجر (١١٤). (٣) الزواجر (١٠٩).

التّحقيق فيشتغل بالتّجسّس، وذلك منهيّ عنه؛ لأنّه يوصل إلىٰ هتك ستر المسلم، ولو لم ينكشف لك، كان قلبك أسلم للمسلم[(١)].

الأدلة من القرآن على سوء الظن:

١- قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

يعني: لا تحققوا الظن إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ يعني: معصية أي: إنَّ ظن السوء بالمسلم معصية.

وقال سفيان الثوري: الظن ظنان. ظن فيه إثم، وظن لا إثم فيه.

فالظن الذي فيه إثم، أن يظن ويتكلم به، وأما الظن الذي لا إثم فيه، فهو أن يظن، ولا يتكلم به؛ لأنه قال: إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ولم يقل: جميع الظن إثم[(٢)].

٢- وقال تعالىٰ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء: ١٥٧].

قال القاضي رحمه الله: الذي صح فيه نقل الكافة عن حواسها هو أن شخصا صلب، وأما هل هو عيسىٰ أم لا؟

فليس من علم الحواس، فلذلك لم ينفع في ذلك نقل كافة اليهود والنصارىٰ، ونفىٰ الله عنهم أن يكون لهم في أمره علم علىٰ ما هو به، ثم ٱستثنى ٱتباع الظن وهو ٱستثناء متصل، إذ الظن والعلم يضمهما جنس واحد أنهما من معتقدات النفس، وقد يقول الظان علىٰ طريق التجوز:

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (١٧٢).

(٢) تفسير السمرقندي (٣/ ٣٢٨).

علمي في هٰذا الأمر أنه كذا، وهو يعني ظنه[١].

٣- وقال تعالىٰ: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧].

قوله تعالىٰ: وما نرىٰ لكم علينا من فضل والمعنىٰ: لا نرىٰ لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في رعاية المصالح العاجلة ولا في قوة الجدل فإذا لم نشاهد فضلك علينا في شيء من هٰذِه الأحوال الظاهرة فكيف نعترف بفضلك علينا في أشرف الدرجات وأعلى المقامات بل نظنكم كاذبين، فيه وجهان:

الأول: أن يكون هٰذا خطابا مع نوح ومع قومه، والمراد منه تكذيب نوح في دعوى الرسالة.

والثاني: أن يكون هٰذا خطابا مع الأراذل فنسبوهم إلىٰ أنهم كذبوا في أن آمنوا به واتبعوه[٢].

٤- وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ إِذْ جاءَهُمْ فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا مُوسى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١].

قوله: إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا مُوسَىٰ مَسْحُورًا؛ يقول: فقال لموسىٰ فرعون: إني لأظنك يا موسىٰ تتعاطىٰ علم السحر، فهٰذِه العجائب التي تفعلها من سحرك، وقد يجوز أن يكون مرادا به إني لأظنك يا موسىٰ ساحرا، فوضع مفعول موضع فاعل، كما قيل: إنك مشئوم علينا وميمون، وإنما هو شائم ويامن[٣].

٥- وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وأيُّ شيء يتبع من يدعو من دون الله يعني: غير الله وسواه شركاء.

---

(١) تفسير ابن عطية (٢/ ١٣٤).

(٢) تفسير الرازي (١٧/ ٣٣٧). (٣) تفسير الطبري (١٧/ ٥٦٨).

ومعنى الكلام: أيُّ شيءٍ يتبع من يقول لله شركاء في سلطانه وملكه كاذبًا، والله المنفرد بملك كل شيء في سماء كان أو أرض؟ (إن يتبعون إلا الظن)، يقول: ما يتبعون في قيلهم ذلك ودعواهم إلا الظن، يقول: إلا الشك لا اليقين (وإن هم إلا يخرصون)، يقول: وإن هم إلا يتقوّلون الباطل تظنّيًا وتَخَرُّصا للإفك، عن غير علمٍ منهم بما يقولون(١).

الأدلة من السنة على ذمّ سوء الظن:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: "**إيّاكُمْ والظَّنَّ، فَإنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَباغَضُوا، وَكُونُوا إخْوانًا**"(٢).

قال الخطابي: هو تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهجس في النفس فإن ذلك لا يملك. ومراد الخطابي: أن المحرم من الظن ما يستمر صاحبه عليه ويستقر في قلبه دون ما يعرض في القلب ولا يستقر فإن هٰذا لا يكلف به كما سبق في حديث تجاوز الله - تعالىٰ - عما تحدثت به الأمة مالم تتكلم أو تعمد وسبق تأويله على الخواطر التي لا تستقر ونقل القاضي عن سفيان أنه قال: الظن الذي يأثم به هو ما ظنه وتكلم به فإن لم يتكلم لم يأثم(٣).

٢- عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: "**إنَّ الأَمِيرَ إذا ٱبْتَغَى الرِّيبَةَ فِي النّاسِ أَفْسَدَهُمْ**"(٤).

(إذا ٱبتغى الريبة) بكسر أوله، أي التهمة (في الناس)، بأن طلب عيوبهم

(١) تفسير الطبري (١٥/ ١٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣) واللفظ له.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ١١٩).

(٤) أخرجه أبوداود (٢٤٨)، وأحمد (٦/ ٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٨٥).

وتجسس ذنوبهم واتهمهم في تفحص أحوالهم، (أفسدهم): أي أفسد عليهم أمور معاشهم، ونظام معادهم، لأن الإنسان قلما يخلو عن ذم، فلو أدبهم لكل قول وفعل بهم لشق الحال عليهم، بل ينبغي له ما أمكنه أن يستر عليهم، ألا ترىٰ ما تقدم في الحدود من تلقين المعترف بالذنب دفعا لدرء الحد عنه[١].

٣- عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، أَنَّ صَفِيَّةَ - زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ - أَخْبَرَتْهُ: أَنَّها جاءَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَزُورُهُ، وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي المَسْجِدِ، فِي العَشْرِ الأَواخِرِ مِنْ رَمَضانَ، ثُمَّ قامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقامَ مَعَها رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ إذا بَلَغَ قَرِيبًا مِنْ بابِ المَسْجِدِ، عِنْدَ بابِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، مَرَّ بِهِما رَجُلانِ مِنَ الأَنْصارِ، فَسَلَّما عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ نَفَذا، فَقالَ لَهُما رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**عَلَىٰ رِسْلِكُما إنما هي صفية بنت حيي**"، قالاَ: سُبْحانَ اللهِ يا رَسُولَ، اللهِ وَكَبُرَ عَلَيْهِما ذَلِكَ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِنَّ الشَّيْطانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُما شَيْئًا**"[٢].

إن النبي ﷺ لم ينسبهما إلىٰ أنهما يظنان به سوءًا لما تقرر عنده من صدق إيمانهما ولكن خشي عليهما أن يوسوس لهما الشيطان ذلك لأنهما غير معصومين فقد يفضي بهما ذلك إلى الهلاك فبادر إلىٰ إعلامهما حسمًا للمادة وتعليمًا لمن بعدهما إذا وقع له مثل ذلك كما قاله الشافعي رحمه الله تعالىٰ، فقد روى الحاكم أن الشافعي كان في مجلس ابن عيينة فسأله عن هٰذا الحديث فقال الشافعي: إنما قال لهما ذلك لأنه خاف عليهما الكفر إن ظنا به التهمة فبادر إلىٰ إعلامهما نصيحة لهما قبل أن يقذف الشيطان في نفوسهما شيئًا يهلكان به[٣].

---

(١) مرقاة المفاتيح (٦/ ٣٤١٣).

(٢) صحيح البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥).

(٣) فتح الباري (٤/ ٢٨٠).

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُمَرَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَقِيلَ: مَنَعَ ابن جَمِيلٍ، وَخالِدُ بْنُ الوَلِيدِ، والعَبّاسُ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"ما يَنْقِمُ ابن جَمِيلٍ إلاّ أَنَّهُ كانَ فَقِيرًا فَأَغْناهُ اللهُ، وَأَمّا خالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خالِدًا، قَدِ ٱحْتَبَسَ أَدْراعَهُ وَأَعْتادَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَمّا العَبّاسُ فَهِيَ عَلَيَّ، وَمِثْلُها مَعَها، ثُمَّ قالَ: يا عُمَرُ، أَما شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ"**[1].

(تظْلمُونَ خالِدا) فِيهِ أَرْبَعَة أَقْوال: أَحدها: أَنه ٱعتذر لخالِد، فَكَأَنَّهُ يَقُول: من تبرع بِما لا يجب من الوَقْف كَيفَ يبخل بِالواجِبِ عَلَيْهِ. والثّانِي: أَن يكون خالِد طُولِبَ بِالزَّكاةِ عَن أَثمان الدروع والأعبد لكَونها من مال التِّجارَة فَأخْبر النَّبِي ﷺ: أَنه لا زَكاة عَلَيْهِ؛ لِأَن المزكىٰ قد خرج عَن يَده. والثّالِث: أَن يكون خالِد قد تصدق بِتِلْكَ الدروع والأعبد على المُجاهدين علىٰ وَجه القيمَة فِي الزَّكاة فحسبها لَهُ. والرّابِع: أَن لفظ هٰذا الحَدِيث الأول: أَمر رَسُول الله ﷺ بِصَدقَة، وَظاهر هٰذا يدل علىٰ أَنَّها تطوع فَلذَلِك عذره[2].

أقوال السلف حول سوء الظن:

١- عن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه قال: إنّي لأوّل العرب رمىٰ بسهم في سبيل الله، وكنّا نغزو مع النّبيّ ﷺ وما لنا طعام إلّا ورق الشّجر، حتّىٰ إنّ أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشّاة، ماله خلط، ثمّ أصبحت بنو أسد تعزّرني على الإسلام، لقد خبت إذا وضلّ عملي، وكانوا وشوا به إلىٰ عمر قالوا: لا يحسن يصلّي[3].

٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ٱجتمع عند البيت قرشيّان وثقفيّ أو ثقفيّان وقرشيّ كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم. فقال أحدهم: أترون أنّ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٨)، ومسلم (٩٨٣) واللفظ له.

(٢) كشف المشكل من الحديث ابن الجوزي (٣/ ٥١٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٢٧)، ومسلم (٢٩٦٦).

الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا. وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنّه يسمع إذا أخفينا.

فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت: ٢٢][(١)].

٣- عن عائذ بن عمرو رضي الله عنه وكان من أصحاب رسول الله ﷺ دخل علىٰ عبيد الله ابن زياد. فقال: أي بنيّ، إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ شرّ الرّعاء الحطمة. فإيّاك أن تكون منهم، فقال له: ٱجلس. فإنّما أنت من نخالة أصحاب محمّد ﷺ. فقال: وهل كانت لهم نخالة؟ إنّما كانت النّخالة بعدهم، وفي غيرهم[(٢)].

٤- عن سعد بن عبيدة؛ قال: " جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر عن محاسن عمله، قال: لعلّ ذلك يسوؤك؟ قال: نعم. قال: فأرغم الله بأنفك ثمّ سأله عن عليّ، فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك. بيته أوسط بيوت النّبيّ ﷺ. ثمّ قال: لعلّ ذاك يسوؤك؟ قال: أجل. قال فأرغم الله بأنفك، ٱنطلق فاجهد علىٰ جهدك[(٣)].

٥- عن عمر بن الخطاب، قال: من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن[(٤)].

٦- عن ابن عمر قال: كنا إذا فقدنا الرجل في صلاة العشاء وصلاة الفجر أسأنا به الظن[(٥)].

٧- قال الحسن البصري: نظرت في السخاء فما وجدت له أصلاً ولا فرعًا إلا حسن الظن بالله عز وجل وأصل البخل وفرعه سوء الظن بالله عز وجل[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٧)، ومسلم (٢٧٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٠٤).

(٤) أخرجه أبو طاهر المخلص في المخلصيات (٤/ ٨٣).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٩٢).

(٦) شعب الأيمان (٧/ ٤٤٠).

٨- عن عبد الله بن المبارك قال: جئت إلىٰ سفيان عشيّة عرفة وهو جاث علىٰ ركبتيه وعيناه تهملان، فبكيت، فالتفت إليّ فقال: ما شأنك؟ فقلت: من أسوأ هٰذا الجمع حالاً؟ قال: الذي يظنّ أنّ الله ﷻ لا يغفر لهم[١].

٩- كان بكر بن عبد الله إذا رأىٰ شيخًا قال: هٰذا خير مني عبد الله قبلي، وإذا رأىٰ شابًا قال: هٰذا خير مني ٱرتكبت من الذنوب أكثر مما ٱرتكب، وكان يقول: عليكم بأمر إن أصبتم أجرتم وإن أخطأتم لم تأثموا، وإياكم وكل أمر إن أصبتم لم تؤجروا وإن أخطأتم أثمتم، قيل: ما هو؟ قال: سوء الظن بالناس فإنكم لو أصبتم لم تؤجروا وإن أخطأتم أثمتم[٢].

١٠- قال ابن قدامة المقدسي: من حكم علىٰ مسلم بسوء ظنه، ٱحتقره وأطلق فيه لسانه، ورأىٰ نفسه خيرًا منه، وإنما يترشح سوء الظن بخبث الظان؛ لأن المؤمن يطلب المعاذير للمؤمن، والمنافق يبحث عن عيوبه[٣].

علاج سوء الظن:

١- ٱستحضار ما فيه من النهي، فإن المؤمن إذا تذكر ما في المسألة من نهي ووعيد فإنه لا يجرؤ على الاسترسال فيها.

٢- عدم التحقيق، فلا يبحث عن الأدلة علىٰ ما يظنه.

٣- أَنْ لا تَحْمِلَ فِعْلَهُ عَلَىٰ وَجْهٍ فاسِدٍ ما أَمْكَنَ أَنْ يُحْمَلَ عَلَىٰ وَجْهِ خَيْرٍ.

٤- ما ٱنْكَشَفَ بِيَقِينٍ وَمُشاهَدَةٍ فاحْمِلْهُ عَلَىٰ سَهْوٍ وَنِسْيانٍ إنْ أَمْكَنَ، فَسَتْرُ العُيُوبِ والتَّجاهُلُ والتَّغافُلُ عَنْها شِيمَةُ أَهْلِ الدِّينِ.

٥- لا يَتِمُّ إيمانُ المَرْءِ ما لَمْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَأَقَلُّ دَرَجاتِ الأُخُوَّةِ أَنْ يُعامِلَ أَخاهُ بِما يُحِبُّ أَنْ يُعامِلَهُ بِهِ، وَمَنْشَأُ التَّقْصِيرِ فِي سَتْرِ العَوْرَةِ

---

(١) حسن الظن بالله ابن أبي الدنيا (١/ ٧٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٢٥).

(٣) مختصر منهاج القاصدين (٣/ ٥)

أَوِ السَّعْيِ فِي كَشْفِها الدّاءُ الدَّفِينُ وَهُوَ الحِقْدُ والحَسَدُ، وَمَنْ فِي قَلْبِهِ سَخِيمَةٌ عَلَىٰ مُسْلِمٍ فَإِيمانُهُ ضَعِيفٌ، وَأَمْرٌ مُخْطِرٌ، وَقَلْبُهُ خَبِيثٌ لا يَصْلُحُ لِلِقاءِ اللهِ.

٦- أن يسكت عن إفشاء سره الذي ٱستودعه، وله أن ينكره وإن كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام، فإنه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن ٱحتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك في حق أخيه.

٧- السكوت على المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به أخوك، وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المماراة والمناقشة فإنها عين التدابر والتقاطع، فإن التقاطع يقع أولا بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان[(١)].

٨- لا مؤاخذة بحديث النفس: فمهما عرض للإنسان من شكوك في الناس من ريب بالنسبة لبعض الأفراد فإنه لا يدخل في دائرة التحذير من سوء الظن ما لم تستقر هٰذِه الشكوك في النفس، وتقوىٰ وتشتد حتىٰ تصل إلىٰ حد الجزم والاعتقاد. لأن ما يعرض للنفس دون ٱستقرار لا يقدر الأنسان علىٰ دفعه ولا يكلف به ولا يؤاخذ عليه[(٢)].

٩- حسن الظن بالمسلمين: وهو منهج شرعي أخل به كثير من المسلمين اليوم، بل نرىٰ بعضهم يتشبه بهدي الخوارج الذين يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.

١٠- التماس الأعذار، وعدم الفرح بالعثرات:

فإذا سمعت عن أخيك عثرة، أو هفوة، أو زلة، فلا تفرح بها هٰذا أقل ما يمكن أن يطلب منك، إذا عجزت عن نصرته والذبِّ عنه.

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (١/ ١٣٢).

(٢) سوء الظن (١/ ٢٩).

١١- الطمع

الطمع لغة:

مصدر قولهم: طمع فلان يطمع، وهو مأخوذ من مادّة (ط م ع) التي تدلّ علىٰ رجاء قويّ في القلب للشّيء، ولمّا كان أكثر الطّمع من الهوىٰ قيل: الطّمع طبع، والطّمع يدنّس الإهاب، يقال: طمع فلان في كذا وبكذا يطمع طمعا وطماعة وطماعية أي حرص عليه ورجاه فهو طمع وطامع من قوم طمعين وطماعىٰ وأطماع وطمعاء[(١)].

الطمع ٱصطلاحًا:

قال الرّاغب: نزوع النّفس إلى الشّيء شهوة له[(٢)].

وقال المناويّ: الطّمع تعلّق البال بالشّيء من غير تقدّم سبب له، وأكثر ما يستعمل فيما يقرب حصوله، وقد يستعمل بمعنى الأمل.

وقال بعضهم: الطّمع ذلّ ينشأ من الحرص والبطالة والجهل بحكمة الباري[(٣)].

الطمع بين المدح والذم:

إنّ الطّمع بمعنى الرّجاء في رحمة الله وتوقّع الخير، أمر محمود، وهٰذا ما فعله نبيّ الله إبراهيم عليه السلام عندما قال الله علىٰ لسانه: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٨٢].

وامتدح الله عز وجل من يدعونه خوفًا وطمعًا، ووعدهم بما تقرّ به أعينهم. قال

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٤٢٥)، المفردات للراغب (٣٠٧)، تهذيب اللغة للأزهري (٢/ ١٩٢)، الصحاح (٣/ ١٢٥٥)، اللسان (طمع) (٢٧٠٤).

(٢) المفردات (٢٠٧).

(٣) التوقيف (٣٠٧).

تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

أمّا إذا كان الطّمع في حطام الدّنيا من مال عارض أو منصب زائل، أو جاه حائل، فإنّ ذلك كلّه مذموم خاصّة إذا صدر ممّن له حقّ فيه، وهٰذا دأب المنافقين الذين كانوا يطمعون في الصّدقات﴿فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].

يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة: وهكذا كان حال من كان متعلّقا برئاسة أو ثروة ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رضي، وإن لم يحصل سخط، فهٰذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له إذا لم يحصل. والعبوديّة في الحقيقة هي رقّ القلب وعبوديّته، فما ٱسترقّ القلب واستعبده فهو عبد لهٰذا. يقال:

العبد حرّ ما قنع والحرّ عبد ما طمع

وقال قائل:

أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أنّي قنعت لكنت حرّا[1]

الطمع في القرآن:

١- قال تعالىٰ: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ [المعارج: ٣٦- ٣٨].

أيطمع كلّ ٱمرئ من هٰؤلاء الذين كفروا قبلك مهطعين أن يدخله الله جنة نعيم: أي بساتين نعيم ينعم فيها.

وقوله: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ يقول ﷻ: ليس الأمر كما يطمع فيه هٰؤلاء الكفار من أن يدخل كل ٱمرئ منهم جنة نعيم.

---

(١) مكارم الأخلاق لابن تيمية (٢٦٠، ٢٦١).

وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ يقول جلّ وعزّ: أنا خلقناهم من منيّ قذر، وإنما يستوجب دخول الجنة من يستوجبه منهم بالطاعة، لا بأنه مخلوق، فكيف يطمعون في دخول الجنة وهم عصاة كفرة[1].

٢- وقال تعالىٰ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب: ٣٢]

﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه شهوة الزنىٰ والفجور. الثاني: أنه النفاق.

وكان أكثر من تصيبه الحدود في زمان النبي ﷺ المنافقون.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: صحيحاً. الثاني: عفيفاً. الثالث: جميلاً[2].

الطمع في السنة:

١- عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه، قالَ: لا أَقُولُ لَكُمْ إلّا كَما كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: كانَ يَقُولُ: "**اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ، والكَسَلِ، والجُبْنِ، والبُخْلِ، والهَرَم، وَعَذابِ، القَبْرِ اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْواها، وَزَكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكّاها، أَنْتَ وَلِيُّها وَمَوْلاها، اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجابُ لَها**"[3].

والنفس التي لا تشبع: ٱستعارة من الحرص والطمع والشره، وتعلق النفس بالآمال البعيدة[4].

قال ابن الملَك أي: حريصة علىٰ جمع المال وتحصيل المناصب، وقيل علىٰ حقيقته فهو إما لشدة حرصه على الدنيا لا يقدر أن يأكل قدر ما يشبع جوعته، وإما الأستيلاء الجوع البقري عليه وهو جوع الأعضاء مع شبع

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٢١).
(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٣٩٩).
(٣) أخرجه مسلم (٢٧٢٢) (٢٤٣٧)
(٤) شرح أبي داود للعيني (٥/ ٤٥٨)

المعدة عكس الشهوة الكلبية[١].

٢- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت عمر بن الخطّاب يقول: كانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِينِي العَطاءَ، فَأَقُولُ أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، حَتَّىٰ أَعْطانِي مَرَّةً مالًا، فَقُلْتُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"خُذْهُ، فَتَمَوَّلْهُ، وَتَصَدَّقْ بِهِ، فَما جاءَكَ مِنْ هٰذا المالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سائِلٍ فَخُذْهُ، وَمالاَ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ"**[٢].

المشرف إلى الشيء هو المتطلع إليه الحريص عليه ومالا فلا تتبعه نفسك معناه ما لم يوجد فيه هٰذا الشرط لا تعلق النفس به واختلف العلماء فيمن جاءه مال هل يجب قبوله أم يندب علىٰ ثلاثة مذاهب والصحيح المشهور الذي عليه الجمهور أنه يستحب وأما عطية السلطان؛ فالصحيح: أنه إن غلب الحرام فيما في يد السلطان حرمت وكذا إن أعطىٰ من لا يستحق وإن لم يغلب الحرام فمباح إن لم يكن في القابض مانع يمنعه من ٱستحقاق الأخذ[٣]

٣- عن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **"لَوْ كانَ لاِبْنِ آدَمَ وادِيانِ مِنْ مالٍ لاَبْتَغَىٰ ثالِثًا، وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابن آدَمَ إلاّ التُّرابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ مَنْ تابَ"**[٤].

المراد بالحديث حِرص القلب ورغبة النفس، لا الأكل وشهوة البطن؛ لأنه لم يجر للمطعوم هناك ذكر، إنما جرىٰ ذكر المال والذهب[٥].

فأخبر عن حرص العباد على الزيادة فى المال، وأنه لا غاية له يقنع بها

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح المباركفوري (٨/ ٢٢١).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٣)، ومسلم (١٠٤٥).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (٧/ ١٣٥).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٣٦) ومسلم (١٠٤٩).

(٥) إكمال المعلم (٣/ ٣٠٥).

ويقتصر عليها[(١)].

وأشار بهٰذا المثل إلىٰ ذم الحرص على الدنيا والشره على الأزدياد منها؛ ولذلك آثر أكثر السلف التقلل من الدنيا والقناعة والكفاف فرارًا من التعرض لما لا يعلم كيف النجاة من شر فتنته[(٢)].

٤- عن أبي هريرة ﷺ أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: **"لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شابًّا فِي ٱثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيا وَطُولِ الأَمَلِ"**[(٣)].

قال القرطبي: في هٰذا الحديث كراهة الحرص علىٰ طول العمر، وكثرة المال، وأن ذلك ليس بمحمود، وقال غيره: الحكمة في التخصيص بهذين الأمرين: أن أحب الأشياء إلى ابن آدم نفسه؛ فهو راغب في بقائها فأحب لذلك طول العمر وأحب المال؛ لأنه من أعظم الأسباب في دوام الصحة التي ينشأ عنها غالبًا طول العمر فكلما أحس بقرب نفاد ذلك ٱشتد حبه له ورغبته في دوامه[(٤)].

٥- عن ابن كعب بن مالك الأنصاريّ عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **"ما ذِئْبانِ جائِعانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَها مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المالِ والشَّرَفِ لِدِينِهِ"**[(٥)].

أما المال؛ فإفساده: أنه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات ويجر إلى التنعم في المباحات فيصير التنعم مألوفًا وربما يشتد أنسه بالمال ويعجز عن كسب الحلال فيقتحم في الشبهات مع أنها ملهية عن ذكر الله تعالىٰ وهٰذِه لا ينفك عنها أحد.

وأما الجاه؛ فيكفي به إفسادًا: أن المال يبذل للجاه ولا يبذل الجاه للمال

---

(١) شرح ابن بطال للبخاري (١٠/ ١٦٠).

(٢) السابق. (٣) أخرجه البخاري (٦٤٢٠).

(٤) فتح الباري (١١/ ٢٤١).

(٥) أخرجه أحمد (٣ / ٤٥٦)، والترمذي (٢٣٧٦)، وقال: حسن صحيح.

وهو الشرك الخفي فيخوض في المراآة والمداهنة والنفاق وسائر الأخلاق الذميمة فهو أفسد وأفسد[(١)].

٦- عَنْ حَكِيم بْنِ حِزامٍ رضي الله عنه، قالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطانِي، ثُمَّ قالَ لِي: **"يا حَكِيمُ، إنَّ هٰذا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإشْرافِ نَفْسٍ لَمْ يُبارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكانَ كالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، واليَدُ العُلْيا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَىٰ"**[(٢)].

قال العلماء إشراف النفس تطلعها إليه وتعرضها له وطمعها فيه.

وأما طيب النفس فذكر القاضي فيه ٱحتمالين:

أظهرهما: أنه عائد على الآخذ ومعناه من أخذه بغير سؤال ولا إشراف وتطلع بورك له فيه.

والثاني: أنه عائد إلى الدافع ومعناه من أخذه ممن يدفع منشرحًا بدفعه إليه طيب النفس لا بسؤال ٱضطره إليه أو نحوه مما لا تطيب معه نفس الدافع

وأما قوله ﷺ: كالذي يأكل ولا يشبع فقيل هو الذي به داء لا يشبع بسببه. وقيل يحتمل أن المراد التشبيه بالبهيمة الراعية[(٣)].

أقوال السلف حول الطمع:

١- قال عمر رضي الله عنه: تعلّمنّ أنّ الطّمع فقر، وأنّ اليأس غنىٰ[(٤)].

٢- قال حكيم: أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع[(٥)].

٣- عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أنه قال: لا ينبغىٰ للرجل أن يكون

---

(١) تحفة الأحوذي (٧/ ٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٥).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (٧/ ١٢٦).

(٤) الزهد لأحمد (١/ ٢٢٦).

(٥) فيض القدير (٣/ ١٣٢).

قاضيًا حتىٰ يكون فيه خمس خصال فإن أخطأته واحدة كانت فيه وصمة وإن أخطأته ٱثنتان كانت فيه وصمتان حتىٰ يكون: عالمًا بما كان قبله، مستشيرًا لذى الرأىٰ، ذا نزاهة عن الطمع، حليما عن الخصم،محتملا للائمة[1].

٤- قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الخير في العالم التقي: قمع الطمع عن القلب في الخلق، و تقريب الفقير، و الرفق به في التعليم والجواب، و التباعد من السلطان[2].

٥- عن جيلان أبي الجلد قال: لا يذهب الليل والنهار حتىٰ يَخلَق هٰذا القرآن في قلوب الرجال كمثل الثوب البالي الذي يتهافت لا يجدون حلاوة له ولا لذاذة، إن ترك أحدهم بعض ما أمر به قال: إن الله غفور رحيم، وإن ركب بعض ما نهي عنه قال: إنه سيغفر لي إني لا أشرك، كل أمرهم إلى الطمع ليس معهم من الخوف شيء خيرهم في أنفسهم المداهن[3].

٦- قال ابن الأعرابيّ: كان يقال: لا يوجد العجل محمودًا، ولا الغضوب مسرورًا، ولا الملول ذا إخوان، ولا الحرّ حريصًا، ولا الشّره غنيّا[4].

٧- قال الرّاغب الأصفهانيّ: الطّمع طبع، وهو يدنّس الإهاب، وذلك لأنّ أكثر الطّمع من أجل الهوىٰ[5].

٨- قال ابن القيّم رحمه الله: في الطّمع شره، والحمية أوفق[6].

---

(١) السنن للبيهقي (١٠/ ١١٧).
(٢) شعب الأيمان (٢/ ٣١٦).
(٣) الكنىٰ والأسماء الدولابي (١/ ٤٣٣).
(٤) مجمع الأمثال للميداني النيسابوري (٢/ ٢٤٣).
(٥) المفردات (٣٠٧).
(٦) الفوائد (٦٨).

١٢- الغلول

الغلول لغة:

مصدر قولهم: غلّ يغلّ إذا خان في الفيء أو الغنيمة أو غيرهما، وهو مأخوذ من مادّة (غ ل ل) التي تدلّ علىٰ تخلّل شيء وثباته[١].

وقال الرّاغب: والغلول وهو تدرّع الخيانة، والغلّ: العداوة[٢].

الغلول اصطلاحًا:

قال الكفويّ: الغلول الخيانة في بيت مال أو زكاة أو غنيمة وقيّده أبو عبيدة بالغنيمة فقط[٣].

وقال ابن حجر: الغلول (في الغنيمة) هو اختصاص أحد الغزاة، سواء الأمير أو غيره بشيء من مال الغنيمة قبل القسمة من غير أن يحضره إلىٰ أمير الجيوش ليخمّسه، وإن قلّ المأخوذ[٤].

أنواع الغلول:

للغلول أنواع عديدة منها:

١- الغلول في الفيء أو الغنائم، وهٰذا هو المشهور الذي ينصرف إليه اللّفظ عند الإطلاق.

٢- الغلول في الزّكاة.

٣- ومن الغلول أيضا ما ذكره القرطبيّ من هدايا العمّال (الموظّفين) قال: وحكمه في الفضيحة في الآخرة حكم الغالّ[٥].

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٣٧٦).

(٢) المفردات للراغب ص ٣٦٣.

(٣) الكليات (٦٧١).

(٤) الزواجر لابن حجر (٢/ ٢٩٣- ٢٩٤)

(٥) تفسير القرطبي (٤/ ١٦٨).

٤- ومن الغلول: حبس الكتب عن أصحابها، ويدخل غيرها في معناها، قال الزّهريّ: إيّاك وغلول الكتب، فقيل له: وما غلول الكتب؟ قال: حبسها عن أصحابها[١].

٥- الاْختلاس من الأموال العامّة.

٦- ومن الغلول أيضًا اْغتصاب الأرض أو العقار أو ما أشبه ذلك، بل إنّ ذلك من أعظم الغلول.

حكم الغالّ في الدنيا:

قال القرطبيّ: إذا غلّ الرّجل في المغنم ووجد ما غلّه أخذ منه وأدّب وعوقب بالتّعزير، واختلف الفقهاء في حرق متاعه فذهب مالك والشّافعيّ وأبو حنيفة واللّيث إلىٰ أنّ متاعه لا يحرق. وقال الأوزاعيّ: يحرق متاع الغالّ كلّه إلّا سلاحه وثيابه التي عليه وسرجه ولا يحرق الشّيء الذي غلّه[٢]، وهٰذا قول أحمد وإسحاق، وقاله الحسن أيضًا.

ذم الغلول في القرآن:

١- قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [آل عمران: ١٦١]

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ﴾ أي ما كان من شأن أيٰ نبيٰ ولا من سيرته أن يغل؛ لأن الله عصم أنبياءه منه، فهو لا يليق بمقامهم ولا يقع منهم؛ لأن النبوة أعلى المناصب الإنسانية، فصاحبها لا يرغب فيما فيه دناءة وخسة.

﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۚ﴾ أي: وكل من يقع منه غلول يأتىٰ بما غل به يوم القيامة حاملا له، ليفتضح أمره ويزيد به فىٰ عذابه[٣].

---

(١) تفسير القرطبي (٤/ ١٦٨).

(٢) اْنظر: القرطبي (٤/ ١٦٧).

(٣) تفسير المراغي (٤/ ١١٩).

الغلول في السنة:

١- عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السّاعِدِيِّ ﷺ، أَنَّهُ أَخْبَر: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ٱسْتَعْمَلَ عامِلًا، فَجاءَهُ العامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، هٰذا لَكُمْ وهٰذا أُهْدِيَ لِي. فَقالَ لَهُ: **"أَفَلاَ قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، فَنَظَرْتَ أَيُهدىٰ لَكَ أَمْ لاَ؟ ثُمَّ قامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلاةِ، فَتَشَهَّدَ وَأَثْنىٰ عَلَىٰ اللهِ بِما هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قالَ: " أَمّا بَعْدُ، فَما بالُ العامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ، فَيَأْتِينا فَيَقُولُ: هٰذا مِنْ عَمَلِكُمْ، وهٰذا أُهْدِيَ لِي، أَفَلاَ قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَظَرَ: هَلْ يُهْدىٰ لَهُ أَمْ لاَ، فَوالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْها شَيْئًا إلاّ جاءَ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ عُنُقِهِ، إنْ كانَ بَعِيرًا جاءَ بِهِ لَهُ رُغاءٌ، وَإِنْ كانَتْ بَقَرَةً جاءَ بِها لَها خُوارٌ، وَإِنْ كانَتْ شاةً جاءَ بِها تَيْعَرُ، فَقَدْ بَلَّغْتُ"**(١).

وفي هٰذا الحديث بيان أن هدايا العمال حرام، وغلول لأنه خان في ولايته وأمانته، ولهٰذا ذكر في الحديث في عقوبته وحمله ما أهدي إليه يوم القيامة كما ذكر مثله في الغال، وقد بين ﷺ في نفس الحديث السبب في تحريم الهدية عليه، وأنها بسبب الولاية بخلاف الهدية لغير العامل فإنها مستحبة(٢).

٢- عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَمِيرَةَ الكِنْدِيِّ ﷺ، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **"مَنِ ٱسْتَعْمَلْناهُ مِنْكُمْ عَلَىٰ عَمَلٍ، فَكَتَمَنا مِخْيَطًا، فَما فَوْقَهُ كانَ غُلُولاً يَأْتِي بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ"**(٣).

(علىٰ عمل فكتمنا) أي أخفىٰ علينا (مخيطًا) بكسر الميم وسكون الخاء أي إبرة (فما فوقه) أي فشيئًا يكون فوقه في الصغر أو الكبر.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٦)، ومسلم (١٨٣٢).

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (١٢/ ٢١٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٣٣).

(كان) أي ذلك الكتمان (غلولا) بضم المعجمة أي خيانة في الغنيمة (يأتي به) أي بما غل (يوم القيامة) تفضيحا له[١].

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قالَ: قامَ فِينا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ، فَذَكَرَ الغُلُولَ، فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قالَ: **"لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغاءٌ، يَقُولُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ شاةٌ لَها ثُغاءٌ، يَقُولُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَها صِياحٌ، فَيَقُولُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ رِقاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ صامِتٌ، فَيَقُولُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ"**[٢].

في هٰذا بيان أن هدايا العمال سحت وأنه ليس سبيلها سبيل سائر الهدايا المباحة وإنما يهدىٰ إليه المحاباة وليخفف عن المهدي ويسوغ له بعض الواجب عليه وهو خيانة منه وبخس للحق الواجب عليه ٱستيفاؤه لأهله.

وفي قوله: ألا جلس في بيت أمه أو أبيه فينظر أيهدىٰ إليه أم لا دليل علىٰ أن كل أمر يتذرع به إلىٰ محظور؛ فهو محظور ويدخل في ذلك القرض يجر المنفعة، والدار المرهونه يسكنها المرتهن بلا كراء، والدابة المرهونه يركبها

---

(١) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٢٧١).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٠٢)، ومسلم (١٨٣١).

ويرتفق بها من غير عوض[١].

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"غزا نَبيٌّ مِنَ الأَنْبياءِ، فَقالَ لِقَوْمِهِ: لا يَتْبَعْني رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ ٱمْرَأَةٍ، وَهُوَ يُريدُ أَنْ يَبْنِيَ بِها، وَلَمّا يَبْنِ، وَلا آخَرُ قَدْ بَنَىٰ بُنْيانًا، وَلَمّا يَرْفَعْ سُقُفَها، وَلا آخَرُ قَدِ ٱشْتَرىٰ غَنَمًا - أَوْ خَلِفاتٍ - وَهُوَ مُنْتَظِرٌ وِلادَها" ، قالَ: " فَغَزا فَأَدْنَىٰ لِلْقَرْيَةِ حِينَ صَلاةِ العَصْرِ، أَوْ قَريبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقالَ لِلشَّمْسِ: أَنْتِ مَأْمورَةٌ، وَأَنا مَأْمورٌ، اللهُمَّ، ٱحْبِسْها عَلَيَّ شَيْئًا، فَحُبِسَتْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ " ، قالَ: " فَجَمَعُوا ما غَنِمُوا، فَأَقْبَلَتِ النّارُ لِتَأْكُلَهُ، فَأَبَتْ أَنْ تَطْعَمَهُ، فَقالَ: فِيكُمْ غُلُولٌ، فَلْيُبايِعْني مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَبايَعُوهُ، فَلَصِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ، فَلْتُبايِعْنِي قَبِيلَتُكَ، فَبايَعَتْهُ " ، قالَ: " فَلَصِقَتْ بِيَدِ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ، فَقالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ، أَنْتُمْ غَلَلْتُمْ " ، قالَ: " فَأَخْرَجُوا لَهُ مِثْلَ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قالَ: فَوَضَعُوهُ فِي المالِ وَهُوَ بِالصَّعِيدِ، فَأَقْبَلَتِ النّارُ فَأَكَلَتْهُ، فَلَمْ تَحِلَّ الغَنائِمُ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِنا، ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ رَأَىٰ ضَعْفَنا وَعَجْزَنا، فَطَيَّبَها لَنا"**[٢].

قوله: (فيكم غلول) هٰذِه كانت عادة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في الغنائم أن يجمعوها فتجيء نار من السماء فتأكلها فيكون ذلك علامة لقبولها وعدم الغلول، فلما جاءت في هٰذِه المرة فأبت أن تأكلها علم أن فيهم غلولاً فلما ردوه جاءت فأكلتها، وكذلك كان أمر قربانهم إذا تقبل جاءت نار من السماء فأكلته[٣].

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه إنّ رسول الله ﷺ قال: **"وَلا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ حِينَ يَغُلُّ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَإِيّاكُمْ إِيّاكُمْ"**[٤].

---

(١) معالم السنن (٣/ ٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٧٧)، ومسلم (١٧٤٧).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (١٢/ ٥٣).

(٤) أخرجه مسلم (٥٧).

قوله (فإياكم إياكم) فهكذا هو في الروايات إياكم إياكم مرتين ومعناه ٱحذروا ٱحذروا يقال: إياك وفلانا أي ٱحذره ويقال: إياك أي ٱحذر من غير ذكر فلان كما وقع هنا[١].

٦- عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما قال: لَمّا كانَ يَوْمُ خَيْبَرَ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحابَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقالُوا: فُلانٌ شَهِيدٌ، فُلانٌ شَهِيدٌ، حَتَّىٰ مَرُّوا عَلَىٰ رَجُلٍ، فَقالُوا: فُلانٌ شَهِيدٌ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"كَلّا، إنِّي رَأَيْتُهُ فِي النّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّها - أَوْ عَباءَةٍ - ثُمَّ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يا ابن الخَطّابِ، ٱذْهَبْ فَنادِ فِي النّاسِ، أَنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلاّ المُؤْمِنُونَ، قالَ: فَخَرَجْتُ فَنادَيْتُ: أَلا إنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلاّ المُؤْمِنُونَ"**[٢].

قال الطيبي: فإن قلت: الكلام في الشهادة لا في الإيمان فما معنىٰ هٰذا القول؟ **قلت**: هو تغليظ وارد علىٰ سبيل المبالغة يعني جزمتم أنه من الشهداء، وأنه من أهل الجنة، وقد رأيته في النار فدعوا هٰذا الكلام ؛ لأن الكلام في إيمانه زجرًا وردعًا عن الغلول[٣].

٧- عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"مَنْ ماتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلاثٍ: الكِبْرِ، والغُلُولِ، والدَّيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ"**[٤].

٨- عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قالَ: دَخَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ عَلَى ابن عامِرٍ يَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقالَ: أَلا تَدْعُو اللهَ لِي يا ابن عُمَرَ؟ قالَ: إنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **"لا تُقْبَلُ صَلاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلاَ صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ"**[٥].

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (٢/ ٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (١١٤).

(٣) مرقاة المفاتيح (٦/ ٢٦٠٤).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (٨/ ٨٦)، والترمذي (١٥٧٢)، وقال: وحديث سعيد أصح، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٨٥).

(٥) صحيح مسلم (٢٢٤) .

أقوال السلف حول الغلول:

١- عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: لو كنت مستحلّا من الغلول القليل لاستحللت منه الكثير، ما من أحد يغلّ غلولًا إلّا كلّف أن يأتي به من أسفل درك جهنّم[١].

٢- عن عمرو بن سالم قال: كان أصحابنا يقولون: عقوبة صاحب الغلول: أن يحرق فسطاطه ومتاعه[٢].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٠٥).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٥٢٦).

١٣- الكبر

الكبر لغة:

اسم كالكبرياء بمعنى العظمة، وهو مأخوذ من مادّة (ك ب ر) التي تدلّ علىٰ خلاف الصّغر. قال ابن فارس: ومن الباب الكبر وهو الهرم، والكبر: العظمة، وكذلك الكبرياء.

والتكبّر والاستكبار: التّعظّم[1].

والكبر ٱصطلاحًا:

الكبر: هو بطر الحقّ وغمط النّاس.

وقال الغزاليّ: هو ٱستعظام النّفس، ورؤية قدرها فوق قدر الغير[2] وقال التّهانويّ في بيان الكبر: جهل الإنسان بنفسه وإنزالها فوق منزلتها. أمّا المكابرة، فهي المنازعة لا لإظهار الصّواب ولا لإلزام الخصم[3].

التكبر صفة لا تكون إلا لله:

قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى المتكبّر والكبير، أي العظيم ذو الكبرياء، وقيل: المتعالىٰ عن صفات الخلق، وقيل: المتكبّر علىٰ عتاة خلقه.

وقال الغزاليّ: المتكبّر: هو الذىٰ يرى الكلّ حقيرًا بالإضافة إلىٰ ذاته، ولا يرى العظمة والكبرياء إلّا لنفسه، فينظر إلىٰ غيره نظر الملوك إلى العبيد، فإن كانت هٰذِه الرّؤية صادقة كان التّكبّر حقًّا، وكان صاحبها متكبّرًا

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٥٤)، والصحاح (٢/ ٨٠١)، ولسان العرب لابن منظور (٥/ ١٢٩، ١٣٠).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٥).

(٣) كشاف ٱصطلاحات الفنون (٣/ ١٢٤٧).

حقًّا، ولا يتصوّر ذلك على الإطلاق إلّا لله تعالىٰ[١].

وإن كان ذلك التّكبّر والاستعظام باطلاً، ولم يكن ما يراه من التّفرّد بالعظمة كما يراه، كان التّكبّر باطلاً ومذمومًا، وكلّ من رأى العظمة والكبرياء لنفسه على الخصوص دون غيره، كانت رؤيته كاذبة، ونظره باطلا[٢].

الكبر مفتاح الشقاء:

قال الغزاليّ رحمه الله: مفتاح السّعادة التّيقّظ والفطنة، ومنبع الشّقاوة الكبر والغفلة، فلا نعمة لله علىٰ عباده أعظم من الإيمان والمعرفة، ولا وسيلة إليه سوى ٱنشراح الصّدر بنور البصيرة، ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية ولا داعي إليهما سوىٰ عمى القلب بظلمة الجهالة، فالأكياس هم الذين أراد الله: أن يهديهم؛ فشرح صدورهم للإسلام والهدىٰ، والمتكبّرون هم الذين أراد الله: أن يضلّهم فجعل صدرهم ضيّقًا حرجًا كأنّما يصّعّد في السّماء. فالمتكبّر هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلاً، وبقي في العمىٰ فاتّخذ الهوىٰ قائدًا والشّيطان دليلاً.

فالكبر آفة عظيمة هائلة، وفيه يهلك الخواصّ من الخلق، وقلّما ينفكّ عنه العبّاد والزّهّاد والعلماء فضلاً عن عوامّ الخلق، وكيف لا تعظم آفته وقد قال ﷺ: لا يدخل الجنّة من في قلبه مثقال ذرّة من كبر وإنّما صار حجابًا دون الجنّة؛ لأنّه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلّها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنّة، والكبر يغلق تلك الأبواب كلّها؛ لأنّه لا يقدر علىٰ أن يحبّ للمؤمنين ما يحبّ لنفسه وفيه شيء من الكبر. فما من خلق ذميم إلّا وصاحب الكبر مضطرّ إليه ليحفظ كبره، وما من خلق محمود إلّا وهو

---

(١) المقصد الأسنىٰ ص ٧٥.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالىٰ (٣/ ٣٤٥).

عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزّه. فمن هٰذا لم يدخل الجنّة من في قلبه مثقال حبّة منه. والأخلاق الذّميمة متلازمة، والبعض منها داع إلى البعض لا محالة. وشرّ أنواع الكبر ما يمنع من ٱستفادة العلم وقبول الحقّ والانقياد له)[١].

أسباب الكبر ثلاثة:

سبب فى المتكبّر، وسبب في المتكبّر عليه، وسبب فيما يتعلّق بغيرهما.

أمّا السّبب الذي فى المتكبّر؛ فهو العجب، والّذي يتعلّق بالمتكبّر عليه هو الحقد، والحسد، والّذي يتعلّق بغيرهما هو الرّياء، فتصير الأسباب بهٰذا الٱعتبار أربعة.

العجب، والحقد، والحسد، والرّياء:

أمّا العجب؛ فإنّه يورث الكبر الباطن، والكبر يثمر التّكبّر الظّاهر في الأعمال والأقوال والأحوال.

وأمّا الحقد؛ فإنّه يحمل على التّكبّر من غير عجب، كالّذي يتكبّر علىٰ من يرىٰ أنّه مثله أو فوقه، ولٰكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه، فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقّا للتّواضع.

وأمّا الحسد؛ فإنّه أيضا يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد، ويدعو الحسد أيضا إلىٰ جحد الحقّ حتّىٰ يمنع من قبول النّصيحة وتعلّم العلم، فكم من جاهل يشتاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدًا وبغيًا عليه. فهو يعرض عنه ويتكبّر عليه مع معرفته بأنّه يستحقّ التّواضع بفضل علمه، ولٰكن الحسد يبعثه علىٰ أن يعامله بأخلاق المتكبّرين، وإن كان في باطنه ليس يرىٰ نفسه فوقه.

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٥).

وأمّا الرّياء: فهو أيضا يدعو إلىٰ أخلاق المتكبّرين، حتّىٰ إنّ الرّجل ليناظر من يعلم أنّه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد، ولكن يمتنع من قبول الحقّ منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول النّاس إنّه أفضل منه فيكون باعثه على التّكبّر عليه الرّياء المجرّد، ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبّر عليه[1].

الأدلة من القرآن حول ذم الكبر:

١- قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

"واستكبر"، يعني بذلك: أنه تعظَّم وتكبَّر عن طاعة الله في السجود لآدم.

وهٰذا وإن كان من الله جل ثناؤه خبرًا عن إبليس، فإنه تقريعٌ لضُرِبائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله، والانقيادِ لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم علىٰ بعض من الحق.

وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله، والتذلل لطاعته، والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من حقوق غيرهم مع علمهم بذلك -اليهود- عن الإقرار بنبوّته، والإذعان لطاعته، بَغْيًا منهم له وحسدًا. فقرَّعهم الله بخبره عن إبليس[2].

٢- وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة: ٨٧].

ينعت تبارك وتعالىٰ بني إسرائيل بالعتو والعناد والمخالفة، والاستكبار على الأنبياء، وأنهم إنما يتبعون أهواءهم، فذكر تعالىٰ: أنه آتىٰ موسى الكتاب - وهو التوراة- فحرفوها وبدلوها، وخالفوا أوامرها وأولوها.

(١) الإحياء (٣/ ٣٥٣، ٣٥٤).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٥١٠).

وأرسل الرسل والنبيين من بعده الذين يحكمون بشريعته، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ الآية [المائدة: ٤٤]، ولهٰذا قال: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾[1].

٣- وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأعراف: ٧٥-٧٧].

٤- وقال تعالىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

يعني: أصرف قلوب الذين يتكبرون عن الإيمان حتىٰ لا يؤمنوا. فأخذلهم بكفرهم ولا أوفقهم بتكذيبهم الأنبياء مجازاة لهم. ويقال: أمنع قلوبهم من التفكر في أمر الدين وفي خلق السموات والأرض.

الذين يتكبرون فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ يعني: يتعظمون عن الإيمان لكي لا يتفكروا في السماء، ولا يعقلون فيها، ولا يذكرونها.

ويقال: سأصرف عن النعماء التي أعطيتها المؤمنين يوم القيامة أصرف عنهم تلك النعمة[2].

٥- وقال تعالىٰ: ﴿إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [النحل: ٢٢].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢١).

(٢) تفسير السمرقندي (١/ ٥١١).

معبودكم الذي يستحقّ عليكم العبادة، وإفراد الطاعة له دون سائر الأشياء: معبود واحد، لأنه لا تصلح العبادة إلا له، فأفردوا له الطاعة وأخلصوا له العبادة، ولا تجعلوا معه شريكًا سواه ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: فالذين لا يصدّقون بوعد الله ووعيده، ولا يقرّون بالمعاد إليه بعد الممات قلوبهم منكرة، يقول تعالىٰ ذكره: مستنكرة لما نقص عليهم من قدرة الله وعظمته، وجميل نعمه عليهم، وأن العبادة لا تصلح إلا له، والألوهية ليست لشيء غيره يقول: وهم مستكبرون عن إفراد الله بالألوهة، والإقرار له بالوحدانية، اتباعًا منهم لما مضىٰ عليه من الشرك بالله أسلافهم[(١)].

الأدلة من السنة حول الكبر:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**احْتَجَّتِ النّارُ والجَنَّةُ، فَقالَتْ: هٰذِه يَدْخُلُنِي الجَبّارُونَ، والمُتَكَبِّرُونَ، وَقالَتْ: هٰذِه يَدْخُلُنِي الضُّعَفاءُ، والمَساكِينُ، فَقالَ اللهُ** عز وجل لهٰذِه: أَنْتِ عَذابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشاءُ - وَرُبَّما قالَ: أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشاءُ - وَقالَ لهٰذِه: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشاءُ وَلِكُلِّ واحِدَةٍ مِنْكُما مِلْؤُها"[(٢)].

المراد بتحاج الجنة والنار تخاصمهما في الأفضل منهما وإقامة كل منهما الحجة علىٰ أفضليتها، فاحتجت النار بقهرها للمتكبرين والمتجبرين، واحتجت الجنة بكونها مأوى الضعفاء في الدنيا عوضهم الله تعالىٰ عن ضعفهم الجنة فقطع تعالى التخاصم بينهما، وبين أن الجنة رحمته أي نعمته على الخلق إن جعلت الرحمة صفة فعل أو أثر إرادة الخير بمن يشاء إن جعلتها صفة ذات، وأن النار عذابه الناشئ عن غضبه وإرادة انتقامه جل وعلا.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ١٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) واللفظ له.

وفيه ذم التكبر والتبختر، وأن فاعل ذلك من أهل النار فإن وصل الكبر بالإنسان إلى الكفر لتكبره عن الإيمان بالله ورسوله؛ فهو مخلد في النار، وإن لم يصل إلىٰ ذلك فلا بد له من الخلوص منها، ولا يقطع له بدخولها أيضا بل هو تحت المشيئة فقد يعفىٰ عنه ولا يدخلها[(١)].

٢- عَنْ حارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الخُزاعِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: "**أَلاَ أُخْبِرُكُم بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضاعِفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لأَبَرَّهُ. أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**"[(٢)].

متضعف معناه يستضعفه الناس، ويحتقرونه، ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا.

قال القاضي: وقد يكون الضعف هنا رقة القلوب ولينها وإخباتها للإيمان والمراد أن أغلب أهل الجنة هٰؤلاء كما أن معظم أهل النار القسم الآخر.

(لو أقسم علىٰ الله لأبره) معناه لو حلف يمينًا طمعًا في كرم الله تعالىٰ بإبراره لأبره وقيل: لو دعاه لأجابه.

قوله ﷺ في أهل النار (كل عتل جواظ مستكبر) فهو الجافي الشديد الخصومة بالباطل. وقيل الجافي الفظ الغليظ، وأما الجواظ فهو الجموع المنوع، وقيل كثير اللحم المختال في مشيته وقيل القصير البطين، وأما المتكبر والمستكبر؛ فهو صاحب الكبر وهو بطر الحق وغمط الناس[(٣)].

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زانٍ، وَمَلِكٌ كَذّابٌ، وَعائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**"[(٤)].

---

(١) طرح التثريب (٨/ ١٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (١٧/ ١٨٧).

(٤) أخرجه مسلم (١٠٧).

تخصيصه ﷺ الشيخ الزاني والملك الكذاب والعائل المستكبر بالوعيد المذكور؛ فقال القاضي عياض سببه: أن كل واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بعدها منه وعدم ضرورته إليها، وضعف دواعيها عنده، وإن كان لا يعذر أحد بذنب لكن لما لم يكن إلىٰ هٰذِه المعاصي ضرورة مزعجة، ولا دواعىٰ معتادة أشبه إقدامهم عليها المعاندة، والاستخفاف بحق الله تعالىٰ وقصد معصيته لا لحاجة غيرها..

وكذلك العائل الفقير قد عدم المال، وإنما سبب الفخر، والخيلاء والتكبر، والارتفاع على القرناء الثروة في الدنيا لكونه ظاهرا فيها، وحاجات أهلها إليه فإذا لم يكن عنده أسبابها فلماذا يستكبر ويحتقر غيره فلم يبق فعله، وفعل الشيخ الزاني، والإمام الكاذب إلا لضرب من الاستخفاف بحق الله تعالىٰ والله أعلم[١].

٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: "**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**"، قالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قالَ: "**إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النّاسِ**"[٢].

غمط الناس: هو بالطاء المهملة، وذكره أبو عيسى الترمذي، وغيره غمص بالصاد، وهما بمعنىٰ واحد، ومعناه احتقارهم.

أما بطر الحق: فهو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا، وقوله ﷺ من كبرياء: هي غير مصروفة[٣].

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: "**بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي فِي**

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (٢/ ١١٧).

(٢) صحيح مسلم (٩١).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (٢/ ٩٠).

حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيامَةِ "[١].

قال القرطبي: إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله فإن ٱحتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم.

والتجلجل: بجيمين؛ التحرك، وقيل: الجلجلة الحركة مع صوت، وقال ابن دريد: كل شيء خلطت بعضه ببعض؛ فقد جلجلته، وقال ابن فارس: التجلجل: أن يسوخ في الأرض مع ٱضطراب شديد، ويندفع من شق إلىٰ شق فالمعنىٰ يتجلجل في الأرض أي ينزل فيها مضطربا متدافعا[٢].

٦- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "**كُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، والبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرافٍ، وَلا مَخِيلَةٍ**"[٣].

الإسراف: مجاوزة الحد في كل فعل أو قول وهو في الإنفاق أشهر.

والمخيلة: بوزن عظيمة وهي بمعنى الخيلاء وهو التكبر.

قال الراغب: ووجه الحصر في الإسراف والمخيلة: أن الممنوع من تناوله أكلاً، ولبسًا وغيرهما إما لمعنىٰ فيه، وهو مجاوزة الحد، وهو الإسراف. وإما للتعبد كالحرير إن لم تثبت علة النهي عنه وهو الراجح.

ومجاوزة الحد تتناول مخالفة ما ورد به الشرع فيدخل الحرام وقد يستلزم الإسراف الكبر وهو المخيلة[٤].

---

(١) صحيح البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢٦١).

(٣) حسن: أخرجه البخاري معلقا (٧/ ١٤٠)، ووصله النسائي (٢٥٥٩)، و أحمد (٢/ ١٨١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٠٥).

(٤) فتح الباري (١٠/ ٢٥٣).

أقوال السلف حول الكبر:

١- قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: إنّ الرّجل إذا تواضع رفع الله حكمته وقال: أنتعش نعشك الله؛ فهو في نفسه صغير، وفي أعين النّاس كبير، وإذا تكبّر، وعدا طوره، رهصه الله في الأرض وقال: أخسأ خسأك الله. فهو في نفسه كبير وفي أعين النّاس حقير حتّىٰ إنّه لأحقر عندهم من الخنزير[١].

٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: من تواضع لله تخشّعًا رفعه الله يوم القيامة. ومن تطاول تعظّما وضعه الله يوم القيامة[٢].

٣- عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنّه رأىٰ رجلاً يختال في مشيته ويجرّ إزاره فقال: إنّ للشّيطان إخوانًا[٣].

٤- قال أحد العلماء: التّواضع في الخلق كلّهم حسن وفي الأغنياء أحسن. والتّكبّر في الخلق كلّهم قبيح وفي الفقراء أقبح[٤].

٥- قال الأحنف بن قيس: عجبًا لابن آدم يتكبّر وقد خرج من مجرى البول مرّتين[٥].

٦- قال محمّد بن الحسين بن عليّ: ما دخل قلب أمرىء شيء من الكبر قطّ إلّا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك، قلّ أو كثر[٦].

٧- مرّ بالحسن البصريّ شابّ عليه بزّة له حسنة فدعاه فقال له: ابن آدم معجب بشبابه محبّ لشمائله. كأنّ القبر قد وارىٰ بدنك وكأنّك قد لاقيت عملك. ويحك، داو قلبك فإنّ مراد الله من العباد صلاح قلوبهم[٧].

٨- قال الحسن رحمه الله: السّجود يذهب بالكبر، والتّوحيد يذهب

---

(١) الإحياء للغزالىٰ (٣/ ٣٦١)، وشرح السنة للبغوىٰ (١٣/ ١٧١).
(٢) وكيع فى الزهد (٢/ ٤٦٧).
(٣) المصدر السابق (٣/ ٣٥٩).
(٤) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٦٢).
(٥) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٥٨).
(٦) السابق (٣/ ٣٥٩).
(٧) السابق (٣/ ٣٥٩).

بالرّياء[١].

٩- عن مطرّف بن عبد الله بن الشّخّير رضي الله عنه- أنّه رأى المهلّب- وهو يتبختر في جبّة خزّ فقال: يا عبد الله، هٰذِه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلّب: أما تعرفني؟ فقال بلي. أعرفك، أوّلك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت بين ذلك تحمل العذرة. فمضى المهلّب وترك مشيته تلك[٢].

١٠- رأىٰ محمّد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال: أتدري من أنت؟ أمّا أمّك فاشتريتها بمائتي درهم، وأمّا أبوك فلا أكثر الله فى المسلمين مثله[٣].

---

(١) التواضع لابن أبى الدنيا (٢٠).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالىٰ (٣/ ٣٥٩).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٥٩).

١٤- الكسل

الكسل لغة:

الكسل مأخوذ من مادّة (ك س ل) التي تدلّ على التّثاقل عن الشّيء، والقعود عن إتمامه[١].

الكسل اصطلاحًا:

وقال الرّاغب: الكسل: التّثاقل عمّا لا ينبغي التّثاقل عنه[٢].

أقسام الكسل:

الكسل قسمان:

الأوّل: كسل العقل بعدم إعماله في التّفكّر والتّدبّر والنّظر في آلاء الله من ناحية وفي تركه النّظر إلىٰ ما يصلح شأن الإنسان، ومن حوله في الدّنيا التي فيها معاشه. وليس تأخّر الأمم ناتجا إلّا عن كسل أصحاب العقول فيها وقلّة اكتراثهم بالقوّة الإبداعيّة المفكّرة التي أودعها الله فيهم.

الثّاني: كسل البدن بما يشتمل عليه من الجوارح، وينجم عن هٰذا الكسل تأخّر الأفراد، بله الأمم في مجالات النّشاط المختلفة من زراعة وصناعة وغيرهما[٣].

الكسل في القرآن:

١- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ

(١) المقاييس (٥/ ١٧٨). (٢) المفردات (٤٣١).

(٣) راجع كلام الراغب في الذريعة تحت عنوان مدح السعي وذم الكسل (٢٨٣).

إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢- ١٤٣].

قوله تعالىٰ: ﴿وَإذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالىٰ﴾ أي: متثاقلين. وكُسالىٰ: جمع كسلان، و الكسل: التثاقل عن الأمر.

وإنما كانوا هكذا، لأنهم يصلّون حذرًا علىٰ دمائهم، لا يرجون بفعلها ثوابًا، ولا يخافون بتركها عقابا. قوله تعالىٰ: ﴿يُراؤُنَ النّاسَ﴾ أي: يصلّون ليراهم الناس[١].

٢- وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٤- ٥٥].

يقول: لا يأتونها إلا متثاقلين بها. لأنهم لا يرجون بأدائها ثوابًا، ولا يخافون بتركها عقابًا، وإنما يقيمونها مخافةً علىٰ أنفسهم بتركها من المؤمنين، فإذا أمنوهم لم يقيموها.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ يقول: ولا ينفقون من أموالهم شيئًا ﴿إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾، أن ينفقونه في الوجه الذي ينفقونه فيه، مما فيه تقوية للإسلام وأهله[٢].

٣- وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة٣٨- ٣٩].

أي: اثّاقلتم مائلين إلى الدّنيا وشهواتها الفانية عمّا قليل وكرهتم مشاقّ الجهاد ومتاعبه المستتبعة للرّاحة الخالدة والحياة الباقية أو إلى الإقامة بأرضكم ودياركم، والأوّل أبلغ في الإنكار والتّوبيخ ورجّح الثّاني بأنّه أبعد

(١) زاد المسير (١/ ٤٨٩).

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٢٩٥).

عن توهّم شائبة التّكرار في الآية(١).

٤- وقال تعالىٰ: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ۝٨١﴾ [التوبة: ٨١].

يقول تعالىٰ ذاما للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وفرحوا بمقعدهم بعد خروجه، ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ﴾ معه ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ﴾ أي: بعضهم لبعض: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ﴾؛ وذلك أن الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر، عند طيب الظلال والثمار، فلهذا قالوا ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ﴾ قال الله تعالىٰ لرسوله: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿نَارُ جَهَنَّمَ﴾ التي تصيرون إليها بسبب مخالفتكم ﴿أَشَدُّ حَرًّاۚ﴾ مما فررتم منه من الحر، بل أشد حرًا من النار(٢).

٥- وقال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون ٤- ٥]، ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ يعني المنافقين، الذين يصلون في العلانية ولا يصلون في السر.

ولهٰذا قال: ﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾ أي: الذين هم من أهل الصلاة، وقد التزموا بها، ثم هم عنها ساهون، إما عن فعلها بالكلية، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعا، فيخرجها عن وقتها بالكلية. وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلىٰ آخره دائما أو غالبا، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به، وإما عن الخشوع فيها، والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل هٰذا كله ولكل من ٱتصف بشيء من ذلك قسط من هٰذه الآية.ومن ٱتصف بجميع ذلك، فقد تم نصيبه منها، وكمل له النفاق العملي(٣).

---

(١) روح المعاني (١٠/ ٩٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٨٩).
(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٣).

الكسل في السنة:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: "**يَعْقِدُ الشَّيْطانُ عَلَىٰ قافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إذا هُوَ نامَ ثَلاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فارْقُدْ فَإِنِ ٱسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ الله، ٱنْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ ٱنْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى ٱنْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلاّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ**"[١].

ومقتضىٰ قوله وإلا أصبح: أنه إن لم يجمع الأمور الثلاثة دخل تحت من يصبح خبيثًا كسلان وإن أتي ببعضها، لكن يختلف ذلك بالقوة والخفة، فمن ذكر الله مثلاً كان في ذلك أخف ممن لم يذكر أصلاً. وهٰذا الذم مختص بمن لم يقم إلى الصلاة وضيعها، أما من كانت له عادة فغلبته عينه، فقد ثبت: أن الله يكتب له أجر صلاته ونومه عليه صدقة، ذكره ابن عبد البر[٢].

٢- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ يقول: "**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيا والمَماتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذابِ القَبْرِ**"[٣].

أهل الفقه يقولون: العجز هو ما يستطيع أن يعمله إذا أراد؛ لأنهم يقولون: إن الحج ليس على الفور ولو كان على المهلة عند أهل الكلام لم يصح معناه؛ لأن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل، والذين يقولون بالمهلة يجعلون الاستطاعة قبل الفعل، وأما الكسل؛ فهم مجمعون علىٰ أنه ضعف النية، وإيثار الراحة للبدن على التعب، وإنما ٱستعيذ منه؛ لأنه يبعد عن الأفعال الصالحة للدنيا والآخرة[٤].

---

(١) صحيح البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦).

(٢) مرقاة المفاتيح (٤/ ٢١٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٢٣)، ومسلم (٢٧٠٦).

(٤) شرح ابن بطال للبخاري (٥/ ٣٦).

٣- عن مالك بن نضلة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"الأَيْدِي ثلاثةٌ، فيَدُ اللهِ العُلْيا، وَيَدُ المُعْطِي التِي تَلِيها، وَيَدُ السّائِلِ السُّفْلَىٰ، فَأَعْطِ الفَضْلَ، وَلا تَعْجَزْ عَنْ نَفْسِكَ "**(١).

أَي لا تعجز بعد عطيتك عَن مُؤنَة نَفسك وَمن عَلَيْك مُؤْنَته بِأَن تُعْطِي مالك كُله ثمَّ تعول على السُّؤال(٢).

٤- عن طاوس أنّه قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كلّ شيء بقدر، قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: **"كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى العَجْزِ والكَيْسِ، أَوِ الكَيْسِ والعَجْزِ"**(٣).

يحتمل: أن العجز هنا علىٰ ظاهره وهو عدم القدرة، وقيل: هو ترك ما يجب فعله والتسويف به وتأخيره عن وقته. قال ويحتمل العجز عن الطاعات، ويحتمل العموم في أمور الدنيا والآخرة والكيس ضد العجز، وهو النشاط، والحذق بالأمور، ومعناه: أن العاجز قد قدر عجزه والكيس قد قدر كيسه(٤).

ومعناه: أن كل شيء لا يقع في الوجود إلا وقد سبق به علم الله ومشيئته وإنما جعلهما في الحديث غاية لذلك للإشارة إلىٰ أن أفعالنا، وإن كانت معلومة لنا ومرادة منا فلا تقع مع ذلك منا إلا بمشيئة الله(٥).

٥- عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوّام رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: **"لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلًا، فَيَأْخُذَ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ، فَيَبِيعَ، فَيَكُفَّ اللهُ بِهِ وَجْهَهُ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النّاسَ، أُعْطِيَ أَمْ مُنِعَ"**(٦).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٣)، أبوداود (١٦٤٩)، والحاكم (١/ ٥٦٦)، وصححه. وانظر: صحيح أبي داود (٥/ ٣٤٨).
(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٤٢٧).
(٣) صحيح مسلم (٢٦٥٥).
(٤) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٦/ ٢٠٥).
(٥) فتح الباري (١١/ ٤٧٨).
(٦) أخرجه البخاري (٢٣٧٣).

(فيبيع فيكف الله به) أي فيمنع الله بثمن ما يبيعه (وجهه) من أن يريق ماءه بالسؤال من الناس . (خير) خبر مبتدأ محذوف أي هو خير له (من أن يسأل الناس) أي إن لم يجد أحدكم إلا الاحتطاب من الحرف؛ فهو مع ما فيه من امتهان المرء نفسه، ومن المشقّة خير له من سؤال الناس[(١)].

٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: **"لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ، فَيَحْطِبَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلاً، أَعْطاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ اليَدَ العُلْيا أَفْضَلُ مِنَ اليَدِ السُّفْلَىٰ، وابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ"**[(٢)].

فيه الحث على الصدقة، والأكل من عمل يده، والاكتساب بالمباحات كالحطب والحشيش النابتين في موات[(٣)].

أقوال السلف حول الكسل:

١- قال عبدُ اللهِ بن مسعود: إني لأمقت الرجل أن أراه فارغا ليس في شيء من عمل الدنيا، ولا عمل الآخرة[(٤)].

٢- قال الأحنف: إياك والكسل والضجر فإنك إن كسلت لم تؤد حقا وإن ضجرت لم تصبر علىٰ حق[(٥)].

٣- قال الإمام الرّاغب: من تعطّل وتبطّل انسلخ من الإنسانيّة، بل من الحيوانيّة وصار من جنس الموتىٰ. ومن تعوّد الكسل ومال إلى الرّاحة فقد الرّاحة[(٦)].

---

(١) شرح القسطلاني لصحيح البخاري (٤/ ٢٠٨).
(٢) أخرجه مسلم (١٠٤٢).
(٣) شرح النووي لمسلم (٧/ ١٣١).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٧٠٤).
(٥) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ١/ ٢٦٩.
(٦) السابق ١/ ٢٦٩.

١٥- المنُّ

المنُّ لغة:

المنّ مصدر منّ عليه منّا وهو مأخوذ من مادّة (م ن ن) التي تدلّ علي أصلين: أحدهما القطع والانقطاع، والآخر على ٱصطناع خير، فمن الأوّل: مننت الحبل: قطعته، قال تعالىٰ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦] ومنه: منّ بيد أسداها، إذا قرّع بها. وهٰذا يدلّ علىٰ أنّه قطع الإحسان. ومن الثّانىٰ: منّ يمنّ منّا، إذا صنع صنعًا جميلاً[١].

المن ٱصطلاحًا:

للمنّ ثلاثة معانٍ:

الأوّل: المنّ في الحرب وقد عرّفه الجرجانيّ فقال: المنّ: هو أن يترك الأمير الأسير الكافر من غير أن يأخذ منه شيئًا[٢]. أي إطلاقه بلا عوض كما يقول الرّاغب[٣].

الثّاني: المنّ الفعليّ، وهو أن يثقل الإنسان بالنّعمة، وذلك على الحقيقة لا يكون إلّا لله - تعالىٰ- ومن ذلك قوله تعالىٰ ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقوله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٤].

قال النووي: المن هو الٱعتداد بالصنيعة فهو أذىٰ مبطل للثواب؛ لأن المنة لله ولرسوله صلىٰ الله عليه و سلم في قبول ذلك.

الثّالث: أن يكون ذلك بالقول؛ بأن يذكر الإنسان ما يظنّ أنّه أنعم به علىٰ

(١) المقاييس (٥/ ٢٦٧) بتصرف.
(٢) التعريفات (٢٥٤). (٣) المفردات (٤٧٤).

أخيه، وذلك مستقبح فيما بين النّاس، إلّا عند كفران النّعمة، ولقبح ذلك قيل: المنّة تهدم الصّنيعة، ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كفرت النّعمة حسنت المنّة[١].

قال أبو حامد الغزالي: المن وهو التحدث به وإظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق، والتقديم في المجالس والمتابعة في الأمور فهٰذِه كلها ثمرات المنة[٢].

ذم المن والنهي عنه في القرآن الكريم:

١- قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤].

ينهىٰ عباده - تعالىٰ - لطفًا بهم ورحمة عن إبطال صدقاتهم بالمنّ والأذىٰ، ففيه: أن المنّ والأذىٰ يبطل الصدقة، ويستدل بهٰذا علىٰ أن الأعمال السيئة تبطل الأعمال الحسنة[٣].

٢- وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

وإنما شَرَط ذلك في المنفق في سبيل الله، وأوجبَ الأجر لمن كان غير مانٍّ ولا مؤذٍ مَن أنفق عليه في سبيل الله؛ لأن النفقة التي هي في سبيل الله: ما ٱبتغي به وجه الله وطلب به ما عنده.

فإذا كان معنى النفقة في سبيل الله هو ما وصفنا، فلا وجه لمنّ المنفق علىٰ من أنفق عليه، لأنه لا يدَ له قِبَله ولا صَنيعة يستحق بها عليه - إن لم

---

(١) ٱنظر المفردات للراغب (٤٧٤) بتصرف وإضافة.
(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٢١٦). (٣) تفسير السعدي (١١٣).

يكافئه- عليها المنَّ والأذىٰ، إذ كانت نفقته ما أنفق عليه ٱحتسابًا وابتغاءَ ثواب الله وطلبَ مرضاته، وعلىٰ الله مثوبته، دون من أنفق ذلك عليه[١].

٣- وقال تعالىٰ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

وذُكر أن هٰؤلاء الأعراب من بني أسد، ٱمتنوا علىٰ رسول الله ﷺ، فقالوا: آمنا من غير قتال، ولم نقاتلك كما قاتلك غيرنا، فأنزل الله فيهم هٰذِه الآيات[٢].

٤- وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦].

يحتمل قوله: تمنن: أن يكون العطاء، أو بمعنى المنّ، وهو ذكر العطاء وشبهه، أو بمعنى الضعف فإن كان بمعنى العطاء؛ ففيه وجهان، أحدهما: أن معناه لا تعط شيئًا لتأخذ أكثر منه، قال بعضهم: هٰذا خاص بالنبي ﷺ ومباح لأمّته، والآخر: لا تعط الناس عطاء وتستكثره؛ لأن الكريم يستقلُ ما يُعطي وإنْ كثيرًا، وإن كان من المنّ بالشيء ففيه وجهان:

الأول: لا تمنن على الناس بنبوتك تستكثر بأجر أو مكسب تطلبه.

الثاني: لا تمنن علىٰ الله بعملك تستكثر أعمالك وتقع لك بها إعجال، وإن كان من الضعف فمعناه لا تضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ما حملناك من ذلك[٣].

ذم المن والنهي عنه من السنة النبوية:

١- عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: **"ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ، وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ**، قالَ: فَقَرَأَها رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثَ مِرارًا، قالَ أَبُو ذَرٍّ: خابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يا رَسُولَ اللهِ؟

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٥١٧).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٢٠).
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢٥٠٣).

قالَ: "**المُسْبِلُ، والمَنّانُ، والمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الكاذِبِ**"(١).

إنما نهىٰ عن الإسبال لما فيه من النخوة والكبر.

والمنان يتأول علىٰ وجهين: أحدهما من المنة وهي إن وقعت في الصدقة أبطلت الأجر، وإن كانت في المعروف كدرت الصنيعة وأفسدتها.

والوجه الآخر: أن يراد بالمن النقص يريد بالنقص من الحق والخيانة في الوزن والكيل ونحوهما، ومن هٰذا قول الله سبحانه ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣﴾ [القلم: ٣] أي غير منقوص.

قالوا ومن ذلك سمي الموت منونًا لأنه ينقص الأعداد ويقطع الأعمار(٢).

٢- عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "**ثَلاثَةٌ لا يَنْظُرُ اللهُ** عز وجل إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ: العاقُّ لِوالِدَيْهِ، والمَرْأَةُ المُتَرَجِّلَةُ، والدَّيُّوثُ، وَثَلاثَةٌ لا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: العاقُّ لِوالِدَيْهِ، والمُدْمِنُ عَلَى الخَمْرِ، والمَنّانُ بِما أَعْطَىٰ"(٣).

أقوال السلف والعلماء في ذم المن:

١- عن ابن عباس قال: لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا عاق، ولا منان.

قال ابن عباس: فشق ذلك علي لأن المسلمين يصيبون ذنوبا حتىٰ وجدت في كتاب الله في المنان لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ(٤).

٢- عن الضحاك في الآية قال: من أنفق نفقة ثم منَّ بها أو آذى الذي أعطاه النفقة حبط أجره، فضرب الله مثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فلم يدع من التراب شيئًا، فكذلك يمحق الله أجر الذي يعطي صدقته ثم يمنّ بها كما يمحق المطر ذلك التراب(٥).

---

(١) صحيح مسلم (١٠٦).
(٢) معالم السنن (٤/ ١٩٥).
(٣) أخرجه النسائي (٢٥٦٢)، وأحمد (٢/ ١٣٤)، وابن حبان (٧٣٤٠)، وصححه الحاكم (١/ ١٣٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦٧٤).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥١٧).
(٥) الدر المنثور (٢/ ٤٤).

٣- قال الضحاك في قوله تعالىٰ ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۞﴾: إنما هٰذِه للنبي ﷺ خاصة، وأما سائر المسلمين فليس به بأس[١].

٤- عن السدي في الآية قال الله للمؤمنين: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ فتبطل كما بطلت صدقة الرياء، وكذلك هٰذا الذي ينفق ماله رئاء الناس ذهب الرياء بنفقته كما ذهب هٰذا المطر بتراب هٰذا الصفا[٢].

٥- عن عبد الله بن أبي زكريا قال: بلغني أن الرجل إذا راءىٰ بشيء من عمله أحبط ما كان قبل ذلك[٣].

٦- قال ابن قدامة: ويحتاج المريد إلى الصبر علىٰ طاعته في ثلاثة أحوال: حال قبل العبادة، وهيٰ تصحيح النية، والإخلاص والصبر علىٰ شوائب الرياء. وحال في نفس العبادة، وهيٰ أن لا يغفل عن الله تعالىٰ في أثناء العبادة، ولا يتكاسل عن تحقيق الآداب والسنن، فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ من العمل.

الحالة الثالثة: بعد الفراغ من العمل: وهى الصبر عن إفشائه، والتظاهر به لأجل الرياء والسمعة، وعن كل ما يبطل عمله، فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والأذىٰ أبطلها[٤].

أحكام المن:

اعلم: أن الأصل في المن هو التحريم لما فيه من العجب بالنفس حيث يرىٰ ذلك الممتن لنفسه فضلا أو وجاهة لما فعله بل يرىٰ لنفسه فضلاً علىٰ غيره لأجل ذلك، ولذا جاء التحذير القرآني في قوله تعالىٰ: ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ۝٢٦٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٣- ٢٦٤].

---

(١) الدر المنثور (٢/ ٤٤).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥١٧).
(٣) الآداب الشرعية (١/ ٣٩٤).
(٤) مختصر منهاج القاصدين (٤/ ٢٥).

لكن أخرج العلماء من الحكم العام للمن صورتين:

أحدهما: أن يكون الممتن هو الله ﷻ؛ لأنه سبحانه المتفضل علىٰ عباده بالخير والفضل الذي يحيونه ويتقلبون فيه - وهو تذكير المخلوق بخالقه الذي أنعم عليه وتنبيهه ليشكره[١]-.

ثانيهما: أن يكون الامتنان في معرض الدفاع عن النفس والتذكير بالفضل الذي قد ينسىٰ كما في قصة تقسيم الغنائم واتهامه صلوات الله وسلامه عليه بعدم العدل في قسمته فقال ﷺ: «**يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي ومتفرقين فجمعكم الله بي**»[٢].

من صور المن:

١- المَن بالمال كالصدقة والإنفاق على الفقراء والمساكين والمحتاجين، وفي هٰذا وردت غير ما آية في التحذير من ذلك، ويعظم ذلك إن كان الانفاق علىٰ ذوي الأرحام كالوالد والوالدة عند كبرهما أو على الأخ الشقيق عند صغره أو على الفقراء من الأقارب.

٢- من الزوجة علىٰ زوجها كأن تكون امرأة تمون زوجها فتمتن علىٰ زوجها: إني أنفق عليك أو أكسوك[٣].

٣- المن بالعلم علىٰ غيره ممن تعلم منه ولو كان شيئا يسيرا، وكأنه قد نسي أو تناسىٰ أن كل ما جمعه من علم هو من تعليم غيره له فنسي فضلهم عليه ثم امتن علىٰ غيره.

٤- المن علىٰ الله ﷻ بطاعته وعبادته له مع أن الله ﷻ هو المتفضل عليه بالطاعة ثم تفضل عليه بإعانته عليها. ثم أنه سبحانه لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، فالطاعة لا تنفع إلا صاحبها فحسب.

---

(١) موسوعة الفقه الكويتية (٣٩/ ١٣٢). (٢) انظر: شفاء العليل (١/ ٥٨).

(٣) انظر مسائل أحمد وإسحاق بن راهويه (٥/ ٢٤٦١).

فهرس الموضوعات

فهرس عام لموسوعة التطوع

المجلد الأول

المجلد الثاني

المجلد الثالث

المجلد الرابع

المجلد الخامس

وتضمن فتاوىٰ كبار العلماء والمجامع الفقهية حول مسائل العمل التطوعي مرتبة علىٰ أبواب الفقه، وهي: